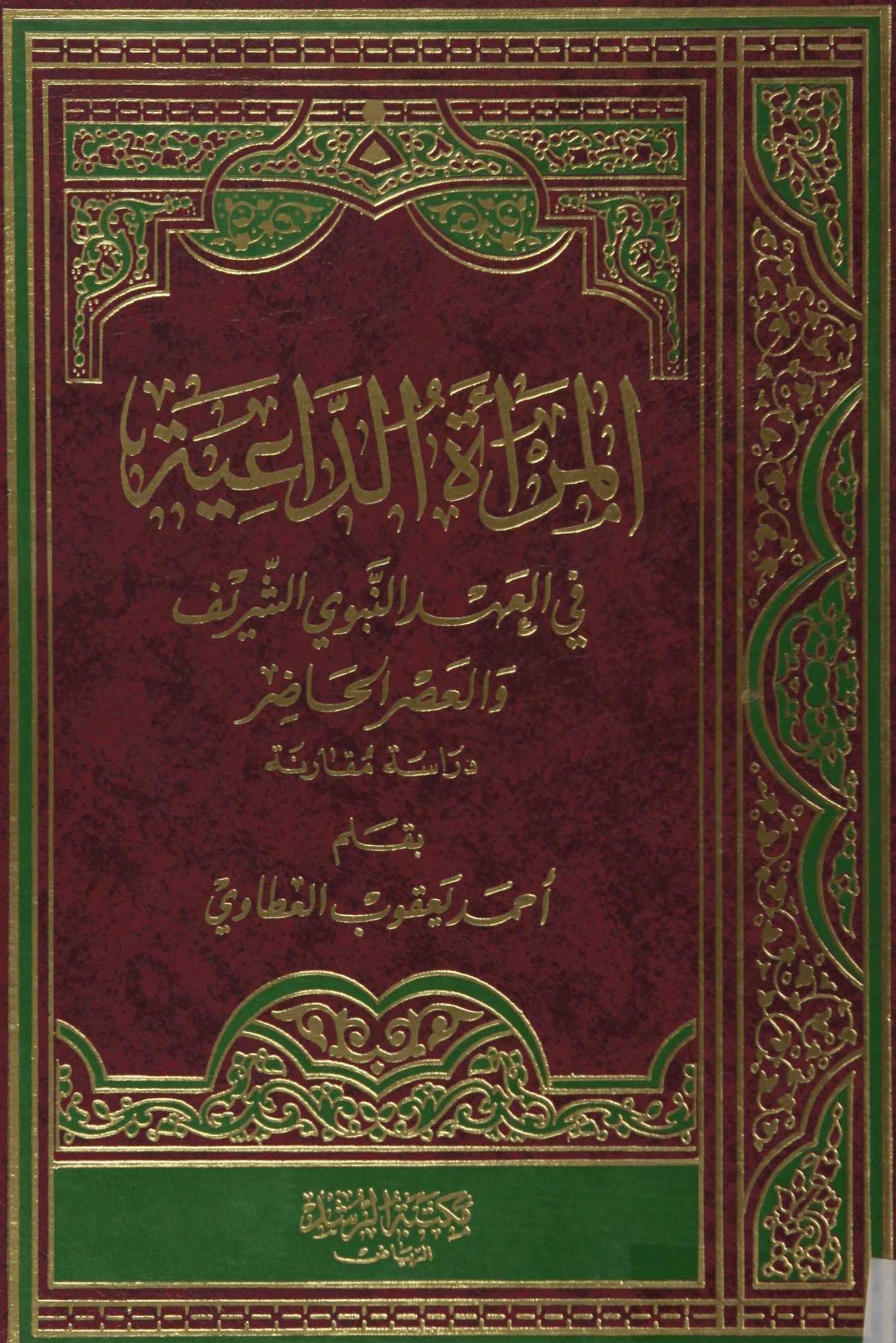


المرأة الداعية
في العهد النبوي الشريف
والعصر الحاضر
دراسة مقارنة
بقلم
أحمد يعقوب العطاوي
مكتبة الرشد
الرياض

المرأة الداعية

في العهد النبوي الشريف والعصر الحاضر

دراسة مقارنة

بقلم

أحمد يعقوب العطاوي




بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب أطروحة تقدَّم
بها المؤلف لنيل درجة الماجستير
من قسم الدعوة والاحتساب
بكلية الدعوة والإعلام في جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية
بالرياض عام ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع



* المملكة العربية السعودية . الرياض . طريق الحجاز

ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١



فاكس ٤٥٧٣٣٨١

* فرع مكة المكرمة: - هاتف ٥٥٨٥٤٠١ - ٥٥٨٣٥٠٦

* فرع المدينة المنورة: - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٨٣٤٠٦٠٠

* فرع القصيم بريدة طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٢٢١٤

* فرع أبها: - شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧

* فرع الدمام: - شارع ابن خلدون - هاتف ٨٢٨٢١٥٧

المقدمة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الذي بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة حتى فتح به قلوباً غُلفاً، وأعيناً عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وعلى آله وصحبه الذين تولَّوا أمانة البلاغ من بعده، أما بعد:

فهذا كتابي بعنوان: **(المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف والعصر الحاضر: دراسة مقارنة)**. أقدِّمه إلى كل طالب علم عامة، وإلى المرأة المسلمة بصورة خاصة لتعلم مسؤوليتها تجاه دينها ومجتمعها.

وسوف أتناول في هذه المقدمة بعض الأمور المتعلِّقة بالدراسة، مثل سبب اختيار موضوعها وأهميته، ومكان هذه الدراسة مما سبقها من دراسات، والمنهاج المتَّبع فيها، وخطة البحث.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١.

١ ـ أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره:

لقد أمر الله عزّ وجلّ عباده بعبادته وطاعته، ثم أمرهم بتبليغ دينه إلى الآخرين، وكان الخطاب في هذا الأمر عاماً للجنسين رجالاً ونساء، فلم يخص جنساً دون الجنس الآخر. ولكننا في الوقت الحاضر نرى أن القيام بتبليغ الدعوة كاد أن يكون محصوراً في الرجال دون النساء، وذلك لعدة أسباب، منها:

١ ـ جهل كثير من المسلمين وخاصة النساء لمسؤولية المرأة في الدعوة إلى الله.

٢ ـ جهل كثير من نساء المسلمين لتعاليم الدين الحنيف، عدا بعض الأمور الفقهية البسيطة مثل أحكام الطهارة والصلاة والصيام.

٣ ـ المؤامرة التي يدبّرها أعداء الله في إضلال المسلمين وإبعادهم عن دينهم، وذلك عن طريق الغزو الفكري الذي يركز أولاً على إفساد المرأة المسلمة بدعوى تحريرها من القيود، ثم استغلالها في إفساد الشباب المسلم خصوصاً والعالم الإسلامي عموماً.

ولذلك اخترت هذا الموضوع لكي أبيّن للمرأة المسلمة خاصةً وللمسلمين عامةً الأمور التالية:

١ ـ أهمية تعلم المرأة المسلمة لأمور دينها عامة.

٢ ـ أهمية مشاركة المرأة المسلمة في القيام بتبليغ الدعوة إلى الآخرين من أهل بيتها وبنات جنسها.

٣ ـ بيان المجالات أو الميادين الدعوية المناسبة للمرأة المسلمة الداعية في العصر الحاضر.

٢ ـ مكانة هذه الدراسة من الدراسات السابقة:

لقد كانت الدراسات السابقة ـ وهي قليلة جداً ـ تقتصر على جانبٍ واحدٍ من جوانب هذا الموضوع، مثل: (دور الأم في تربية الطفل المسلم)، وهي الدراسة التي تقدَّمت بها الباحثة خيرية حسين طه في بحثها التكميلي لنيل درجة الماجستير في جامعة

أم القرى بمكة المكرمة. وقد تناولت فيها الجوانب التربوية الإسلامية التي يجب على الأم المسلمة مراعاتها في تربيتها لأطفالها بحيث تخرّج جيلاً صالحاً يخدم دينه ودعوته في المستقبل. ويعتبر ذلك جانباً واحداً من الجوانب الدعوية التي يجب على المرأة المسلمة الاهتمام والقيام بها.

وهناك دراسة بعنوان: (المرأة المسلمة المعاصرة: إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة)، قام بها الباحث الشيخ أحمد بن محمد أبا بطين، وقدَّمها لنيل درجة الدكتوراه من قسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وهي دراسة واسعة شاملة لكثير من الجوانب المتعلقة بالمرأة الداعية وكيفية إعدادها من الناحية العلمية والنفسية والاجتماعية، وغيرها من الجوانب الأخرى، وتناول فيها أيضاً بعض المجالات والميادين الدعوية المناسبة لها. وقد ذكر في نهاية دراسته أن الموضوع ما زال بحاجة إلى البحث والدراسة.

ولذلك قمت بهذه الدراسة التي تعتبر متمّمة لتلك الدراسة القيّمة. وقد تناولت فيها: المجالات الدعوية المناسبة للمرأة المسلمة، وتحدثت عنها بشيء من التفصيل، سواء ما كان موجوداً في العهد النبوي الشريف، أو ما استُحدث في العصر الحاضر، والمقارنة بينها، وبيّنت فيها كيفية الاستفادة من هذه المجالات في تبليغ الدعوة إلى الآخرين، أو خدمة الإسلام والمسلمين.

وهناك ميزة أخرى تمتاز بها هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة وهي وجود الدراسة الميدانية المتعلقة بأنشطة أحد المراكز النسائية في الخليج العربي، والتي تعمل في خدمة الإسلام والمجتمع.

وقد بذلت جهدي في تقصّي جوانب هذا الموضوع وتجميع مادته فيما يوافق الكتاب والسنة، وأرجو أن أكون قد وفَّيت الموضوع حقّه.

٣ ـ المنهج في الدراسة:

وأما منهجي في البحث، فقد استخدمت أولاً المنهج الإستقرائي، إذ نقلت النصوص وأخذتها من بطون أمهات الكتب، ثم استخدمت المنهج التحليلي، إذ قمت بتحليل هذه النصوص والاستنباط منها في معرفة المجالات

والميادين الدعوية المتعلقة بالمرأة المسلمة، وكيفية تطبيقها في العصر الحاضر، وكذلك فعلت مع المجالات المستحدثة، حيث عرضتها على كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه ﷺ، وأخيراً استخدمت المنهج الوصفي المسحي الذي يعتمد على الاستبيان في الدراسة الميدانية المتعلقة بأنشطة مركز النساء في جمعية الإصلاح بالبحرين.

ولقد التزمت بضوابط معينة في كتابتي لهذا البحث، أذكر منها:

١ ـ الرجوع إلى المصدرين الرئيسيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٢ ـ ذكر الآية الكريمة والحديث الشريف كاملاً أحياناً، والاقتصار على الشاهد فقط في أحيان أخرى.

٣ ـ عدم ذكر تفسير الآية أو شرح الحديث إلاّ عند الحاجة إلى ذلك.

٤ ـ الاعتماد على أحاديث الصحيحين.

٥ ـ الاعتماد على تصحيح الشيخ الألباني لبقية الكتب الستة.

٦ ـ الاستعانة بالأحاديث الأخرى مع ذكر أقوال العلماء فيها إن وجدت.

٧ ـ الاعتماد في الاستشهاد بالسيرة النبوية على كتاب سيرة ابن هشام الطبعة التي قام بتحقيقها د. همام عبد الرحيم سعيد، ومحمد عبد الله صعيليك.

٨ ـ ذكر أقوال العلماء الثقات عند الحاجة.

٩ ـ الاستشهاد بالشعر أحياناً ونسبته إلى قائله.

١٠ ـ الاقتصار على ترجمة أعلام النساء، ومن لم يشتهر من الرجال.

١١ ـ عمل نموذجين من الاستبيان في الدراسة الميدانية المتعلقة بالفصل الثاني من الباب الثاني، الأول وتشمل عينته ستاً وثلاثين طالبة من طالبات ثلاث مدارس ثانوية، موزعة على ثلاث مناطق من مناطق البحرين، وهي: المحرق، والمنامة، ومدينة عيسى. وإحدى وعشرين مدرسة، وثلاثين موظفة وممرضة، ويكون العدد الإجمالي سبع وثمانين.

وأما النموذج الثاني فعيّنته مجموعة من العضوات العاملات في المركز نفسه وعددهن اثنتين وخمسين عضوة.

٤ ـ خطة البحث:

تحتوي هذه الدراسة على تمهيد وبابين وخاتمة:

التمهيد: يحتوي على ثلاثة موضوعات:

١ ـ موقف الإسلام من المرأة وحقوقها.

٢ ـ تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح.

٣ ـ حكم القيام بالدعوة في حق المرأة.

الباب الأول: المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف.

ينقسم هذا الباب إلى فصلين وهما:

الفصل الأول: المرأة الداعية في العهد المكي:

ويحتوي على مبحثين، وهما:

المبحث الأول: قيامها بالدعوة داخل البيت:

يتناول هذا المبحث الأدوار الدعوية التي تقوم بها المرأة داخل بيتها مع أفراد أسرتها، سواء كانت أمّاً، أم بنتاً، أو أختاً.

المبحث الثاني: قيامها بالدعوة في المجتمع الجاهلي:

يتناول هذا المبحث الأدوار التي قامت بها المرأة المسلمة في المجتمع الجاهلي، من القيام بالدعوة، أو التعرض للأذى والعذاب بل والقتل من قبل المشركين.

الفصل الثاني: المرأة الداعية في العهد المدني:

ويحتوي على مبحثين وهما:

المبحث الأول: قيامها بالدعوة داخل البيت.

المبحث الثاني: قيامها بالدعوة في المجتمع الإسلامي.

١ ـ مشاركتها في العلم ونشره.

٢ ـ مشاركتها في الجهاد.

الباب الثاني: المرأة الداعية في العصر الحاضر.

ينقسم هذا الباب إلى فصلين وهما:

الفصل الأول: المجالات الدعوية المناسبة للمرأة في العصر الحاضر:

يتناول هذا الفصل المجالات التي يمكن أن تخدم فيها المرأة الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر اقتداءً بسلفها من الصحابيات الجليلات، سواء في بيتها مع أفراد أسرتها من الزوج والأبناء والبنات، والإخوة والأخوات، والأب والأم، أو في المجتمع الذي تعيش فيه مع من تخالط من الأقارب والصديقات والزميلات في العمل، أو مع من يكون تحت مسؤوليتها كالطالبات في المدارس، والمرضى في المستشفيات.

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين وهما:

المبحث الأول: قيامها بالدعوة داخل البيت.

المبحث الثاني: قيامها بالدعوة في المجتمع.

أولاً: الدعوة في المجال النسائي:

وذلك من خلال الالتقاء بالصديقات والزميلات في الدراسة والعمل:

١ ـ تبليغ الدعوة في دور العلم.

٢ ـ تبليغ الدعوة في مجال العمل.

٣ ـ تبليغ الدعوة بين زميلات العمل.

ثانياً: خدمة الجهاد والمجاهدين:

وكنت قد ذكرت فيما سبق قيامها بذلك في العهد النبوي الشريف، وأما هنا فسوف أذكر ما قامت به من خدمات للجهاد في العصر الحاضر، وقد اقتصرت في الكلام على مشاركة المرأة الأفغانية في الجهاد.

ثالثاً: الصبر على الابتلاء والمحن.

رابعاً: الجهاد بالمال.

خامساً: خدمة الدعوة بالقلم واللسان، وذلك بالشعر والكتابة والتأليف.

سادساً: القيام بالدعوة إلى الله من خلال الجمعيات الخيرية.

ويتناول حكم عمل المرأة في الجمعيات الخيرية، وأدلته من الكتاب والسنة والواقع المعاصر.

الفصل الثاني: قسم النساء بجمعية الإصلاح بالبحرين:

تجربة واقعية للعمل النسائي الدعوي.

وينقسم هذا الفصل إلى تمهيد وأربعة مباحث، وهي:

التمهيد: يتناول الحالة الاجتماعية والثقافية والدينية في البحرين في الفترة التي جاءت فيها فكرة إنشاء جمعية الإصلاح التي يتبعها المركز.

المبحث الأول: قسم النساء بجمعية الإصلاح:

١ ـ الفكرة والافتتاح.

٢ ـ الأهداف.

٣ ـ اللجان العاملة وأنشطتها:

أولاً: اللجنة الثقافية.

ثانياً: اللجنة الاجتماعية.

ثالثاً: اللجنة الفنية.

رابعاً: لجنة العلاقات العامة.

المبحث الثاني: أثر هذا القسم على المجتمع البحريني.

المبحث الثالث: علاقة القسم بالجمعيات والأقسام النسائية داخل وخارج البحرين:

١ ـ علاقته بالأقسام النسائية بالجمعيات الإسلامية داخل البحرين.

٢ ـ علاقته بالأقسام النسائية في الجمعيات الإسلامية خارج البحرين.

٣ ـ علاقته بالجمعيات النسائية الخيرية في البحرين.

المبحث الرابع: تقويم عام:

وقد تناولت فيه تقويماً عاماً لجميع الأنشطة التي يقوم بها المركز في خدمة المجتمع البحريني خاصة، والمسلمين عامة.

ثم خلصت إلى الخاتمة:

وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

وقد أرفقت هذه الدراسة بفهارس تفصيلية تعين القارئ أثناء قراءته.

وصلّي اللّهم وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيهم ونحن معهم أجمعين.




التمهيد

١ ـ موقف الإسلام من المرأة وحقوقها.

٢ ـ تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

٣ ـ حكم القيام بالدعوة للمرأة.






١ ـ موقف الإسلام من المرأة وحقوقها

إن جميع الكتّاب والمؤلفين الذين كتبوا في موضوع المرأة ومكانتها في الإسلام قد بدأوا كتبهم بالتحدث عن مكانتها عند الأمم السابقة عموماً، كاليونان والرومان والفرس وعرب الجاهلية، وكذلك عند أصحاب الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية.

وبما أن الموضوع قد أشبع بحثاً ودراسة ولا يمكنني أن آتي بشيء جديد فيه، فقد رأيت أنه من الأفضل عدم التحدث فيه، وسبب آخر هو الاختصار. ومع ذلك فإنني سوف أذكر مثالاً واحداً لتوضيح الصورة وهو نظرة المجتمع الجاهلي للمرأة ومكانتها فيه.

تتمثل هذه النظرة في الأمور الآتية:

١ ـ **كراهية البنات:** التي يمثلها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1].

يقول الفخر الرازي في تفسيره لهاتين الآيتين: (إن العرب مختلفين في قتل البنات، فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها إلى أن تموت، ومنهم من يرميها من شاهق جبل، ومنهم من يغرقها، ومنهم من يذبحها، وهم يفعلون ذلك تارة للغيرة والحميَّة، وتارة خوفاً من الفقر والفاقة ولزوم النفقة)[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾[3]. قال

---

(١) سورة النحل: الآيتان ٥٨، ٥٩.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠/ ٥٥ ـ ٥٦. الطبعة البهية المصرية، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.

(٣) سورة التكوير: الآيتان ٨، ٩.

الحافظ ابن كثير: (الموؤدة هي التي كان أهل الجاهلية يدسُّونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تُسأل الموؤدة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذن)[1].

٢ ـ **الحرمان من حق التكسب والإرث والتصرف بالمال:** ولذلك قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[2]، وعن جابر رضي الله عنه قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمَّهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلاَّ ولهما مال، قال: «**يَقْضِي اللَّهُ في ذلك**». فنزلت آيات المواريث، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمِّهما: «**أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ**»[3].

٣ ـ **الحياة الزوجية:** لم تكن قائمة على الاعتراف بالحقوق، بل إنها قائمة على الاضطهاد والابتزاز، وكثيراً ما كانت فكرة قضاء الشهوة والاستمتاع هي الدافع إلى الزواج، ثم يتخذ الطلاق وسيلة لمضارَّة الزوجة وابتزاز أموالها، ولذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٤٧٨، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن صحيح. كتاب الفرائض، باب (ما جاء في ميراث البنات) ٤/٤١٤، حديث ٢١٧٢. واللفظ له. طبعة إستنبول ـ تركيا ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م. وصححه الألباني. صحيح سنن الترمذي ٢/٢١١، حديث ١٧٠١. مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ـ المكتب الإسلامي. بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. وأخرجه أبو داود بلفظ آخر في الفرائض، باب (ما جاء في الصلب) ٣/١٢٠، حديث ٢٨٩١. مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة. وابن ماجه في باب (فرائض الصلب) ١/٩٠٨، حديث ٢٧٢٠. تحقيق وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية.

﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾[1]، وكان بعضهم يتزوَّج بزوجة أبيه ـ غير أمه ـ بعد وفاة الأب فحرّم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٢٢﴾[2].

٤ ـ **تعدد الزوجات**: لقد كان الرجل يجمع في عصمته ما شاء من الزوجات بدون تحديد عدد، وقلَّ ما اهتم بالعدل بينهن، ولذلك حدَّد الإسلام التعدد، فقال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾[3].

٥ ـ **أساليب النكاح**: لقد كان هناك أساليب عديدة للنكاح في الجاهلية، ولقد أخرج الإمام البخاري حديثاً طويلاً عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: (كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيُصدقها ـ يؤدي صداقها أو مهرها ثم ينكحها. ونكاح آخر: كان رجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الزوج الذي تستبضع منه، فإذا تبين أصابها زوجها إذا أحب. وإنما يفعل ذلك رغبة في الولد، ويسمَّى هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرَّ ليال أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، وتسمِّي من أحبَّت باسمه فيُلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

ونكاح رابع: يجتمع ناس كثيرون فيدخلون على المرأة لا تمتنع عمن جاءها، وهن البغايا، ينصبن على أبوابهن رايات تكون عَلَماً، فمن أرادهن دخل عليهن. فإذا حملت إحداهن ووضعت جمعوا لها ودعوا القافة[4]، ثم

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٩ ـ ٢١.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٢.

(٣) سورة النساء: الآية ٣.

(٤) هم من لديهم خبرة في تتبع الأثر.

ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه به ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك. فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم)[1].

وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه المرأة ما تعانيه من الذل والقهر المتمثل في وأدها وهي حية، وفي سلبها جميع الحقوق المدنية، يشع الإسلام بنوره وهداه، ويبزغ فجر الحرية الحقة لينقذها من الظلام والضلال، وليقرر لها من الحقوق والواجبات ما يجعلها مساوية للرجل في الإنسانية.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[2]. وبذلك أصبحت المرأة إنساناً مساوياً للرجل في إنسانيته، لأن كلمة **(الناس)** تشمل الرجل والمرأة.

إن الحقوق التي فرضها الإسلام للمرأة هي بالكثرة التي يستعصي حصرها في هذا المقام، وحقيقة أن موضوع الرسالة في جملته ما هو إلا جزء من هذه الحقوق التي منَّ الإسلام بها على المرأة، ومع ذلك فإنني سوف أجمل الكلام فيها ولن أفصِّل إلا فيما كان له علاقة مباشرة بموضوع الرسالة.

وقبل الشروع في سرد هذه الحقوق يمكن أن نضع قاعدة عامة لهذه الحقوق، وهي: (أن للمرأة ما للرجل من الحقوق إلا فيما يختلفان فيه من استعداد وكفاية وقدرة، وهي مناط هذه الحقوق، وبشرط ألا تعارض هذه الحقوق ما عليها من الواجبات الشرعية)[3].

وسوف نقسم هذه الحقوق إلى أربعة أقسام، هي:

١ ـ الحقوق العامة.

٢ ـ الحقوق الاجتماعية.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب (من قال لا نكاح إلا بولي) ٥/ ١٩٧٠، حديث ٤٨٣٤. ضبط وترقيم وشرح ألفاظ مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير. بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ص١١٥. دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الثالثة.

٣ ـ الحقوق الدينية.

٤ ـ الحقوق المالية.

٥ ـ الحقوق السياسية.

أولاً: الحقوق العامة:

أ ـ حق الحياة:

إن للمرأة نفساً معصومةً كنفس الرجل التي حرّم الله عزّ وجلّ إزهاقها بغير حقّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[1]. لذلك حرّم الإسلام وأد البنات وهنَّ أحياء، وهو الأمر القبيح الذي كان متفشياً بين العرب في الجاهلية. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾[2].

وأوجب الإسلام أيضاً القصاص عند قتل المرأة عمداً، سواء أكان الذي قتلها امرأة أم رجلاً. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[4].

يقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره: (قالت طائفة: جاءت هذه الآية ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ...﴾ مبيِّنة لحكم النوع إذا قتل نوعه، فبيَّنت حكم الحر إذا قتل الحر، والعبد إذا قتل العبد، والأنثى إذا قتلت الأنثى، ولم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر. فالآية محكمة وفيها إجمال يبيِّنه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾، ويبيِّنه النبي ﷺ بسنته الشريفة لما قتل اليهودي بالمرأة. قاله مجاهد، وذكره أبو عبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروي عن ابن عباس أيضاً أنها منسوخة بآية المائدة، وهو قول أهل العراق)[5].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٣.

(٢) سورة التكوير: الآيتان ٨، ٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٥) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

وقد روي عن ابن عباس ﷺ في حديث آخر بيان سبب نزول هذه الآية: أنه بيان لآية المائدة وذلك فيما أخرجه الإمام ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾[1].

وقال الطبري: (وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة، ولكن يقتلون الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة. فأنزل الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾. فجعل الأحرار في القصاص سواء فيما بينهم في العمد، رجالهم ونساءهم في النفس وما دون النفس، وجعل العبيد مستوين فيما بينهم في العمد في النفس وما دون النفس رجالهم ونساءهم). وإسناد هذا الحديث حسن[2].

ب ـ حق التكريم:

لقد قلنا فيما سبق بأن من أهم الحقوق التي نالتها المرأة في ظل الإسلام مساواتها بالرجل في الإنسانية، بل لقد جعلها الله مغرساً للنوع الإنساني، لذلك فإنها تستحق كل الإكبار والاحترام. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[3]. بما أنّ المرأة قد خلقت من جنس الرجل فهي إذاً ليست غريبة عنه، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[4].

وقال الرسول ﷺ فيما روي عن عائشة أم المؤمنين ﷺ: «**النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَال**»[5].

---

(١) تفسير ابن عباس ومرويات في التفسير في كتب السنة، عبد العزيز الحميدي ١/ ٥٩. مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ٣/ ٣٦٣. تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر. مراجعة وتخريج أحمد محمد شاكر. دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٦٩م. وتفسير ابن عباس للحميدي ١/ ٤٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٢.

(٤) سورة النساء: الآية ١.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الطهارة، باب (الرجل يجد البلة في منامه) ١/ ٦١، حديث ٢٣٦. وصحّحه الألباني. صحيح سنن أبي داود ١/ ٤٦، حديث ٢١،. مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ـ المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. وأخرجه الترمذي في باب (فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً) ١/ ١٨٩، حديث ١١٣.

قال الخطابي[1] معلقاً على الحديث: (ومعنى شقائق: أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطبع، فكأنه شقق من الرجال. وفيه من الفقه إثبات القياس، وإلحاق حكم النظير بالنظير، وأن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطاباً للنساء إلاَّ موضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها، والله أعلم)[2].

ولما سبق نستطيع أن نقول بأن المرأة تستحق التكريم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[3].

جـ ـ حق التعليم[4]:

لقد دعا الإسلام في أول آية نزلت في كتابه الكريم إلى طلب العلم وتعليمه، فقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[5]. وطلب العلم (عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة)[6].

وهو بذلك للمرأة والرجل سواء، لأنها مكلَّفة مثله من جهة، ولحاجتها إلى استكمال شخصيتها من جهة أخرى. ويجب أن يكون طلبها هذا بالكيفية المناسبة لطبيعتها وغير معارضة لآداب الإسلام وتعاليمه[7]. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[8].

---

(١) هو محمد بن محمد بن الخطاب من ولد زيد بن الخطاب ﷺ، توفي رحمه الله سنة ٣٨٨هـ.

(٢) سنن أبي داود ومعه كتاب: معالم السنن للخطابي. إعداد وتعليق عزت عبيد العطاس، وعادل السيد ٢/ ١٦٢. دار الحديث، سوريا، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٤) سيكون لذلك تفصيل في موضوع: المشاركة في نشر العلم.

(٥) سورة العلق: الآية ١.

(٦) من مقال: (المرأة في ظل الإسلام) لسيد سابق. مجلة المسلمون العدد ١٦ ص٦٠ سنة ١٤٠٢هـ.

(٧) أصول الدعوة ١١٥.

(٨) سورة الزمر: الآية ٩.

ثانياً: الحقوق الاجتماعية:

إن المرأة في المجتمع إما أن تكون أُمّاً، أو زوجة، أو بنتاً، أو أختاً، أو قريبة للرجل، ولذلك سوف نقسم الحقوق الاجتماعية بحسب هذا التقسيم فنقول:

أ ـ حقها لكونها أمّاً:

عند تتبعنا لآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ نرى أنها اهتمّت كثيراً بالوالدين والإحسان إليهما وبرّهما، بل إنها قرنت الإحسان إليهما بعبادة الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ﴾[2].

هذا بالنسبة للوالدين عموماً من أب وأم، وهناك نصوص خاصة بالأم. قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[3]، (وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم، وفي وصايا الرسول ﷺ، ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً، ومعظمها في الوأد وهي حالة خاصة في ظروف خاصة ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه. فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ لضمان امتداد الحياة، كما يريدها الله؛ وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، في غير تأفف ولا شكوى؛ بل ومن غير انتباه ولا شعور بما يبذلان! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان! فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة! فأما الوليد فهو بحاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل الماضي المضحي المدبر المولي الذاهب في أدبار الحياة! بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتّجه إلى مستقبل الحياة! وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما. وهذه الصورة الموحية: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾،

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٤.

ترسم ظلال هذا البذل النبيل. والأم بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر؛ وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق)[1].

عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»[2]. ولذلك جعل الإسلام عقوق الأم من الكبائر الموبقات. فعن المغيرة بن شعبة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[3].

(لقد خصَّ الأمهات بالذكر لأن العقوق إليهن أسرع من الآباء لضعفهن، ولينبِّه إلى أن برَّ الأم مقدَّم على برِّ الأب في التلطف والحنو)[4].

وفي حديث آخر يخبر الرسول ﷺ بأن الجنة تحت أقدام الأمهات، فعن معاوية بن جاهمة السلمي، أن جاهمة جاء النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: «**هل لك من أم**»؟ قال: نعم، قال: «**فالزمها فإن الجنة تحت رجليها**»[5]، (أي نصيبك منها لا يصل إليك إلا

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب ٥/٢٧٨٨. دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) متفق عليه: البخاري في الأدب، باب (من أحق الناس بحسن الصحبة) ٥/٣٢٢٧، حديث ٥٦٢٥، واللفظ له. ومسلم في البر والصلة والآداب، باب (بر الوالدين وأنهما أحق به) ٤/١٩٧٤، حديث ٢٥٤٨. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

(٣) متفق عليه: البخاري في الاستقراض، باب (ما ينهى عن إضاعة المال) ٥/٢٣٧٥، حديث ٦١٠٨، واللفظ له. ومسلم في الأقضية، باب (النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة) ٣/١٣٤١، حديث ٥٩٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/٨٣. دار الريان، مصر.

(٥) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: الجهاد، باب (الرخصة لمن له والدة) ٦/١١، حديث ٣١٠٤، ترتيب وترقيم عبد الفتاح أبو غدة. دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن النسائي ٢/٦٥١، حديث (٣٩٠٨). مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ـ المكتب الإسلامي. بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

برضاها، بحيث كأنه لها وهي قاعدة عليه، فلا يصل إليك إلا من جهتها، فإن الشيء إذا صار تحت رجل أحد فقد تمكن منه واستولى عليه، بحيث لا يصل إلى آخر إلا من جهته، والله أعلم)[١].

ب ـ حقها لكونها زوجة:

بعد أن كانت الزوجة مجرَّد متعة جنسية للرجل في الأمم السابقة، أصبحت في المجتمع الإسلامي عنصراً مهماً لأنها الشطر الثاني فيه، ولذلك أوصى الزوج بالعناية بها، وهي التي تعتبر بالنسبة له السكن والمثابة، وعلاقته بها علاقة مودة ومحبة، وأعظم وصف لذلك وصف القرآن الكريم حينما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٢].

(والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين؛ وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة. ولكنهم قلَّما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرار للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويراً موحياً، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر، ملبِّياً لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار؛ ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن

---

(١) جلال الدين السيوطي، سنن النسائي بشرح السيوطي، وحاشية السندي ٦/١١. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) سورة الروم: الآية ٢١.

تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد)[١].

ووصف الرسول ﷺ الزوجة فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنها أهل للخير فقال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[٢].

ولقد فرض الإسلام للزوجة على زوجها عدة حقوق، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[٣]. ومن هذه الحقوق:

١ ـ حسن المعاشرة:

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلَّم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضِلَع**[٥]**، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيراً**»[٦].

وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، فذكر في الحديث قصة فقال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنَّ عوان عندكم...**،

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٦٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: النكاح، باب (حسن معاشرة النساء) ١/ ٦٣٦، حديث ١٩٧٧، وصحّحه الألباني. صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣٣٤، حديث ١٦٠٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

(٤) سورة النساء: الآية ١٩.

(٥) بكسر الضاد المشددة، وفتح اللام: وهي واحدة الأضلاع أو الضلوع، وهي عظام الجنبين، ووجه الشبه هو الاعوجاج. القاموس المحيط ٩٥٨، مادة (ضلع). مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٦) متفق عليه: البخاري في النكاح، باب (الوصاة بالنساء) ٥/ ١٩٨٧، حديث ٤٨٩٠، واللفظ له. ومسلم في النكاح، باب (الوصية بالنساء) ١/ ١٠٩١، حديث ١٤٦٨.

ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»[1].

٢ ـ النفقة:

وتكون في اعتدال وبقدر الاستطاعة، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾[2].

وروى الإمام مسلم عن أبي مسعود البدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة**»[3].

٣ ـ القسمة العادلة:

وتكون في النفقة والبيتوتة، وذلك إذا كان لديه أكثر من زوجة واحدة، لما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت له امرأتان، يميل لأحدهما على الأخرى، جاء يوم القيامة وأحد شقَّيه مائل**»[4].

٤ ـ الرعاية الدينية وحسن التوجيه:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[5].

٥ ـ الإرث:

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ . . . غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾[6].

---

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه، كتاب: الرضاع، باب (ما جاء في حق المرأة على زوجها) ٣/ ٤٦٧ حديث ١١٧٣، وقال: حديث حسن صحيح. ومعنى قوله: **«عوان عندكم»** أي: أسرى في أيديكم. وقد حسَّنه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٤١، حديث ٩٢٩. أخرجه ابن ماجه في النكاح، باب (حق المرأة على الزوج) ١/ ٥٩٤ حديث ١٨٥١.

(٢) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب (فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين) ٢/ ٦٩٥، حديث ١٠٠٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه في النكاح، باب (القسمة بين النساء) ١/ ٦٣٣، حديث ١٩٦٩، وصحَّحه الألباني. صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣٣٣، حديث ١٦٠٣.

(٥) سورة التحريم: الآية ٦.

(٦) سورة النساء: الآية ١٢.

جـ - حقها لكونها بنتاً أو أختاً:

بعد أن تكلَّمنا عن حقوق الأم والزوجة بقي أن نتكلَّم عن حقوق البنت على أبيها، والأخت على أخيها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من ابتُلي من هذه البنات بشيء كنَّ له ستراً من النار**»[1]. فنرى من الحديث أن الإحسان إلى البنات أصبح من أسباب النجاة من النار.

ولقد كان الرسول ﷺ القدوة في ذلك، فقد كان إذا دخلت عليه ابنته فاطمة رضي الله عنها قام إليها وأجلسها في مجلسه، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: وكانت[2] إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبَّلها وأجلسها في مجلسه[3].

ومن الحقوق التي فرضها الإسلام للبنت أو للأخت على وليِّها، حق اختيار الزوج، فمنع الأولياء من الاستبداد في تزويج مولياتهم بغير رضاهن. فقد روى الجماعة كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تنكح الأيم[4] حتى تُستأمر[5]، ولا البكر حتى تستأذن**»، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «**أن تسكت**»[6].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب (رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) ٥/ ٢٢٣٤، حديث ٥٦٤٩. ومسلم في البر والصلة والآداب، باب (فضل الإحسان إليهن) ٤/ ٢٠٢٧، حديث ٢٦٢٩، واللفظ له، قال محمد فؤاد عبد الباقي معلقاً على الحديث: إنما سمَّاه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة.

(٢) أي فاطمة بنت الرسول ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب (فضل فاطمة رضي الله عنها) ٥/ ٧٠٠، حديث (٣٨٧٢). وقال: حديث حسن غريب. وصحَّحه الألباني. صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٤١، حديث ٣٠٣٩.

(٤) الأيِّم: ككيِّس، وهي من لا زوج لها؛ بكراً كانت أم ثيِّباً، ومن لا امرأة له، وجمعها أيايم وأيامى، قال ابن سيده: أما أيايم، فعلى بابه، وأما أيامى فقيل: أنه وضع على هذه الصيغة. وقال الفارسي: هو مقلوب موضع العين إلى اللام.اهـ. القاموس المحيط ١٣٩٣، مادة (أيم).

(٥) مأخوذة من الإئتمار، وهي المشاورة، القاموس المحيط ٤٣٩، مادة (أمر).

(٦) أخرجه البخاري في النكاح، باب (لا يُنكح الأب ولا غيره البكر والثيب إلا برضاها) ٥/ ١٩٧٤، حديث ٤٨٤٣، واللفظ له، ومسلم في النكاح، باب (استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت) ٢/ ١٠٣٦، حديث ١٤١٩.

وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الثيّب أحق بنفسها من وليّها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها»**، أي سكوتها يكتفى به[1].

ثالثاً: الحقوق الدينية:

أ ـ التكليف:

إن أول الحقوق التي وهبها الله عزّ وجلّ للمرأة هي مساواتها بالرجل في التكليف بأداء الطاعات والأعمال الصالحة التي تهذب النفس، وتقرّب العبد إلى ربّه، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[2]. (هذا وعد من الله لمن عمل صالحاً، وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة أنهم فسّروها: بالرزق الحلال الطيب، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنها: القناعة، وقيل غير ذلك. والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل ذلك كله)[3].

فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً، وقنّعه الله بما آتاه»**[4].

ومن التكاليف التي تساوت فيها المرأة بالرجل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب (استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت) ٢/ ١٠٣٧، حديث ١٤٢١.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٧.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٠.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب (الكفاف والقناعة) ٢/ ٧٣٠، حديث ١٠٥٤.

وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾[(١)].

ب ـ العبادة:

إن الجانب الروحي عنصر مهم في حياة الفرد وسلوكه، وهذه الأهمية مشتركة عند الرجل والمرأة على حد سواء، لذلك فتح الله عزّ وجلّ أمام المرأة باب الرقي الروحي لتنال منه ما ناله الرجل، وأهمه القيام بالعبادات المفروضة والنافلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةٗ وَأَجْرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[(٣)].

جـ ـ الجزاء:

بعد أن ساوى الإسلام المرأة بالرجل في التكليف والعبادة، فلا بد من مساواتها به في الأجر والمثوبة على القيام بهذه التكاليف والعبادات. قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٖۖ﴾[(٤)].

(يعني تعالى ذكره: فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا ربهم، بأني لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيراً، ذكراً كان العامل أو أنثى، وذكر أنه قيل لرسول الله ﷺ: ما بال الرجال يُذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة؟ فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية)[(٥)].

قال ابن جرير: (حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا مؤمل قال: حدثنا

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧١.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٥.
(٣) سورة آل عمران: الآيتان ٤٢، ٤٣.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.
(٥) تفسير الطبري ٧/ ٤٨٦.

سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: قالت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله، يُذكر الرجال في الهجرة ولا نُذكر؟ فنزلت: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ...﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٧٢﴾[2].

رابعاً: الحقوق المالية:

روى الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾[3]: (كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوَّجها، وإن شاءوا زوَّجوها، وإن شاءوا لم يزوِّجوها، وهم أحق بها من أهلها)[4].

من هذا الحديث نعلم أن المرأة كانت كالمتاع المملوك أو المال الذي تنتقل ملكيته من شخص إلى آخر، فتورث كما يورث. هذا في الجاهلية، وأما في الإسلام فقد كان من تكريمه لها أن جعل لها حقوقاً مالية متمثلة في الأمور الآتية:

أ ـ اكتساب المال والتصرف فيه:

لقد قرَّر لها الإسلام الأهلية في التملك لأصناف المال من نقد وضياع ودور، وأباح لها أيضاً أن تمارس التجارة وكسب المال بالطرق المشروعة والمتناسبة مع طبيعتها التي فطرها الله عليها. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا

---

(١) الحديث إسناده صحيح، ومؤمل: هو إسماعيل، وهو ثقة، وسفيان: هو الثوري، والحديث رواه الطبري في موضع آخر عن ابن حميد عن مؤمل بهذا الإسناد. تفسير الطبري ٧/٤٦٨. تحقيق محمود محمد شاكر.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً) ٦/٢٥٤٨، حديث ٦٥٤٩.

ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[1].

ب ـ حقها في الإرث:

لقد فرض الله تبارك وتعالى للمرأة نصيباً من ميراث الوالدين والأقارب. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾[2]. ويكون نصيبها كالآتي:

ـ **البنت:**

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾[3].

ـ **الأم:**

قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾[4].

ـ **الزوجة:**

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾[5].

ـ **الأخت:**

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾[7].

جـ ـ حقُّها في المهر:

ومن عناية الإسلام بالمرأة أنه جعل لها الحق في أخذ المهر عند عقد

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٢.
(٢) سورة النساء: الآية ٧.
(٣) سورة النساء: الآية ١١.
(٤) سورة النساء: الآية ١١.
(٥) سورة النساء: الآية ١٢.
(٦) سورة النساء: الآية ١٢.
(٧) سورة النساء: الآية ١٧٦.

النكاح، لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ[1] فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾[2]، بل لقد حرَّم الله تبارك وتعالى على الزوج أن يأخذ شيئاً من هذا المهر عند مفارقته لها بالطلاق. قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۝٢٠﴾[3].

خامساً: الحقوق السياسية:

لم تقتصر عناية الإسلام بالمرأة والاهتمام بها على الحقوق السابقة فقط، بل إنه سمح لها أيضاً بالمشاركة في بعض الشؤون السياسية العامة، كإبداء الرأي والنصيحة لأولي الأمر.

قال أبو يعلى بسنده عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب ﷺ منبر رسول الله ﷺ ثم قال: (أيها الناس، ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم، فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها، فلأعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم). قال: ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم، قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟! قال: وأي ذلك؟! فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا...﴾ الآية. فقال: اللهم غفراً، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فركب المنبر فقال: (أيها الناس كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب). قال أبو يعلى: (وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل)[4].

---

(١) بكسر النون وتسكين الحاء وفتح اللام، هي العطية التي على سبيل التبرع، وهي مأخوذة من النحل نظراً لفعله، وسمِّي الصداق بها من حيث أنه لا يجب في مقابلته أكثر من تمتع دون عرض مالي. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٥٠٠، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت.

(٢) سورة النساء: الآية ٤. (٣) سورة النساء: الآية ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٤٦٨. وقال: إسناده جيد وقوي.

١ ـ البيعة:

ومن أعظم الحقوق السياسية التي نالتها المرأة في ظل الإسلام حقها في البيعة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[1].

وأخرج البخاري ومسلم وابن ماجه عن أم المؤمنين عائشة ﵂: (كان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحنَّ[2] بقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ...﴾ الآية. قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا من المؤمنات فقد أقرَّ المحنة[3]، وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن قال: **«انطلقن، فقد بايعتكن»**. ولا والله ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعن بالكلام[4].

وعن أميمة بنت رقيقة[5] ﵂ قالت: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة، فقال: **«فيما استطعتن وأطقتن»**، قلت: الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا، قلت: يا رسول الله بايعنا. قال سفيان وهو الراوي: تعني صافحنا، فقال رسول الله ﷺ: **«إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة»**[6].

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١٢.

(٢) أي يبايعهن.

(٣) أي يبايعن البيعة الشرعية.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، باب (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) ٤/ ١٨٥٦ حديث ٤٦٠٩. ومسلم في الإمارة، باب (كيفية بيعة النساء) ٣/ ١٤٨٩، حديث ١٨٦٦. وابن ماجه في الجهاد، باب (بيعة النساء) ٢/ ٩٥٩، حديث ٢٨٧٥.

(٥) أميمة بنت عبد بن إبجاد بن عمير، وأمها رقيقة بنت خويلد؛ أخت خديجة أم المؤمنين، الإصابة ٤/ ٢٣٤ ـ الاستيعاب ٤/ ٢٣.

(٦) أخرجه الترمذي في السير، باب (ما جاء في بيعة النساء) ٤/ ١٥١، حديث ١٥٩٧. وقال: هذا =

هذان الحديثان يثبتان مشاركة المرأة في البيعة للرسول ﷺ، وهناك أحاديث أخرى أيضاً تنص على مشاركتها في بيعة العقبة. إلا أنه قد قيل بأن هذه البيعة خاصة بالرسول الكريم، وذلك لعدم ورود نصوص في مشاركتها في البيعة لخليفة رسول الله الأول أبي بكر الصديق ﷺ، ومن بعده من الخلفاء.

ونقول: إن هذا ليس بدليل، فالروايات التي نقلت قصة البيعة للخليفة وإن كانت لم تذكر شيئاً عن مشاركة النساء فيها، فهي أيضاً لم تنص على منعهن من البيعة، فهي ليس فيها لا نفي ولا إثبات، وكما قال السيد محمد صدّيق القنوجي[١]: (إن هذه البيعة ثابتة بالسنة في دين الإسلام فمن أنكرها فقد أنكر القرآن، والأمر للوجوب عند الطلب منهن، وهكذا ثبت ذلك في الرجال)[٢].

هذه هي بعض الأمور التي أجاز الإسلام للمرأة أن تشارك فيها في الناحية السياسية.

وهناك أمور جعلها الإسلام خاصة بالرجال ليس للنساء حق في المشاركة فيها لعدم توافقها مع فطرتها التي فطرها الله تعالى عليها. منها:

أ ـ الولاية العظمى:

وهي الخلافة أو الإمامة، فمن شروط القائم بها الذكورة، لقول الرسول ﷺ: **«لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»**[٣].

ب ـ الولاية العامة:

وهي تولي المناصب في الدولة، كالوزارة والقضاء. قال القاضي أبو

= حديث حسن صحيح، وصحّحه الألباني. صحيح سنن الترمذي ٢/١١٧، حديث ١٣٠٠. وأخرجه ابن ماجه في الجهاد، باب (بيعة النساء) ٢/٩٥٩، حديث ٢٨٧٤.

(١) من علماء الهند: ١٢٤٨ ـ ١٣٠٧هـ.

(٢) السيد محمد صدّيق حسن خان القنوجي البخاري، حُسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، ص٧٥ ـ ٧٦، تحقيق وتعليق: مصطفى سعيد الخن ـ محيي الدين مستو. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب (كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر) ٤/١٦١٠، حديث ٤١٦٣.

يعلى الحنبلي والإمام الماوردي عند الحديث عن شروط تولي الوزارة: (ولا يجوز أن يقوم بذلك امرأة، وإن كان خبرها مقبولاً، لما تضمنه من معاني الولايات المصروفة عن النساء. ولأن فيها طلب الرأي وثبات العزم وما يضعف عنه النساء. والبروز في مباشرة الأمور مما هو عليهن محظور)[1].

ويمكن أن يقاس عليها إدارة أو رئاسة الأقسام في الدوائر الحكومية التي يعمل فيها الرجال، لأن ذلك يتعارض مع مبدأ القوامة الذي فرضه الله عزّ وجلّ للرجل على المرأة، فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2].

وأما بالنسبة للقضاء؛ فقد قال القاضي أبو يعلى والإمام الماوردي: (فأما ولاية القضاء فلا يجوز تقليد القضاء إلا لمن كملت فيه سبع شرائط، ومنها: الذكورة). (أما الذكورة فلأن المرأة تنقص عن كمال الولايات، وقبول الشهادات).

ويعلق الشيخ محمد حامد الفقي[3] على هذا الشرط، فيقول: (قال أبو حنيفة: تقضي المرأة فيما تصح فيه شهادتها. وشذّ ابن جرير الطبري، فجوّز قضاءها في جميع الأحكام، ولا اعتبار لقول يرده الإجماع، مع قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، وقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**لا أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»[4].

ويقاس على ذلك أيضاً القيام بالحسبة الرسمية، لأنها من الولايات العامة، وفيها قوامة على الرجال، متمثلة في متابعتها للتجار ومعاملاتهم،

---

(١) الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص١٥. تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م، والأحكام السلطانية والولايات الدينية للإمام الماوردي ص٢٧. مطبعة مصطفى البابي بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٤.

(٣) من علماء الأزهر الشريف ورئيس جماعة أنصار السنة.

(٤) سبق تخريجه ص٣٤.

ومراقبتهم في ذلك، ومحاسبتهم ومعاقبتهم في بعض الأحيان[1].

ولقد رأى بعض العلماء المعاصرين كالشيخ محمد الغزالي رحمه الله[2] جواز عمل المرأة في الولايات العامة كالحسبة الرسمية مستدلين برواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه عيَّن امرأة على السوق تدعى أم الشفاء. ويقول الإمام ابن العربي رحمه الله عن هذه الرواية: أنها لا تصح، ولا يلتفت إليها، فهي من دسائس المبتدعة في الحديث[3].

جـ - انتخاب الإمام أو الخليفة:

إن تولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة من بعد الرسول ﷺ كانت على يد عمر بن الخطاب، ثم آل أمر الاختيار إلى مجموعة من الرجال يسمَّون بأهل الحل والعقد.

يقول إمام الحرمين الجويني عند تكلُّمه عن صفات أهل الحل والعقد والاختيار: (فما نعلمه قطعاً، أن النسوة لا مدخل لهم في تخير الإمام وعقد الإمامة، فإنهن ما روجعن قط، ولو استشير في هذا الأمر امرأة لكان أحرى النساء وأجدرهن بهذا فاطمة رضي الله عنها، ثم نسوة رسول الله أمهات المؤمنين، ونحن بابتداء الأذهان، نعلم أنه ما كان لهن هذا المجال مخاض في منقرض العصور ومكر الدهور)[4].

وعلَّل ذلك بأن النسوان لازمات خدورهن، مفوضات أمورهن إلى الرجال القوَّامين عليهن، لا يعتدن ممارسة الأحوال، ولا يبرزن في مصادمة الخطوب بروز الرجال، وهن قليلات الغنى فيما يتعلق بإبرام العزائم والآراء، ولذلك

---

(١) الأحكام السلطانية، أبو يعلى ص٤٥، والماوردي ص٦٥.

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص٤٨. دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٣) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٣/١٤٥٧. تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار الفكر. بيروت.

(٤) غياث الأمم في التياث الظلم، للجويني، ص٤٨ - ٥٠. تحقيق ودراسة: فؤاد عبد المنعم، مصطفى حلمي، دار الدعوة. الإسكندرية - مصر ١٩٧٩م. وانظر: المرأة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعي ص١٥٩، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، وأصول الدعوة ص١١٦.

ذهب معظم العلماء إلى أنهن لا يستقللن بأنفسهن في التزويج[1]. وذلك يختلف عن التي تأتي بعد التولية.

د ـ قتال الأعداء:

إن الإسلام رحيم بالمرأة، لذلك فهو حريص على تجنيبها المواضع الشاقة التي تحتاج إلى جهد كبير وقوة جسمية، وجعل تلك الأمور من خصائص الرجال، ومن هذه الأمور الدفاع عن الدولة والدين، ورد كيد الأعداء بالقتال، وجعله من أهم الواجبات التي على الرجال دون النساء.

روى الإمام البخاري رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال: **«جهادكن الحج»**[2].

ومع ذلك فقد سمح الرسول ﷺ لبعض الصحابيات بالخروج مع الجيش، ولكن ليس للقتال، بل لمعاونة الجيش في مداواة وسقاية الجرحى. روى الإمام البخاري عن الربيّع بنت معوّذ رضي الله عنها قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة[3].

وسيكون هناك شيء من التفصيل لهذا الموضوع سنورده في موضع آخر.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد، باب (جهاد النساء) ٣/ ١٠٥٤، حديث ٢٧٢٠

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد، باب (مداواة النساء الجرحى في الغزو) ٣/ ١٠٥٦، حديث ٢٧٢٦.

٢ ـ تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح

أ ـ التعريف اللغوي:

إن لكلمة (دعا) في المعاجم والقواميس عدة معان، منها:

١ ـ الرغبة إلى الله:

والفعل: دعا، والمصدر: الدعاء والدعوى، والاسم: الدعوة والدعاوة[١].

٢ ـ الاستغاثة:

قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٢]. قال الفراء: استعينوا بهم، وهو كقولك للرجل: (إذا تعقَّبت العدو خالياً فادع المسلمين)، ومعناه: استغث بالمسلمين. فالدعاء هنا بمعنى: الاستغاثة[٣].

٣ ـ النداء والطلب:

دعا يدعو دعاء، إلاَّ أن الدعاء قد يقال بـ(أيا) أو (يا)، ونحو ذلك من أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلاَّ إذا كان معه الاسم نحو: (يا فلان). وقد يستعمل كل منهما موضع الآخر[٤]، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[٥].

---

(١) القاموس المحيط ص١٦٥٥، مادة (دعو).

(٢) سورة هود: الآية ١٣.

(٣) لسان العرب، لابن منظور الأفريقي. إعداد وتصنيف: يوسف خياط ١/ ٩٨٦. دار لسان العرب، بيروت ـ لبنان.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص١٧١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧١.

٤ ـ الحث على الشيء:

دعاه إلى الشيء، ودعاه إلى الله، أي: إلى عبادته. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[(١)]، أي حثه على عبادته[(٢)]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[(٣)]. ويقال: رجل داعية، إذا كان يدعو الناس إلى فكرة أو دين، والنبي ﷺ داعي الله تعالى وكذلك المؤمنون[(٤)]، قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[(٥)].

ب ـ التعريف الاصطلاحي:

يطلق لفظ الدعوة اصطلاحاً على الرسالة الإسلامية، كما يطلق على الرسول ﷺ (داعي الله)، أي: صاحب الدعوة إلى توحيد الله تعالى، لهذا يعتبر دين الإسلام دين الرسالة، أو دين الدعوة. أي أنه من الأديان التي تدعو الإنسانية إلى اعتناق المبادئ التي ينادي بها، كما يعتبر الرسول ﷺ أول الدعاة[(٦)].

هذا هو أحد التعاريف الحديثة لمصطلح الدعوة، وفي الحقيقة أنه لا يوجد تعريف دقيق لمصطلح الدعوة الإسلامية عند علماء السلف، وكلّ التعاريف الموجودة في الكتب الدعوية هي للدعاة المعاصرين، وكل يعرّف هذا المصطلح بمنظوره الخاص، لذلك اختلفت التعاريف اختلافاً كبيراً.

ومن هذه التعاريف ما يلي:

١ ـ الشيخ علي محفوظ: (حثّ النّاس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)[(٧)].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص١٧١.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٤) لسان العرب ١/ ٩٨٦، والقاموس المحيط ص١٦٥٥.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٤٦.

(٦) القاموس الإسلامي لأحمد عطية الله ٢/ ٣٧٢. مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

(٧) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص١٧. دار الاعتصام، مصر، الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

لقد فرّق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين الدعوة التي هي (الحث على الخير)، وبين الحسبة التي هي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فالدعوة عامة، والحسبة خاصة، وفرق آخر لهدف الدعوة وهو (الفوز بسعادة الدارين)[١].

٢ ـ الشيخ محمد الراوي: (دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً تجدَّد على يد محمد ﷺ وخاتم النبيين كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة، أو هي تبليغ رسالة النبي ﷺ)[٢].

٣ ـ د. أبو المجد السيد نوفل: (قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة)[٣].

٤ ـ الشيخ محمد الغزالي: (برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)[٤].

لقد جعل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعريفه للدعوة تعريفاً علمياً، ولكنه خاص بالدعاة المتخصِّصين الذين يسيرون على برنامج مدروس، وأما العوام ممن يدعون بحسب فهمهم ومعرفتهم فلا يدخلون في هذا التعريف.

٥ ـ الشيخ محمد سيدي بن الحبيب: (قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ والتأسّي به قولاً وعملاً وسلوكاً)[٥]، وهو التعريف الذي أميل إليه.

---

(١) فضل إلهي ظهير: محاضرات لمادة (تاريخ الدعوة) لطلبة الدراسات العليا في قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام ١٤٠٨هـ . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الدار القومية، مصر.

(٣) الدعوة إلى الله تعالى، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة ـ مصر ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

(٤) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة. محمد الغزالي ص١٧، دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٥) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، ص٢٧، دار الوفاء بجدة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٣ ـ حكم قيام المرأة بالدعوة

(لقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى الله عزّ وجلّ في آيات متعددة من كتابه العزيز، والأمر لأمته كما هو مقرر في محلّه عند الأصوليين، إلا إذا وجدت قرينة تخرجه ﷺ من الخطاب وتصرفه للأمة، أو تخرج الأمة من الخطاب وتصرفه إليه، وآيات الأمر بالدعوة لم توجد قرينة تخرج الأمة منها، ولا قرينة تخصّصها به ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1])[2].

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، أي: ويدعو إليها من اتبعني واهتدى بهديي. قال الفراء: ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو، وفي هذا دليل على أن كلّ متَّبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله: أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده)[3].

(والدعوة إلى الله واجبة على من اتبع الرسول ﷺ وهم أمته، وقد وصفهم الله بذلك، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[4]. هذا في حقه ﷺ، أما في حقهم فقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٢) الدعوة إلى الله، لمحمد سيدي بن الحبيب ص٢٩.

(٣) فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني ٣/ ٥٩، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]، وهذا واجب على مجموع الأمة، وهو فرض كفاية سقط عن البعض بالبعض كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[3]، فجميع الأمة تقوم مقامه في الدعوة)[4].

وهناك نصوص أخرى في الكتاب والسنة تنصُّ على وجوب القيام بهذه المَهمَّة، منها قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[5]، وقوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[6].

وقال الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[7]. وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، فتدعونه فلا يستجاب لكم**»[8].

كل هذه النصوص وغيرها كثير تنصُّ على وجوب القيام بالدعوة إلى الله

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/٢٠، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. مكتبة المعارف، الرباط ـ المغرب.

(٥) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٦) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في الإيمان، باب (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان) ١/٦٩، حديث ٤٩. والترمذي في الفتن، باب (ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب) ٤/٤٦٩ حديث ٢١٧٢. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٨) أخرجه الترمذي في الفتن، باب (ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ٤/ ٤٦٨، حديث ٢١٦٩. وقال: هذا حديث حسن، ووافقه الألباني. صحيح سنن الترمذي ٢/٢٣٣، حديث ١٧٦٢.

تعالى، وإن كان هناك خلاف بين العلماء في نوعية هذا الوجوب: أهو عيني؟ أم كفائي؟ وموضع الخلاف جاء في تفسير (من) في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾، أهي للتبعيض؟ أم للتبيين؟ وهذا الخلاف طويل بين العلماء، ولا يتّسع المجال لذكر جميع آراء الفقهاء فيه، ولكننا سوف نقتصر الكلام على قولٍ واحد جامع، وهو قول الشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: (إن (من) في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ تدل على أحد المعنيين: أحدهما: أن تكون بيانية، والثانية: أن تكون تبعيضية. وعلى أنها بيانية يكون المعنى: (ولتكونوا أيها المسلمون جميعاً أمة داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، فإن ذلك أساس الفلاح)، وإن هذا المعنى متلاق مع قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. فالآيتان على أن (من) بيانية، تكونان دعوة للأمة كلها أن تبلغ الرسالة المحمدية، ولكن ذلك لا يمنع أن يتخصَّص بعض المؤمنين لتفقيه الناس في دينهم بعد أن يدخلوا في دين الله تعالى، كشأن كل أمر واجب على الجماعة كلها، يقوم كل واحد بما يستطيعه الواحد منفرداً، ثم تخصص الجماعة له من يقوم له، ويهدي الناس إليه، وقد كان في جيل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بعد النبي ﷺ من يتعلم ومن يعلِّم، أي يعرف أصول الإسلام فيقوم بها، ومن يستفتي عنده في العلم بما يجهله)[1].

وبعد أن عرفنا حكم القيام بالدعوة إلى الله بأنه أمر واجب على كل مسلم كل بقدر استطاعته، يأتي سؤال فيقول: هل هذا الحكم خاص لذكور المسلمين؟ أم هو عام للجنسين معاً؟

نقول: إن جميع النصوص الواردة في وجوب الدعوة هي نصوص عامة ليس فيها تخصيص لجنس معين، و(القاعدة في واجبات المرأة كالقاعدة في حقوقها، فهي كالرجل إلا فيما يختلفان فيه مما هو مناط التكليف، وأساس هذه القاعدة أنها إنسان، ولها أهلية وجوب، أي: صلاحية اكتساب الحقوق وتحمل الواجبات. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[2]، فالنساء كالرجال مطالبات بتقوى الله، أي بطاعة أوامره واجتناب

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة ص٤١. دار الفكر العربي.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

نواهيه)[1].

(ويقسم النص القرآني الحديث عن صفة المسلم والمسلمة ومقوّمات شخصيتهما وتذكر المرأة في الآية بجانب الرجل كطرف من عمل الإسلام في رفع قيمة المرأة، وترقية النظرة إليها في المجتمع، وإعطائها مكانها إلى جانب الرجل فيما هما فيه سواء من العلاقة بالله، ومن تكاليف هذه العقيدة في التطهر والعبادة والسلوك القويم في الحياة)[2].

(وآيات الله سبحانه وتعالى تبيِّن أن النساء والرجال من جنس واحد لا قوام للإنسانية إلا بهما. فعن أم المؤمنين عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما النساء شقائق الرجال**»[3])[4].

ولقد أوردنا في موضع سابق تعليق الخطابي على هذا الحديث حيث قال: (وإن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطاباً للنساء إلا موضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها)[5].

ومن ذلك تبيَّن لنا بأن الوجوب في القيام بالدعوة إلى الله عزّ وجلّ أمر عام لجميع المسلمين رجالاً ونساءً، ولكن للدعوة مجالات وميادين مختلفة، منها ما يكون مناسباً للجميع، ومنها ما يناسب الرجال دون النساء، وأخرى تناسب النساء دون الرجال.

ونحن في دراستنا هذه سوف نتناول بإذن الله تعالى المجالات الدعوية التي شاركت فيها المرأة في العهد النبوي الشريف أولاً، ثم في العصر الحديث، وهناك بعض المجالات قد استحدثت في العصر الحاضر ولم تعرف من قبل، كل ذلك سوف نتناوله في دراستنا هذه والتي نرجو من العلي القدير أن يوفقنا فيها، ويهدينا إلى صراطه المستقيم، إنه على ذلك قدير.

---

(١) أصول الدعوة ص١١٧.

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ١٨٦٣.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي، وقد سبق ص٢٠.

(٤) دستور الأسرة في ظلال القرآن، أحمد فايز ص٤٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٥) معالم السنن للخطابي شرح سنن أبي داود ٢/ ١٦٢.




الباب الأول

المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف

الفصل الأول: المرأة الداعية في العهد المكي.

الفصل الثاني: المرأة الداعية في العهد المدني.






المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف

لقد علمنا في التمهيد أن الله تعالى قد أمرنا بأن نكون أمة داعية إلى الخير والعدل الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وداعية إلى تصحيح الأخطاء الاجتماعية وتقويمها بالوسائل الصحيحة المشروعة، فهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوارد في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(1).

والأمر في هذه الآية عام وموجَّه للجنسين معاً: الرجال والنساء، لأن الله تعالى قد أبطل الدعاوى البشرية الجاهلية التي كانت تميز الرجال وتهدر آدمية النساء وشخصيتهن.

ولقد قلنا بأن الناس جميعاً؛ رجالاً ونساءً سواسية في التكاليف الشرعية والحقوق والواجبات أمام شرع الله عز وجل، لأنهم جميعاً خلق الله تعالى وعباده، ولهذا فلقد بيَّن الرسول ﷺ هذه المساواة بقوله: «**النساء شقائق الرجال**»(2). ومع ذلك أكد الله عزّ وجلّ على هذه المبادئ في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾(3).

ولقد ضربت لنا الأمة الإسلامية في جيلها الأول التطبيق العملي لهذه الأسس والقواعد، فنرى عدداً كبيراً من الصحابيات اللاتي فِقن كثيراً من فحول الأمم في مجالات عديدة، منها: التربية والإصلاح، والعلم، والأدب،

---

(1) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(2) أخرجه أبو داود والترمذي، وقد سبق تخريجه ص٢٠.

(3) سورة التوبة: الآية ٧١.

والدين، وتخريج الرجال، وحتى الجهاد والقتال، كأمثال أمهات المؤمنين، وفاطمة بنت الرسول ﷺ، وأسماء ذات النطاقين، ونسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية، وغيرهن رضي الله عنهن جميعاً.

* * *




الفصل الأول

المرأة الداعية في العهد المكي

المبحث الأول: قيامها بالدعوة داخل بيتها.

المبحث الثاني: قيامها بالدعوة خارج بيتها.




المرأة الداعية في العهد المكي

إن العهد المكي هو بداية مراحل الدعوة الإسلامية، وقد انقسم إلى مرحلتين: الأولى كانت سرية، واستمرت ثلاث سنوات، والثانية أصبحت جهرية، واستمرت عشر سنوات.

ونحن في دراستنا هذه لن نتطرق لتفصيل الأحداث التاريخية لهذا العهد، وإنما سوف نقتصر على ذكر المجالات الدعوية التي شاركت فيها المرأة المسلمة، وقد قسَّمنا هذا الفصل إلى مبحثين، وهما:

١ ـ قيامها بالدعوة داخل بيتها.

٢ ـ قيامها بالدعوة خارج بيتها.

المبحث الأول
قيامها بالدعوة داخل البيت

سوف نتناول في هذا المبحث المجالات الدعوية التي قامت بها المرأة المسلمة في العهد المكي داخل بيتها، مع أفراد أسرتها، وهي:

١ ـ مساندة الزوج وتشجيعه على تبليغ الدعوة.

٢ ـ تربية الأولاد التربية الصحيحة.

٣ ـ التأثير على الزوج ودعوته.

٤ ـ مساندة البنت لأبيها الداعية.

* * *

أولاً: مساندة الزوج وتشجيعه على تبليغ الدعوة

إن الإنسان في هذه الحياة كثيراً ما تواجهه المشاكل والهموم والآلام، ولو بقي وحده لما استطاع حل هذه المشاكل والتخلص منها، إنه بحاجة لمن يشاركه في ذلك، فيزيل عنه الهموم، ويخفف عنه الآلام. هذا بالنسبة لعوام الناس، فما بالك بالداعية الذي يكون عُرضة لهذه المشاكل والهموم، وذلك بسبب إعراض الناس عنه وإيذائهم له، إنه أكثر حاجة لمن يشاركه في ذلك، وهو بحاجة دائمة لمن يشجعه، ويحثه على مواصلة الطريق دون الالتفات إلى هذه الأمور العارضة.

وفي رأيي أن أفضل شخص يصلح لهذه المَهَمَّة هي الزوجة الصالحة المؤمنة الحانية، فهي أقرب الناس إليه، وهي التي تستطيع أن تخفف عنه عبء هذه الهموم، وتستطيع أن تبث في نفسه الاستمرار والثبات، فيكون لها أثر في نجاح الدعوة وانتصارها، وتكون بذلك قد شاركت في تبليغ الدعوة عن طريق غير مباشر.

وموقف أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[1] من رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى لما تستطيعه الزوجة المؤمنة بدعوة الخير أن تقوم به في نجاح زوجها وثباته، واستمراره في دعوته[2].

ولقد روى ابن إسحاق بسنده في قصة نزول الوحي، فقال: قال الرسول ﷺ: **«وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها[3]، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده؛ إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة»**[4].

وقال عن إسلامها: (وآمنت خديجة بنت خويلد وصدَّقت بما جاء من الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدَّق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍّ وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه وتصدِّقه، وتهوِّن عليه أمر الناس)[5].

---

(١) زوج النبي ﷺ، أمها فاطمة بنت زائدة القرشية، ولقد كانت تدعى رضي الله عنها في الجاهلية بالطاهرة، وكانت قبل زواجها من الرسول ﷺ عند أبي هالة بن زرارة التميمي، وقد أنجبت منه هالة، ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومي الذي أنجبت منه هنداً. وكان عمرها عندما تزوجها رسول الله ﷺ أربعين سنة، وعمر الرسول ﷺ خمساً وعشرين سنة، وقد رزق منها أولاده كلهم إلا إبراهيم. ولقد توفيت رضي الله عنها في عام الحزن مع أبي طالب عمِّ الرسول ﷺ، بعد الخروج من الشِّعب بأيام، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان عمرها خمسة وستين سنة، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٧٣. دار الكتاب العربي، بيروت، والطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ١٤ ـ دار صادر، بيروت، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ١٠٩، دار الرسالة، بيروت.

(٢) انظر: السيرة النبوية: دروس وعبر، لمصطفى السباعي ص٥٦، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣) أي مائلاً ومستنداً إليها. لسان العرب ٢/ ٥٦١، مادة (ضيف).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، شرح الخشيني ١/ ٣٠١، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد ـ ومحمد عبد الله صعيليك. مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٥) المصدر السابق.

ولقد أخرج الإمام البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث (بدء الوحي) أنها قالت: (فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة فقال: «زمِّلوني، زمِّلوني»، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي!»، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)[1].

(هذه الكلمات المشرقة بنور الإيمان الفطري، التي تصوِّر مستقبل محمد ﷺ؛ تضيف إلى يقين النبي ﷺ وثباته برسالته، بل إن خديجة رضي الله عنها تريه بهذه الكلمات المشرقة أنها تستبعد كل الاستبعاد ما هجس في نفسه ﷺ، إشفاقاً أن تضعف قواه البشرية عن تحمُّل أثقال ما حمل من أعباء الرسالة، وحرصاً منه ﷺ على تمكنه من تبليغ رسالة ربه، وتخطي ما تصوِّره من عقبات في سبيل ذلك التبليغ. وتضيف هذه الكلمات المشرقة إلى ما تحلَّى به ﷺ من قوة اليقين والصبر ضروباً من المصابرة تزيد في شحنة عزيمته على المضي قُدماً في طريق أداء واجبة نحو هذه الإنسانية المعذبة في الأرض، ليخرجها من ظلمات العبودية الوثنية بصورها وأشكالها الكافرة بتوحيد الله تعالى، وإفراده بالتعبد له وحده، إلى نور التحرر والمساواة)[2].

(وخديجة رضي الله عنها مثلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم. إن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية، ويلقون غبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بله الإدراك والمعونة! وكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم)[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جل ذكره: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء: ١٦٣]، ١/ ٤، حديث ٣١.

(٢) محمد رسول الله ﷺ: منهج ورسالة، لمحمد الصادق إبراهيم عرجون ١/ ٣٠٧ دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) فقه السيرة لمحمد الغزالي ص٨٨. دار الدعوة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

لقد تمثل موقف خديجة رضي الله عنها في طمأنة الرسول ﷺ من قلقه، وإراحته من جهده بتذكيره بما منَّ الله تعالى عليه من الفضائل التي لا يتصف بها إلا عباد الله الأبرار أمثاله، وهؤلاء لا يمكن أن يخذلهم الله عزّ وجلّ، بل إنهم أهل إعزازه وإحسانه.

بهذا الموقف الجليل؛ وبهذا الرأي الراجح استحقَّت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أن يحيِّيها رب العالمين فيرسل إليها بالسلام مع الروح الأمين، فلقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتت فاقرأ عليها السلام من ربها عزّ وجلّ ومني، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب[1]، لا صخب فيه ولا نصَب)[2].

ولذلك استحقت أن تنال المكانة العظيمة في قلب الرسول ﷺ، وأن يبادلها الحب والوفاء في حياتها، بل وبعد مماتها، حيث أنه لم يتزوج عليها في حياتها أحداً، فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة أم المؤمنين[3] رضي الله عنها قالت: (لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت)[4].

وعندما توفيت؛ وبعد سنين حدثت معركة بدر الكبرى، والتي انتصر فيها المسلمون على المشركين، فقتلوا من قتلوا، وأسروا بعضهم، وكان ممن أسر أبو العاص[5] زوج زينب بنت الرسول ﷺ، فبعثت زينب رضي الله عنها في فداء زوجها

---

(١) هو الدرُّ الرطب المرصَّع بالياقوت. القاموس المحيط ص١٦٠، مادة (قصب).

(٢) البخاري في مناقب الأنصار، باب (تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها) ٣/ ١٣٨٩، حديث ٢٦٠٩. ومسلم في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب (فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها) بلفظ: «أتتك» ٤/ ١٨٨٧، حديث ٢٤٣٦.

(٣) بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنهما، تزوجها رسول الله ﷺ مع سودة بنت زمعة بعد وفاة خديجة رضي الله عنها وكان عمرها سبع سنين، ودخل بها في المدينة، وكانت أحب زوجاته إليه، وقد توفي في بيتها. وهي التي اتهمت بحادثة الإفك زوراً ونزلت براءتها من السماء وشاركت في موقعة الجمل، وتوفيت رضي الله عنها سنة ثمان وخمسين للهجرة. الإصابة ٤/ ٣٤٨، الطبقات الكبرى ٨/ ٥٨، أسد الغابة ٥/ ٥٠١، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٥.

(٤) صحيح مسلم، في الموضع السابق ٤/ ٢٨٨٩، حديث ٢٤٣٧.

(٥) ابن الربيع. أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة أم المؤمنين، وكان يلقَّب بـ (جرو=

أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت بقلادة لها؛ كانت خديجة ﵂ أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وذلك لأنها ذكرته بزوجه الحبيبة الوفية[1].

وأخرج الإمام البخاري عن عائشة ﵂ قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة؛ وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن بالدنيا إلا خديجة؟! فيقول: **«إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»**[2].

وعنها أيضاً قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة؛ وإني لم أدركها. قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: **«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»**. قالت: فأغضبته يوماً، فقلت: خديجة؟! فقال: **«إني قد رزقت حبها»**[3].

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى وأحسن الثناء. قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، وقد أبدلك الله خيراً منها! فقال: **«ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدَّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس»**[4].

هذا هو الحب والوفاء الذي يكون بين الزوجين الصالحين، ولنعلم أن

= البطحاء)، واختلف في اسمه، فقيل: لقيط، وهشيم، والزبير، ومهشم. أسلم بعد الهجرة، وكان من المعدودين من أهل مكة مالاً وأمانة وتجارة. الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١٠١.

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٥٨.

(٢) صحيح البخاري، الموضع السابق، حديث ٣٦٠٧.

(٣) أخرجه مسلم في الموضع السابق، حديث ٢٤٣٥.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، لأحمد بن عبد الرحمن البنا ٢٠/ ٢٤٠. دار الشهاب، القاهرة. وقال محمد بن بكر الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٢٢٧، مؤسسة المعارف ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

الرسول ﷺ عندما توفيت خديجة رضي الله عنها قد ناله من الأسى والحزن الشيء الكثير، لأنه بوفاتها قد فقد لوناً من الوفاء الصدوق، والحب العقول الأمين، فلقد كانت دعامة من دعائم الإخلاص الوفي، وقوة اليقين، ووفور العقل. كل ذلك كان في شخصية خديجة، تلك الشخصية الصامتة الفريدة[1].

هذا هو النموذج الأمثل لما يجب أن تقوم به الزوجة تجاه زوجها الداعية من التشجيع والمساندة للثبات ومواصلة السير في طريق تبليغ دعوة الله. وهناك أمثلة أخرى لصحابيات جليلات، كن فيه خير معين لأزواجهن رضي الله عنهن جميعاً، ولكننا ركزنا الحديث على خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها لأنها أول قدوة للزوجة المسلمة، فهي أول زوجات النبي ﷺ؛ قائد هذه الأمة.

ومن النماذج الأخرى؛ مشاركة سميَّة بنت خياط[2] زوجها ياسر في الثبات على الحق، حينما تعرضت هي وزوجها وولدها عمار رضي الله عنهم جميعاً لكيد وتعذيب المشركين من بني مخزوم، فكانت مشاركتها هذه خير مشجع ومعين له على الثبات، وخاصة عندما استشهدت أمام ناظريه.

ومثال آخر هو مشاركة بعض الصحابيات لأزواجهن في الهجرة إلى أرض الحبشة، كرقية بنت الرسول ﷺ، وأم حبيبة أم المؤمنين، وأسماء بنت عميس رضي الله عنهن جميعاً[3].

* * *

---

(١) بتصرف: محمد رسول الله لصادق عرجون ١/ ٣١١.

(٢) وقيل: بنت خبط، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة الذي أعتقها بعد تزويجها لحليفه ياسر بن عامر العنسي والد عمار. من السابقات في الإسلام، فقد كانت سابع سبعة إظهاراً للإسلام، ولقد عذبت في الله عز وجل وصبرت حتى لقيت ربها شهيدة على يد عدو الله أبي جهل، حيث طعنها بحربة في موضع عفتها، فأصبحت أول شهيد في الإسلام.
انظر: الإصابة ٤/ ٣٢٧، والطبقات الكبرى ٨/ ٢٦٤، والاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي المالكي بحاشية الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٢٧١.

(٣) سيكون لذلك تفصيل في موضع لاحق

ثانياً: تربية الأولاد التربية الصحيحة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ . . .﴾[1]. قال قتادة: (تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية لله قذعتهم عنها وزجرتهم عنها). وقال الضحاك ومقاتل: (حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه)[2].

إن هذه المسؤولية واقعة على كل من الرجل والمرأة على حد سواء، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. الإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية وهي مسؤولة عن رعيتها**»[3].

(إن البيت الواحد قلعة من قلاع هذه العقيدة، ولا بد أن تكون هذه القلعة متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، كل فرد يقف على ثغرة لا يُنفذ إليها، وإلاَّ تكن كذلك سهل اقتحام المعسكر من داخل قلاعه، فلا يصعب على طارق، ولا يستعصي على مهاجم. وواجب المؤمن أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله، وواجبه أن يؤمن هذه القلعة من داخلها، وواجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً.

ولا بد من الأم المسلمة، فالأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين القلعة، لا بد من أب وأم ليقوما على الأبناء والبنات، فعبثاً يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامي بمجموعة من الرجال. لا بد من النساء في هذا المجتمع، فهن الحارسات على النشء، وهو بذور المستقبل وثماره، ومن ثم كان القرآن يتنزَّل للرجال والنساء، وكان ينظم البيوت، ويقيمها على المنهج الإسلامي، كان يحمل المؤمنين تبعة أهليهم كما يحملهم تبعة أنفسهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٩٢.

(٣) أخرجه البخاري في الجمعة، باب (الجمعة في القرى والمدن) ١/ ٣٠٤، حديث ٨٥٣.

قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا...﴾[1]. هذا أمر ينبغي أن يدركه الدعاة إلى الإسلام جيداً. إن أول الجهد ينبغي أن يوجهه إلى البيت، إلى الزوجة، إلى الأم، ثم إلى الأولاد، وإلى الأهل بعامة، ويجب الاهتمام البالغ بتكوين المسلمة لتنشئ البيت المسلم، وينبغي لمن يريد بناء بيت مسلم أن يبحث له أولاً عن الزوجة المسلمة، وإلا فسيتأخر طويلاً بناء الجماعة الإسلامية، وسيظل البنيان متخاذلاً، كثير الثغرات)[2].

والذي نحن بصدده هو ما يتعلق بدور الأم في تكوين الأسرة المسلمة؛ المتمثل في تربيتها للأولاد والعناية بهم ليكونوا بذرة صالحة تخدم مجتمعها ودينها في المستقبل، وإنها مخاطبة في الآية الكريمة والحديث الشريف، وهي في التأثير على الأبناء أقدر من الأب، وذلك لاتصالها بهم منذ اللحظة الأولى من ولادتهم، ولأنها معهم أغلب الأوقات، فيمكنها أن تغرس فيهم الصلاح والتقوى أكثر من الأب.

عن سبرة ﷺ قال: يقول الرسول ﷺ: «**مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها**».[3] وعنه قال: يقول الرسول ﷺ: «**علِّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر**»[4]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، وينصِّرانه، ويمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[5]، هل تحسُّون فيها من جدعاء؟**»[6]. ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦١٩.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب (متى يؤمر الغلام بالصلاة) ١/ ١٣٣، حديث ٤٩٤. وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن أبي داود ١/ ٩٧، حديث ٤٦٥.

(٤) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب (ما جاء في متى يؤمر الصبي بالصلاة) ٢/ ٢٥٩، حديث ٤٠٧، وقال: حديث حسن صحيح، وكذا قال الألباني. صحيح سنن الترمذي ١/ ١٢٨، حديث ٣٤٤.

(٥) هي السليمة من النقص، وهي تأنيث لا جمع، وهو واحد في معنى الجمع. لسان العرب ١/ ٥٠١، مادة (جمع).

(٦) هي المقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء. اللسان ١/ ٤١٨، مادة (جدع).

إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[1] [2].

وعنه في رواية أخرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه**»، قيل: يا رسول الله، فمن هلك قبل ذلك؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين به**»[3].

وفي السيرة النبوية نجد أن أول أسرة مسلمة تكوَّنت هي أسرة بيت النبوة، فلقد كانت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها أول من آمن وصدق بالرسول ﷺ، ثم أسلمت بناتها الأربع[4] بعد ذلك، وذلك بفضل الله تعالى، ثم حسن تربية خديجة رضي الله عنها لهن وإعدادها لهن لمثل هذا الأمر.

وهناك نموذج آخر يتبيَّن فيه موقف الأم وأثرها في إعداد الابن الصالح المدافع عن دين الله تعالى ودعوته. ذكر ابن سعد بإسناده عن برة بنت أبي تجراة قالت: عرض أبو جهل وعدة من كفار قريش للنبي ﷺ فآذوه، فعمد طليب بن عمير[5] إلى أبي جهل، فضربه ضربة فشجَّه، فأخذوه وأوثقوه، فقام دونه أبو لهب حتى خلاه، فقيل لأروى[6]: ألا ترين ابنك طليباً قد صيَّر نفسه غرضاً من دون محمد؟ فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله وقد جاء

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) أخرجه مسلم في القدر، باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) ٤/ ٢٠٤٧، حديث ٢٦٥٨.

(٣) أخرجه الترمذي في القدر، باب (ما جاء في كل مولود يولد على الفطرة) ٤/ ٤٤٧، حديث ٢١٣٨، وقال: حديث حسن صحيح، وقد صححه الألباني. صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٢٥، حديث ١٧٣٧.

(٤) وهن: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة رضي الله عنهن.

(٥) ابن أروى بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ. أسلم في دار الأرقم، ثم دخل على أمه وأخبرها بخبر إسلامه، فأثنت عليه، ولقد هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً، واستشهد بأجنادين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٢٥.

(٦) لقد تزوجت من عمير بن وهب فولدت له طليباً، ثم خلف عليها أرطاة بن شرحبيل فولدت له فاطمة. وقيل: بل خلف عليها كلدة بن عبد مناف فولدت له أروى. ولقد أسلمت رضي الله عنها بعد إسلام ابنها طليب، ثم كانت تعضد النبي ﷺ وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره. انظر: الإصابة ٤/ ٢٢٢، والطبقات الكبرى ٨/ ٤٢، والاستيعاب ٤/ ٢٢٠.

بالحق من عند الله، فقالوا: لقد اتبعت محمداً؟! قالت: نعم، وقالت:

إن طليباً نصر ابن خاله   آساه في ذي ذمة وماله[١]

لقد أعطى هذا الموقف طليباً شحنة قوية للثبات على طريق الحق، ومواصلة دفاعه عن النبي ﷺ وعن الدعوة الإسلامية.

ثالثاً: دعوة الزوج

لقد كان عدد المسلمين في مكة قليلاً جداً، وأكثرهم من الرجال، وكان إسلام بعضهم بعد إسلام أزواجهن أو معهم، لذلك فإني لم أجد في العهد المكي ما أقف عليه من النماذج أو المواقف التي حاولت فيها الزوجة التأثير على زوجها ودعوته إلى الإسلام؛ إلا ما كان من أم حبيبة[٢] رضي الله عنها مع زوجها عبيد الله بن جحش، فلقد أسلمت وهاجرت معه فراراً بدينها إلى الحبشة، وبعد فترة ارتد زوجها عن الإسلام ودخل في النصرانية.

ذكر ابن سعد بإسناده عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: قالت أم حبيبة: (رأيت في النوم عبيد الله بن جحش بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة، إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية؛ وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم رجعت إلى النصرانية. فقلت: والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأيت، فلم يحفل بها، وأكبَّ على شرب الخمر حتى مات)[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢.

(٢) هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان، وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان. تزوجها عبيد الله بن جحش فولدت له حبيبة التي كنيت بها، وقد أسلمت بمكة مع زوجها، ثم هاجرت معه إلى الحبشة في الهجرة الثانية. وبعد أن ارتد زوجها وهلك؛ خطبها رسول الله ﷺ، ووكل النجاشي في نكاحها، فزوجها النجاشي، ودفع صداقها أربعمائة دينار، وأوْلَمَ لمن حضر الخطبة، ثم أرسلها إليه في المدينة سنة ست للهجرة، وقيل: سبع، ولما بلغ الخبر أبا سفيان قال: هو الفحل لا يجدع أنفه.
ولقد توفيت رضي الله عنها سنة أربع وأربعين للهجرة. انظر: الإصابة ٤/٢٩٨، والطبقات ٨/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ٢/٢١٨.

(٣) **الطبقات الكبرى**: ٨/ ٩٠.

يتبين لنا في هذه الرواية حرص أم حبيبة رضي الله عنها على هداية زوجها عبيد الله وإعادته إلى رشده ودينه الصحيح بعد أن رأته يغرق في الضلال بعزمه على الارتداد عن الإسلام، وهو الأمر الذي سيُرديه في قعر جهنم والعياذ بالله، وهو الأمر الذي لا ترتضيه لزوجها أبداً، وهي الزوجة الوفية لزوجها الذي شاركها منذ بدء إسلامهما في كل خير، وفي محنتهما أيضاً حينما لقيا المعارضة والإيذاء والسخرية من مشركي قريش، وهو الأمر الذي اضطرهم إلى الهجرة إلى أرض الغربة، بعيداً عن الأهل والأحبة. هذه الزوجة التي تحمَّلت المشاق والتعب في سبيل الله عزّ وجلّ، وبعد أن استقر بهما المقام وشعرا بالأمان على أنفسهما وعقيدتهما يرتد هذا الزوج والشريك؟! إنه أمر شديد الوقع على نفس هذه الصحابية الجليلة والزوجة الوفية، التي تمنَّت دوام هذه المشاركة إلى نهاية مشوار الحياة، ولكنها مشيئة الله تعالى وقدره عزّ وجلّ التي لا يعلوها شيء.

* * *

رابعاً: مساندة البنت لأبيها الداعية

ومن المواقف الدعوية التي قامت بها المرأة في نصرة دينها ودعوته؛ مساندة البنت لأبيها الداعية، ومناصرته برغم ضعف قوتها، وقلة حيلتها.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش؛ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى[1] جزور، فقذفه على ظهر النبي ﷺ، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة[2] رضي الله عنها فأخذته من ظهره ودعت على من

---

(١) هي جلدة فيها ولد الناقة، كالمشيمة في الإنسان، ويكون فيها ماء قذر ودماء. القاموس المحيط ص١٦٧٢، مادة (سلي).

(٢) هي أصغر بنات النبي ﷺ، وقد ولدت قبل البعثة بقليل، وهي سيدة نساء العالمين، وقد كانت أعطف بناته عليه ﷺ حتى سمِّيت بـ(أم أبيها). تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذي القعدة بعد وقعة بدر الكبرى، ودخل بها بعد أحد، فولدت له الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم وزينب وكانت صابرة ديِّنة قانعة شاكرة لله تعالى. وقد توفيت رضي الله عنها بعد النبي ﷺ بخمسة أو ستة أشهر، وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة.

انظر: الإصابة ٤/ ٣٦٥، والطبقات ٨/ ١٩، والاستيعاب ٤/ ٢٦٤، وأسد الغابة في أسماء الصحابة لابن الأثير ٥/ ٥١٩. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

صنع، فقال النبي ﷺ: **«اللهم عليك بالملأ من قريش: أبا جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف»**، أو أبيّ بن خلف ـ شكاً من الراوي، فرأيتهم قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر، غير أمية أو أبيّ، تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر[1].

في هذه الرواية تجلى لنا موقف عظيم لفتاة صغيرة في سن الصبا، سن الضعف البدني، خاصة بالنسبة للبنت، ولكن هذا الضعف البدني عندما تغذى بالإيمان قد أصبح قوياً، إن فاطمة ﵂؛ تلك الفتاة التي لم يشتد عودها بعد؛ عندما رأت ما حل بأبيها ﷺ من قبل أشقى القوم عقبة بن أبي معيط نسيت سنها الصغير، وجسمها الضعيف، وتذكرت إيمانها بربها وبرسوله الذي يجب الدفاع عنه، وتجنيبه الأذى، فهبّت مسرعة نحوه لتزيل عنه ذلك الأذى الذي أصابه، ثم أقبلت على أولئك المجرمين من مشركي قريش لتشبعهم توبيخاً وقرعاً، وتدعو ربها بأن يريها فيهم يوماً أسوداً، وهو ذات دعاء الرسول ﷺ عليهم، والذي استجاب له ربه عزّ وجلّ في معركة بدر، فكان مصيرهم السيء؛ في الدنيا قبل الآخرة.

* * *

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب (ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة) ٣/١٣٩٩، حديث ٣٦٤١.

المبحث الثاني
قيامها بالدعوة خارج بيتها

لقد تحدثنا في المبحث السابق عن المجالات الدعوية التي أسهمت فيها المرأة المسلمة في العهد المكي داخل بيتها ومع أهلها من الزوج والأب والأم والأولاد، وفي هذا المبحث سوف نتناول بإذن الله تعالى المجالات التي ساهمت فيها خارج بيتها مع المجتمع الجاهلي في مكة، وهي:

أولاً: تبليغ الدعوة في صفوف النساء.

ثانياً: التعرض للتعذيب والثبات على الحق.

ثالثاً: الهجرة إلى الحبشة فراراً بالدين.

رابعاً: الجهاد بالمال.

خامساً: مساعدة الرسول ﷺ في هجرته وحفظ سرّه.

سادساً: المشاركة في البيعة للرسول ﷺ.

سابعاً: الهجرة إلى الدولة الإسلامية.

* * *

أولاً: تبليغ الدعوة في صفوف النساء

لقد بدأت الدعوة الإسلامية بمرحلة سرية، وذلك لما رآه الرسول ﷺ بتسديد من الله عزّ وجلّ وتوفيقه؛ بأن الحكمة تقتضي منه في أول خطوات سير الدعوة ألا يُسرع في إعلان دعوته في مجتمع قومه المتعزز بوثنيته، والمتعظم بشروره ومفاسده الخلقية والاجتماعية، وألا يجهر لهم بتبليغ رسالته إليهم، وأن يتخذ من بدء الإنذار العام تمهيداً يسري فيه صوت الدعوة إلى المجتمع هامساً هادئاً، ليهيئ القلوب والأسماع التي تقبل الصيحة المدوية

عندما تحين فرصتها في الغد القريب، ولذلك آثر الرسول ﷺ الاستسرار بالدعوة، والاستخفاء بالتبليغ في مطلع سير الرسالة بعض الوقت، ليعد لها أرضاً صلبة يقف عليها في جهادها. ولم يكن الاستخفاء بالدعوة واستسرارها موقفا سلبياً لا حركة فيه، ولكنه أبلغ موقف إيجابي في دوافعه وآثاره، لأنه كان موقف التأسيس والإعداد، والتربية الجهادية، وتخير المواد لبناء المجتمع الإسلامي التي تحيا في ظله الرسالة الخالدة، لتكون هذه المواد قوية التماسك، شديدة الصلابة في إيمانها، موحدة الحركة في غايتها، لذلك كان الصحابة الأولون رضوان الله عليهم لا يدعون الكافر العنيد، بل يتخيرون من يأنسون إليه، ويرون في قلبه قبس من نور الفطرة الأصيلة. ولذلك تمكنت الدعوة من السير إلى القلوب والعقول، فدلف في حظيرتها في دار استخفافها عدد غير قليل من فتيان قريش وذوي بيوتاتها من صادقي الإيمان، والأقوياء في العقيدة[١].

ولقد ذكر ابن إسحاق أسماء السابقين إلى الإسلام ممن أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح[٢]، وهم جميعاً من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم.

ولم تقتصر مهمة التبليغ على الرجال فقط، بل لقد كان للمرأة المسلمة دور في هذه المهمة. فقد قامت أم شريك[٣] رضي الله عنها بالدعوة سراً في أوساط النساء بمكة رغم معارضة قريش الشديدة لذلك. ويتجلّى ذلك فيما رواه ابن

---

(١) بتصرف: محمد رسول الله، لصادق عرجون ١/ ٥٩٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٧.

(٣) اختلف في اسمها ونسبها اختلافاً كبيراً، فقيل: غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية، وقيل: بنت دودان بن عوف من بني عامر، وقيل: غزيلة باللام، وقيل: هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ في قوله تعالى: **﴿وامرأة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾** [الأحزاب: ٥٠]، فلم يقبلها، وقيل: قبلها ودخل بها ثم طلقها.
صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٥٣. تحقيق وتعليق محمود فاخوري. تخريج محمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، والإصابة ٤/ ٤٦٦، وأسد الغابة ٥/ ٥٩٤.

عباس ﷺ حيث قال: (وقع في قلب أم شريك ﷺ الإسلام، فأسلمت وهي بمكة، وكانت تحت أبي العكر الدوسي، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، لكنا سنردك إليهم)[1].

* * *

ثانياً: التعرض للتعذيب والثبات على الحق

لقد قلنا قبل ذلك أن الدعوة الإسلامية في العهد المكي قد بدأت بمرحلة سرية، والتي استمرت لمدة ثلاث سنين، وبعد ذلك بدأت المرحلة الثانية وهي الجهر بهذه الدعوة على الملأ، حيث قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾[2].

قال ابن إسحاق[3]: (ثم إن الله عزّ وجلّ أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاء به، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه. وكان ما بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه. ثم قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[4].

قال ابن عباس ﷺ لما نزلت الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» ـ لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟**»، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «**فإني نذير لكم، بين يدي عذاب شديد!**»، فقال أبو لهب: تبًّا

---

(١) المرجع السابق.
(٢) سورة الحجر: الآية ٩٤.
(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٢٥.
(٤) سورة الشعراء: الآيات ٢١٤ ـ ٢١٦.

لك؛ ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[1].[2].

قال ابن إسحاق: (ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسون ويعذبون بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر؛ من استضعفوا منهم؛ يفتنونهم عن دينهم، منهم من يفتتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم)[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سُمَيَّة، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم[4] على ما أرادوا، إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان عليه قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد، أحد)[5].

ولا يكاد التاريخ يعرف قوماً ابتلوا وفتنوا مثل ما عرف ذلك لأصحاب النبي ﷺ، لقد عذبوا عذاباً شديداً، تنوء به الجبال، وأوذوا في سبيل عقيدتهم

---

(١) سورة المسد: الآيتان ١، ٢.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب (تفسير سورة الشعراء) ٤/١٧٨٧، حديث ٤٤٩٢.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٩٢.

(٤) أصلها (آتاهم) بالهمزة، ثم قلبت الهمزة واواً، والإيتاء معناه: الإعطاء، من أتى فلاناً شيئاً: أي أعطاه إياه. القاموس المحيط ص١٦٢٣، مادة (أتى). والمعنى في الحديث: أي وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقية، والتقية في مثل هذه الحالة جائزة، لقوله تعالى: ﴿إلا من أكرِه وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل: ١٠٦]. محمد فؤاد عبد الباقي سنن ابن ماجه ١/٥٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب (فضل سلمان وأبي ذر والمقداد) ١/٥٣، حديث ١٥٠. وقال محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه: ذكر في الزوائد: إسناده ثقات. وأخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك من طريق عاصم بن أبي النجود، به. وهو حديث حسن. انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/٣٠.

ودينهم أشد الإيذاء، ولا سيما العبيد والضعفاء منهم، ومع ذلك إلا أنهم صبروا واحتسبوا، وليس هذا بعجيب من قوم خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان من أول يوم اعتنقوا فيه الإسلام.

ولقد وقع هذا الإيذاء والتعذيب على الرجال والنساء معاً، ولكننا سنقتصر في حديثنا على ذكر النماذج المتعلقة بالنساء فقط؛ لارتباطه بموضوعنا.

فمن هذه النماذج وأعظمها؛ موقف سمية بنت خياط[1]، فقد عذبت مع زوجها ياسر وابنها عمار على أيدي بني مخزوم، قال ابن إسحاق: (وكانت بني مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر الرسول ﷺ فيقول: «**صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة**». فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام)[2].

وهذه أم شريك[3] رضي الله عنها تقول ـ حينما اكتشف أهل قريش أمرها وقبضوا عليها ثم أرسلوها إلى أهلها: (فحملوني على بعير ليس تحتي شيء، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس واستظلوا منها، وحبسوني عن الطعام والشراب، فبينا هم نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس؛ إذ أنا ببرد شيء على صدري فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً ثم نزع مني فرفع، ثم عاد فتناولته فشربت منه، ثم رفع، ثم عاد فتناولته، ثم رفع مراراً، ثم تركت فشربت حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا؛ إذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟! قلت: لا والله،

---

(١) سبقت ترجمتها ص٥٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٥. قال المحقق: رواه ابن إسحاق، بلاغاً، والبلاغ منقطع. رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٨٨ من طريق ابن إسحاق، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي. ورواه الطبراني، ورجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٩/ ٢٩٣، وفي الأوسط، ورجاله رجال الصحيح؛ غير إبراهيم بن عبد العزيز المقدم وهو ثقة. رواه البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٨٢ من طريق الحاكم. فيكون الحديث صحيحاً من رواية الحاكم.

(٣) سبقت ترجمتها ص٦٤.

ولكنه كان من الأمر كذا وكذا. قالوا: لئن كنت صادقة؛ لدينك خير من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها، فأسلموا عند ذلك)[١].

وممن اشتهرن في بطولة الصبر واحتمال الأذى والبلاء؛ النهدية وابنتها[٢]، فقد كانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمر أبو بكر الصديق ﷺ وقد بعثهما سيدتهما بطحين لها ـ وكانت تعذبهما بتكليفهما بالأعمال الشاقة التي لا تطاق، فكانت تقول لهما: والله ما أعتقكما أبداً، فسمع أبو بكر كلامها، فقال لها: حل يا أم فلان ـ أي: تحللي من آليتك وقسمك، فقالت: حل فأنت أفسدتهما فأعتقهما. قال الصديق: فبكم هما؟ قالت العبدرية: بكذا وكذا. قال: قد أخذتهما، وهما حرَّتان، أرجعا إليها طحينها. قالت النهديتان: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟! قال أبو بكر: ذلك لكما إن شئتما[٣].

ومنهن زنيرة الرومية[٤]، أمة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد أسلمت قبله، فكان يضربها حتى يفتر، فيأتي عدو الله أبو جهل ليشاركه في ضربها، فلا يزيدها ذلك إلا إصراراً على الإسلام[٥].

ومنهن أم عبيس[٦]، إحدى السابقات إلى الإسلام، وممن عُذِّب، وقد كانت فتاة لبني تميم بن مرة، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها[٧].

ومنهن جارية بني المؤمل[٨] التي ذكرها ابن إسحاق، فقال: (إن أبا بكر الصديق ﷺ أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة، وهم: بلال، وعامر بن

---

(١) الإصابة ٤/٤٦٦، وأسد الغابة ٥/ ٥٩٤، وصفة الصفوة ٢/ ٥٣.

(٢) من السابقين إلى الإسلام، وقد ذكرتا مع السبعة الذين اشتراهم أبو بكر وأنقذهم من التعذيب. انظر: الإصابة ٤/ ٣٠٥، وأسد الغابة ٥/ ٤٦٢.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٥٦. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٤) ذكرت فيمن اشتراهم أبو بكر الصديق ﷺ. انظر: الإصابة ٤/ ٣٠٥، وأسد الغابة ٥/ ٤٦٢.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٣.

(٦) زوجة كريز بن ربيعة بن حبيب، ولدت له عبيساً فكنيت به. انظر: الإصابة ٤/ ٤٥٧، وأسد الغابة ٥/ ٦٠١.

(٧) المصدر السابق.

(٨) ذكرت فيمن اشتراهم أبو بكر الصديق. انظر: الإصابة ٤/ ٤٥٤.

فهيرة[١]، وزنيرة، وجارية بن المؤمل، والنهدية وابنتها، وأم عبيس)[٢].

كل أولئك قد ابتلين في الله وعُذِّبن العذاب الشديد، ولكنهن صبرن واحتسبن ذلك عند الله تعالى، فكن نعم القدوات في الصبر والتضحية وتحمل الأذى في الله عزّ وجلّ.

* * *

ثالثاً: الهجرة إلى الحبشة

بعد أن بلغ الكيد والبطش مبلغه، فكاد أن يفتنهم عن دينهم؛ رأى رسول الله ﷺ ـ بوحي من الله تعالى ـ أنه لا بد من ابتعاد أصحابه عن موطن الفتنة، بأن يهاجروا إلى أرض تكون أكثر أمناً، وقد وقع اختياره على الحبشة التي يحكمها النجاشي[٣].

قال ابن إسحاق: (فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء؛ قال لهم: **«لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملك لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»**. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام)[٤].

ولقد كان للمسلمين هجرتان إلى الحبشة، الأولى: هاجر فيها عشرة رجال وخمس من النسوة، وهن:

---

(١) التيمي، مولى أبي بكر الصديق وأحد السابقين إلى الإسلام، وكان ممن عذِّب في الله، وهو الذي شارك في الهجرة النبوية بطمس أثر أقدام عبد الله بن أبي بكر الذي يأتيهما بأخبار أهل قريش كل يوم وذلك بالمرور عليها بقطيع الأغنام. الإصابة ٢/ ٢٤٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٣.

(٣) هو أصحمة بن أبجر ملك الحبشة، واسمه بالعربية (عطية)، والنجاشي لقب للملك في الحبشة، ولقد أسلم عندما جاءه المهاجرون وسمع منهم القرآن، ولم يهاجر. وتوفي في رجب سنة تسع للهجرة، فصلّى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب. الإصابة ١/ ١١٧.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٨. قال المحقق: الحديث رواه ابن إسحاق معلقاً، ولقد رواه الذهبي في السيرة بسند آخر متصل صحيح.

١ ـ رقية بنت الرسول ﷺ[١].

٢ ـ أم سلمة بنت أمية[٢].

٣ ـ سهلة بنت سهيل[٣].

٤ ـ ليلى بنت أبي خيثمة[٤].

٥ ـ أم كلثوم بنت سهيل[٥]. ثم وصل إلى أسماعهم وهم في الحبشة خبر كاذب مفاده أن قريشاً قد أنهت عداءها للإسلام والرسول ﷺ، فصدَّق

---

(١) اختلف في ترتيبها، والأقرب أنها الثانية بعد زينب. تزوجت من ابن عمها عتبة بن أبي لهب، فلما نزلت: ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾ [المسد: ١] قال له أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته، ففارقها قبل دخوله بها، ثم تزوجها عثمان بن عفان ﷺ، وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين معاً، وولدت له عبد الله، ولكنه توفي وهو صغير حينما نقره ديك في وجهه. وتوفيت ﷺ قبل عودة الرسول ﷺ من بدر بأيام. انظر: الإصابة ٤/٢٢٩، وأسد الغابة ٥/٤٥٦.

(٢) أم المؤمنين هند بنت زاد الركب أبي أمية سهيل بن المغيرة المخزومي؛ أحد الأجواد، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة. تزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وهو أخو النبي ﷺ من الرضاعة، فهاجرت معه إلى الحبشة وولدت له سلمة، وفي المدينة ولدت له زينب وعمر ودرة. وبعد أن توفي أبو سلمة بسبب جرح أصابه في أحد قدِم إليها النبي ﷺ وخطبها، وذلك في جمادى الآخرة سنة أربع للهجرة. ولقد توفيت ﷺ سنة تسع وخمسين، وقيل إحدى وستين، وكانت آخر أمهات المؤمنين وفاة. انظر: الإصابة ٤/٤٣٩، والطبقات الكبرى ٨/٨٦، وأسد الغابة ٥/٥٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٠١.

(٣) أسلمت قديماً مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له سليطاً، ثم خلف عليها الشماخ بن سعيد فولدت له عامراً، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عوف فولدت له سالماً. ولما استحيضت أتت النبي ﷺ فأمرها أن تغتسل لكل صلاة، فلما جهدها ذلك أمرها أن تجمع بين الظهر والعصر بغسل واحد. انظر: الإصابة ٤/٣٢٩، والطبقات ٨/٢٧٠، وأسد الغابة ٥/٤٨٣.

(٤) هاجرت الهجرتين مع زوجها عامر بن ربيعة حليفة آل الخطاب، وقيل أنها أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة. الإصابة ٤/٣٨٧، والطبقات ٨/٢٦٧، وأسد الغابة ٥/٥٤١.

(٥) أخت أبي جندل، وأمها فاختة بنت عامر بن نوفيل. أسلمت قديماً، هاجرت مع زوجها أبي سبرة بن أبي رهم إلى الحبشة، وولدت له محمداً وعبد الله. انظر: الإصابة ٤/٤٦٧، والطبقات ٨/٢٧٢، وأسد الغابة ٥/٦١٣.

البعض منهم هذه الشائعة الكاذبة وعادوا إلى مكة، وما إن اقتربوا منها حتى أدركوا حقيقة الخبر وكذبه، وأنه ما هو إلا إشاعة كاذبة روَّجها المشركون ليعود المهاجرون إلى مكة فينتقموا منهم بالتعذيب الشديد، بسبب فرارهم منهم.

ثم حدثت الهجرة الثانية، وكان عدد المشاركين فيها أكبر بكثير من الهجرة الأولى، فلقد هاجر ما يقارب الثمانين شخصاً، كان معهم اثنتا عشرة امرأة، إضافة إلى من هاجر في الهجرة الأولى[1]. وهؤلاء النسوة هن:

١ ـ أم حبيبة[2].

٢ ـ سودة بنت زمعة[3].

٣ ـ أسماء بنت عميس[4].

٤ ـ فاطمة بنت صفوان بن أمية[5].

٥ ـ أمينة بنت خلف بن أسعد[6].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/٣٩٨.

(٢) سبقت ترجمتها ص٦٠.

(٣) أم المؤمنين، كانت عند السكران بن عمرو وهاجرت معه إلى الحبشة، وبعد أن توفي عنها بعد رجوعه من الحبشة خطبها رسول الله ﷺ إكراماً لها ولمواقفها في الإسلام، وهي أول زوجة يتزوجها بعد خديجة رضي الله عنها، وانفردت به نحو ثلاث سنين أو أكثر، حتى دخل بعائشة رضي الله عنها. ولما خشيت أن يطلقها وهبت يومها لعائشة على أن تبقى في ذمته ﷺ. ولقد توفيت في آخر خلافة عمر. انظر: الإصابة ٤/ ٣٣٠، والطبقات ٨/ ٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٣.

(٤) أسلمت مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجرت معه إلى الحبشة، فولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً، ثم هاجرت إلى المدينة سنة سبع، وقال لها رسول الله ﷺ: **«للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان»**. وبعد أن استشهد جعفر رضي الله عنه في مؤتة تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فولدت له محمداً، وبعد وفاته خلف عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له يحيى وعوناً. ولقد عاشت رضي الله عنها إلى ما بعد وفاة علي، ولم يذكر تاريخ وفاتها. انظر: الإصابة ٤/ ٢٢٥، والطبقات ٨/ ٢٨٠، وأسد الغابة ٥/ ٣٩٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٢.

(٥) من السابقين، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عمرو بن سعيد بن العاص وتوفيت هناك. الإصابة ٤/ ٣٧٠.

(٦) هاجرت مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص، وقد ولدت له سعيداً وأم خالد. وهي عمة طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة، الإصابة ٤/ ٢٣٧.

٦ - بركة بنت يسار[١].

٧ - فكيهة بنت يسار[٢].

٨ - أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة[٣].

٩ - رملة بنت أبي عوف بن صبرة[٤].

١٠ - ريطة بنت الحارث بن جبلة[٥].

١١ - حسنة[٦].

١٢ - عمرة بنت السعدي بن وقدان[٧].

لقد شاركت الصحابيات رضي الله عنهن أزواجهن في هذه الهجرة التي تعتبر فراراً بدين الله تعالى، وحفظاً للعقيدة من الافتتان، لقد تحمَّلن فيها ما تحمَّلن من المشقة والتعب؛ كل ذلك في سبيل الله عزّ وجلّ، ومشاركة منهن لأزواجهن في الأجر والمثوبة عند الله تعالى بحفظ الدين وحمايته.

* * *

---

(١) مولاة أبي سفيان بن حرب. وأصلها من كندة. هاجرت مع زوجها قيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة. الإصابة ٤/ ٢٤٣.

(٢) أخت بركة بنت يسار. هاجرت مع زوجها خطاب بن الحارث. الإصابة ٤/ ٣٧٦.

(٣) هاجرت مع زوجها جهم بن قيس. الإصابة ٤/ ٤٢٤.

(٤) أسلمت قبل الدخول في دار الأرقم، وهاجرت مع زوجها المطلب بن أزهر بن عبد عوف، وولدت له عبد الله، ويقال بأنه أول من ورث أباه في الإسلام. الإصابة ٤/ ٣٠٠.

(٥) قيل أن اسمها رابطة. زوجة الحارث بن خالد بن صخر. وأمها زينب بنت عبد الله بن ساعدة. هاجرت إلى الحبشة مع زوجها فولدت له موسى وعائشة وزينب، فمات موسى بالحبشة، وماتت هي ﷺ في طريق عودتها من الحبشة. الإصابة ٤/ ٢٩٢.

(٦) والدة شرحبيل بن حسنة. هاجرت إلى الحبشة مع زوجها سفيان بن معمر بن وهب القرشي الجمحي. الإصابة ٤/ ٢٦٤.

(٧) أخت سهل بن سعد، وقيل اسمها عميرة. هاجرت مع زوجها مالك بن زمعة بن قيس أخو سودة أم المؤمنين. الإصابة ٤/ ٣٥٦.

رابعاً: الجهاد بالمال

من المجالات الدعوية التي ساهمت فيها المرأة المسلمة في العهد المكي؛ الجهاد في سبيل الله تعالى بالمال، فلقد كان النبي ﷺ في هذه الفترة بحاجة شديدة لمثل هذا النوع من الجهاد، وذلك لإعداد القاعدة الأولى، ولتحرير رقاب المسلمين المستعبدة، كما استفاد من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه في إعتاق سبعة رقاب من رقاب المسلمين، على رأسهم بلال بن رباح رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ.

وبما أن المرأة ضعيفة في بنيتها، ولا يمكن الاعتماد عليها في الأمور التي تحتاج إلى القوة البدنية كالقتال، فيمكن الاستفادة منها في الأمور الأخرى التي لا تحتاج إلى ذلك، ومنها الجهاد بالمال، والإنفاق في سبيل الله تعالى، أي الاستفادة من مالها في خدمة الدعوة الإسلامية.

وأفضل نموذج لذلك؛ موقف خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها[1]، حينما سخَّرت مالها في خدمة الدعوة الإسلامية منذ أول يوم، ووضعت جميع ما تملك تحت تصرف الرسول ﷺ، وها هو يقول في حقها وذلك بعد وفاتها: «...، **وواستني بمالها إذ حرمني الناس**»[2].

ونموذج آخر، هو موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[3]، وذلك

---

(١) سبقت ترجمتها ص٥٢.

(٢) الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ٢٠/ ٢٤٠.

(٣) ذات النطاقين، ووالدة عبد الله بن الزبير، وأخت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، وأمها قتيلة بنت عبد العزى التي فارقها أبو بكر لبقائها على شركها. أسلمت أسماء قديماً بعد سبع عشرة نفساً، وتزوجها الزبير بن العوام، وهاجرت معه إلى المدينة وهي حامل بعبد الله، فوضعته بقباء ليكون أول مولود للمهاجرين. ولما حوصر ابنها عبد الله بمكة أيام الحجاج سألها عما يجب عمله؟ فقالت له: يا بني، عش كريماً، ومت كريماً، لا يأخذك القوم أسيراً. وبعد أن قتل جاء الحجاج إليه فقالت له: (أما إن رسول الله ﷺ حدثنا: «**إن في ثقيف كذاباً ومبيراً**». فأما الكذب فرأيناه، وأما المبير؛ فلا إخالك إلا إياه)، رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب (ذكر كذاب ثقيف ومبيرها) ٤/ ١٩٧٢، حديث ٢٥٤٥. ولقد عمرت رضي الله عنها طويلاً، فلقد ماتت بعد مقتل ابنها بليال في اليوم السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقد بلغت مائة عام، ولم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل.
انظر: الإصابة ٤/ ٢٢٤، والطبقات ٨/ ٢٤٩، وأسد الغابة ٥/ ٣٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٧.

حينما هاجر أبوها مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأخذ معه كل ماله لينفقه في سبيل الله تعالى، ولم يترك لأهل بيته منه شيئاً، لقد كان بإمكان أسماء رضي الله عنها أن تطالب بحقها وحق إخوتها من أبيها، بأن يترك لهم جزءاً من ذلك المال ليستعينوا به على قضاء حوائجهم بعد غيابه عنهم، ولكنها فضلت على ذلك مشاركة أبيها في جهاده وبذله لماله في سبيل الله تعالى، وصبرت على الفاقة والحاجة.

قال ابن إسحاق: (قالت أسماء بنت أبي بكر: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كله، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة[1]، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه أنه فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبتي، إنه ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة البيت الذي كان أبي يضع ماله فيه، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده؛ فقلت: يا أبتي؛ ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، لا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك)[2].

بذلك شاركت أسماء ذات النطاقين رضي الله عنها أباها الصديق رضي الله عنه في الجهاد بالمال.

* * *

خامساً: مساعدة الرسول ﷺ في هجرته وحفظ سره

ومن المواقف الدعوية التي وقفتها المرأة المسلمة في العهد المكي والتي كان لها أثرها في الحفاظ على سير الدعوة الإسلامية وحمايتها وحماية الرسول ﷺ من كيد الكافرين؛ الموقف الذي وقفته أسماء ذات النطاقين[3] رضي الله عنها

---

(١) عثمان بن عامر القرشي التميمي والد أبي بكر الصديق. أسلم يوم الفتح، ومات سنة أربع عشرة، وكان عمره سبعاً وتسعين سنة. الإصابة ٤/ ٤٥٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٢. قال المحقق: صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده متصل. ورواه الحاكم في مستدركه ٣/ ٥٠، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ورواه أحمد في مسنده. الفتح الرباني ٢/ ٢٨٢. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق.

(٣) سبقت ترجمتها ص٧٣.

يوم هجرة النبي ﷺ مع أبيها أبي بكر الصديق ﷺ إلى المدينة، حينما خرجا واتجها نحو غار ثور، فمكثوا فيه ثلاثة أيام، ولم يعلم أحد بذلك غير آل أبي بكر وعلي بن أبي طالب ﷺ أجمعين[١].

قال ابن إسحاق: (فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً وكان معه أبو بكر، وجعلت قريشاً فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم، وكان عبد الله بن أبي بكر[٢] يكون في قريش نهاره معهم؛ يسمع ما يأتمرون به ويقولونه في شأن النبي ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فهيرة؛ مولى أبي بكر يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه، حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيرهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر ﷺ بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاماً، وهو ما تعلق به السفرة. فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام، فتحل نطاقها فتجعله عصاماً، ثم علقتها به، فكان يقال لها ذات النطاقين)[٣].

لقد كانت أسماء ﷺ ممن يعلم بمكان الرسول ﷺ، وكانت تعلم بأن هذا الأمر سر لا ينبغي لأحد من المشركين أن يعلمه لما فيه من خطورة على حياة الرسول ﷺ خاصة والدعوة الإسلامية عامة، فأخفت هذا السر مع ما فيه من خطورة على نفسها فيما لو اكتشف المشركون أمرها[٤]، ثم إنها ساعدت الرسول ﷺ في هجرته بإعداد الطعام لرحلته الطويلة.

* * *

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٢.

(٢) شقيق أسماء، وقد شهد الفتح وحُنين والطائف، وتوفي في خلافة أبيه حينما رمي بسهم فجُرح، ثم اندمل وانتقض، وذلك في شهر شوال سنة إحدى عشرة. الإصابة ٢/ ٢٧٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٣.

(٤) روي أن أبا جهل جاء إلى بيت الصديق وسأل عنه أسماء فأبت إخباره بمكانه، فما كان من عدو الله إلا أن ضربها ضربة شديدة أسقطت قرطها من أذنها. ولكن هذه الرواية لم تثبت.

سادساً: المشاركة في البيعة للرسول ﷺ

لما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز وعده له، خرج رسول الله ﷺ في موسم الحج فعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع في كل المواسم، فبينما هو عند العقبة؛ ساق الله عزّ وجلّ إليه نفراً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فكانوا طلائع النور الذي أبى الله إلا أن يكون في المدينة التي اختارها في علم الغيب بأن تكون أرضاً للدولة الإسلامية، والتي ستنطلق منها راية الإسلام، وتنتشر في أرجاء المعمورة. ولقد كان عدد النفر ستة، منهم أسعد بن زرارة، وهو أول من أسلم من الأنصار[(١)].

(حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة: وهي العقبة الأولى، فبايعوا على بيعة النساء[(٢)])[(٣)].

ولقد أخرج الإمام البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة[(٤)] من أصحابه: «**بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله، فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**». فبايعناه على ذلك)[(٥)].

فلما انصرف عنه القوم بعث معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يُقرئهم

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٣/ ٨١.

(٢) أي على نمطها، وهي التي وردت في قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله، إن الله غفور رحيم**﴾ [الممتحنة: ١٢].

(٣) المرجع السابق.

(٤) هم الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولا واحد لها من لفظها. لسان العرب ٢/ ٧٩١، مادة (عصب).

(٥) صحيح البخاري: كتاب: الإيمان، باب (علامة الإيمان حب الأنصار) ١/ ١٥، حديث ١٨.

القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمَّى المقرئ بالمدينة: مصعب[1].

وأصبح مصعب رضي الله عنه بذلك أول سفير في الإسلام. (ثم إنه رجع إلى مكة بعد أن دعا الله بإخلاص وعزيمة صادقة، فأثمرت دعوته بإسلام الكثير من أهل يثرب، فخرجوا إلى موسم الحج مع قومهم من أهل الشرك غير مظهرين لإسلامهم، حتى قدموا إلى مكة، فواعدوا الرسول ﷺ العقبة[2] أوسط أيام التشريق)[3].

ذكر ابن إسحاق بسنده عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام[4] أبو جابر؛ سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلَّمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، إنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة نقيباً. قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ؛ نتسلل القطا مستخفين، حين اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب[5] أم عمارة؛ إحدى

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٨٦، وتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ١/ ٥٥٩. دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) تلك العقبة الثانية، والتي كانت في العام الثالث عشر للبعثة. سيرة ابن هشام ٢/ ٩٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) لقد كان من النقباء في العقبة الثانية، واستشهد يوم أحد. الإصابة ٢/ ٣٤٢.

(٥) المازنية، تزوجها زيد بن عاصم فولدت له عبد الله وحبيباً، ثم خلف عليها غزية بن عمرو بن عطية فولدت له تميماً وخولة، أسلمت وشهدت أحداً والحديبية وخيبر وعمرة القضية وحنيناً ويوم اليمامة، فجاهدت وفعلت الأفاعيل حتى قطعت يدها يوم اليمامة، ولقد قتل ابنها حبيب على يد مسيلمة الكذاب بعد أن قطعه إرباً، فتمنت أن تكون نهاية مسيلمة على يدها، فشهدت اليمامة، ولكنها لم تصل إلى مسيلمة إلا بعد أن قتل على يد ابنها عبد الله.

انظر: الإصابة ٤/ ٤٠٣، والطبقات ٨/ ٤١٢، وأسد الغابة ٥/ ٦٠٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧٨.

نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي[1]؛ إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع)[2]. ثم ذكر لقاءهم برسول الله ﷺ وما تم بينهم من كلام انتهى إلى مبايعتهم له على النصرة والدفاع عنه كل ما يستطيعونه من قوة، فقال لهم: «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**»، فبايعوه على ذلك[3].

والرواية مع عدم تصريحها في ذكر مبايعة المرأتين إلا أنها ذكرت حضورهما معهم إلى مكان اللقاء وانعقاد البيعة، فإذا قلنا أنهما لم تبايعان فلماذا حضرتا وتحملتا المشقة والخطر؟! إننا لا نرى ما يدعو إلى استثنائهما من المشاركة في البيعة، والله أعلم.

* * *

سابعاً: الهجرة إلى الدولة الإسلامية

قال ابن إسحاق: (وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب، ولم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من أهل المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه، ومن بين معذَّب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فراراً منهم، منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجهة، فلما عتت قريش على الله عزّ وجلّ، ردوا عليه ما أرادهم به من كرامة، وعذَّبوا نبيه ﷺ، وعذبوا من عبده ووحَّده، وصدَّق نبيه، واعتصم بدينه؛ أذن الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ في القتال

---

(١) الأنصارية السلمية؛ أم معاذ بن جبل، وقيل: ابنة عمته، وكنيتها أم منيع. الإصابة ٤/ ٢٢٥، وأسد الغابة ٥/ ٣٩٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٤.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٩٦. قال المحقق: صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده صحيح. ورواه أحمد ورجاله ثقات. ورواه الطبراني من طريق ابن إسحاق. ورواه البزار. انظر: مجمع الزوائد ٦/ ٤٥. كما أن صاحب مجمع الزوائد ساق عدة طرق للحديث. ورواه البيهقي في السنن ٩/ ٩، وابن حبان في الموارد ٤٠٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٢٤، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب، وإحلاله له بالدماء والقتال لمن بغى عليهم ـ فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ـ قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1].

أي أني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أن يعبدوا الله، وإنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، يعني النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أجمعين، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[2]، أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، وحتى يعبد الله لا يعبد معه غيره، فلما أذن الله تعالى له في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وآوى إليهم من المسلمين؛ وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج إلى المدينة المنورة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: «**إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها**»، فخرجوا أرسالاً، وأقام الرسول ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة إلى المدينة)[3].

ولقد أخرج الإمام البخاري عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي[4] إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب**»[5].

---

(١) سورة الحج: الآيات ٣٩ ـ ٤١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٢١، وانظر: تاريخ الطبري ١/ ٥٦٥.

(٤) وَهَلَ إلى الشيء ويوهل إذا ذهب وهمه أي تفكيره إليه. القاموس المحيط ص١٣٨١، مادة (وهل).

(٥) صحيح البخاري: كتاب: مناقب الأنصار، باب (هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) ٣/ ١٣٢٦، حديث ٣٤٢٥.

ولقد كان أول المهاجرين بعد الإذن عامر بن ربيعة حليف بني عدي مع زوجته ليلى بنت أبي خيثمة[1]، والتي قيل أنها أول ظعينة قدمت إلى المدينة.

وذكر ابن إسحاق أسماء من هاجر من الصحابة إلى المدينة، وسوف نقتصر على ذكر أسماء النساء فقط، وهن: زينب بنت جحش[2]، وأم حبيب بنت جحش[3]، وجذامة بنت جندل[4]، وأم قيس بنت محصن[5]، وأم حبيب بنت ثمامة[6]، وآمنة بنت رقيش[7]، وسخبرة بنت تميم[8]، وحمنة بنت جحش[9]،

---

(١) سبقت ترجمتها ص٧٠.

(٢) أم المؤمنين ﵂، وابنة عمة النبي ﷺ أميمة بنت عبد المطلب. كانت عند زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، فلما نزلت: ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها...**﴾ [الأحزاب: ٣٧] تزوجها رسول الله ﷺ من غير ولي ولا شاهد، وبذلك كانت تفخر زينب ﵂ على أمهات المؤمنين الأخريات، فتقول: زوجكن أهليكن، وزوجني الله من فوق عرشه. عرفت بكثرة إحسانها وتصدقها وعبادتها. وقد تزوجها النبي ﷺ في ذي القعدة سنة خمس للهجرة، وهي بنت خمس وعشرين سنة. وتوفيت ﵂ سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب ﵁، وكانت أسرع زوجات النبي ﷺ لحوقاً به، تصديقاً لقوله: «**أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً**».
انظر: الإصابة ٤/٣٠٧، والاستيعاب ٤/٣٠٦، والطبقات ٨/١٠١، وأسد الغابة ٥/ ٦٤٣، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢١١.

(٣) أخت زينب أم المؤمنين، كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وقد استحيضت سبع سنين، فسألت النبي ﷺ فقال لها: «**إنها عرق وليس بحيضة فاغتسلي وصلي**»، فكانت تغتسل وتصلي عند كل صلاة، ثم أذن لها النبي ﷺ في الجمع رفعاً للمشقة.

(٤) الأسدية. كانت تحت أنيس بن قتادة، شهد بدراً، واستشهد في أحد. انظر: الإصابة ٤/ ٢٥١، والطبقات ٨/ ٢٤٣، وأسد الغابة ٥/ ٤١٤.

(٥) اسمها أمية، وهي أخت عكاشة بن محصن، من أهل بدر، وبشره الرسول ﷺ بدخول الجنة من غير حساب. انظر: الإصابة ٤/ ٤٦٣، والطبقات ٨/ ٢٤٢، وأسد الغابة ٥/ ٦٠٩.

(٦) ذكرت في المهاجرات. الإصابة ٤/ ٤٢٢.

(٧) أخت يزيد بن قيس، من أهل بدر، وقيل: بنت قيس بن رئاب. انظر: الإصابة ٤/ ٢٢٠، والطبقات ٨/ ٢٤٣، وأسد الغابة ٥/ ٣٩٠.

(٨) ذكرت في المهاجرات. انظر: الإصابة ٤/٣١٨، وأسد الغابة ٥/ ٤٧٣.

(٩) زوجة مصعب بن عمير ﵁، وأخت زينب أم المؤمنين. ولدت لمصعب بنتاً، ولما استشهد في أحد خلف عليها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمد بن طلحة السجاد وعمران. ولقد كانت ممن قال بالإفك على عائشة أم المؤمنين، وقد فعلت ذلك حمية لأختها زينب، وقيل: أنها جلدت، وقيل: لم تجلد. انظر: الإصابة ٤/ ٢٦٦، الطبقات ٨/ ٢٤١، وأسد الغابة ٥/ ٤٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٢.

وأم سلمة[1].

وبعدما هاجر رسول الله ﷺ ووصل إلى المدينة واستقر فيها؛ بعث زيداً ومعه أبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم ليأتياه بأهل بيته، وهم: فاطمة[2]، وأم كلثوم[3]، وزوجته سودة بنت زمعة أم المؤمنين[4]، وأم أيمن[5]، وأسامة بن زيد ﷺ أجمعين، وأما رقية[6] فقد هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان، وكان معهما أهل بيت أبي بكر الصديق ﷺ.

وأما زينب[7] ﷺ، وهي كبرى بنات النبي ﷺ فلقد تأخرت هجرتها إلى السنة الثانية، وذلك بعد غزوة بدر الكبرى، حيث إنه لما أراد رسول الله ﷺ أن يطلق سراح أبي العاص بن الربيع زوج زينب - وقد كان من أسرى بدر - أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب ويرسلها إليه، فلما ذهب أبو العاص إلى مكة

---

(١) سبقت ترجمته ص٧٠.

(٢) سبقت ترجمتها ص٦١.

(٣) اختلف في ترتيبها، والأقرب أنها بعد رقية، فتكون أكبر من فاطمة، ولقد تزوجها ابن عمها عتيبة بن أبي لهب، ثم فارقها بأمر أبيه ولم يدخل بها. أسلمت مع أخواتها، ولما توفيت رقية تزوج بها عثمان بن عفان وهي بكر؛ في ربيع الأول سنة ثلاث للهجرة، وسمي عثمان بذي النورين لدخوله بابنتي الرسول ﷺ، ولم تلد له. وتوفيت ﷺ في شعبان سنة تسع للهجرة..
انظر: الإصابة ٤/ ٤٦٦، والطبقات ٨/ ٣٨، وأسد الغابة ٥/ ٦١٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٥٢.

(٤) سبقت ترجمتها ص٧١.

(٥) بركة الحبشية مولاة الرسول ﷺ وحاضنته، ولقد أعتقها، فتزوجت عبيد بين الحارث الخزرجي فولدت له أيمن، ثم خلف عليها زيد بن حارثة فولدت له أسامة حِب رسول الله ﷺ. وتوفيت ﷺ في خلافة عثمان. انظر: الإصابة ٤/ ٤١٥، والطبقات ٨/ ٢٢٣، وأسد الغابة ٥/ ٥٦٧.

(٦) سبقت ترجمتها ص٧٠.

(٧) ولدت قبل البعثة بعشر سنوات. تزوجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها هالة بنت خويلد، فولدت له علياً وأمامة التي حملها الرسول ﷺ في الصلاة، وأما علياً فقد توفي صغيراً، ولقد توفيت زينب ﷺ سنة ثمان للهجرة، وقيل أن سبب موتها هو المرض الذي لازمها منذ هجرتها حينما روّعها هبار بن الأسود وسقطت من على بعيرها.
انظر: الإصابة ٤/ ٣٠٦، والطبقات ٨/ ٣٠، وأسد الغابة ٥/ ٤٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٤.

أرسل الرسول ﷺ زيد بن حارثة ورجل من الأنصار وقال لهما: «**كونا ببطن يأجج**[1] **حتى تمر بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها**». فخرجا إلى المكان المطلوب، وذلك بعد بدر بشهر تقريباً، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحاق بأبيها، فتجهَّزت للخروج[2].

(فلما فرغت بنت رسول الله ﷺ من جهازها قدَّم لها حموها كنانة بن الربيع[3] ـ أخو زوجها ـ بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج يقود بها، وهي في هودج لها. وتحدث بذلك رجل من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطلب الفهري، فروّعها هبّار بالرمح[4] وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملاً فيما يزعمون، فلما ريعت طرحت ذا بطنها، وبرك حموها كنانة ونثر كنانته، ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتكركر الناس[5] عنه. وأتى أبو سفيان في جلة من قريش، فقال: أيها الرجل، كُفَّ عنا نبلك حتى نكلمك، فكفَّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا، أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك ضعف ووهن، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، وما لنا من ذلك ثؤرة[6]، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس

---

(١) اسم مكان يبعد عن مكة من جهة المدينة ثمانية أميال. معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٤٢٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٣٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٠.

(٣) ذكره ابن حجر باسم كنانة بن عدي بن ربيعة، وهو ابن عم أبي العاص. الإصابة ٣/ ٢٩١.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٠. وقال المحقق: رواه ابن إسحاق معلقاً، ورواه البيهقي في الدلائل ٣/ ١٥٤ من طريق ابن إسحاق وقد صرَّح بالسماع، وسنده منقطع فلم يسم أبو بكر من حدَّثه. ورواه الطبراني في الكبير والأوسط. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٩/ ٢١٢.

(٥) أي تراجعوا. القاموس المحيط ص٦٠٤، مادة (كركر).

(٦) أي طلب الثأر. لسان العرب ١/ ٣٤٥، مادة (ثأر).

أنْ قد رددناها، فسلها وألحقها بأبيها، قال: ففعل. فأقامت ليالي، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى سلَّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله ﷺ)[1].

ولما علم الرسول ﷺ بما عمل هبّار بابنته أرسل سرية وقال لهم: «**إن لقيتم هبّار بن الأسود، ونافع بن عبد عمرو فأحرقوهما**». ثم قال: «**إن لقيتموهما فاقتلوهما، فإنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله**»[2].

وهكذا نرى أن المرأة المسلمة ـ كما هو واضح من الروايات ـ قد اشتركت في الهجرة إلى المدينة المنورة، لتعين الرجال في إقامة صرح الدولة الإسلامية هناك، لقد شاركت في الهجرة على ما فيها من خطورة، متمثلة في السرية التامة في الخروج من مكة، وعلى ما فيها من مشقة وتعب، ومفارقة للأهل والبلد.

لقد شاركت فيها عندما شعرت بأهمية تواجدها لإقامة ذلك الصرح العظيم، وتكوين المجتمع المتكامل المكون من جنسيه؛ الذكور والإناث، فلا قوام لمجتمع بجنس واحد فقط، فللمرأة دور بارز ومهم في بناء الأسرة، وإعداد الجيل الذي يحمي الدولة الإسلامية من خطر الأعداء.

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٠.

(٢) سيرة أعلام النبلاء ٢/ ٢٤٧. قال المحقق: إسناده قوي.




الفصل الثاني

المرأة الداعية في العهد المدني

المبحث الأول: قيامها بالدعوة داخل البيت.

المبحث الثاني: قيامها بالدعوة في المجتمع الإسلامي.




المبحث الأول
قيامها بالدعوة داخل البيت

أولاً: تربية الأولاد التربية الإسلامية.

ثانياً: التأثير على الزوج ودعوته إلى الإسلام.

ثالثاً: مشاركة الزوج وتشجيعه على الإنفاق في سبيل الله.

رابعاً: تشجيع الأقارب على الجهاد والصبر على استشهادهم.

* * *

أولاً: تربية الأولاد التربية الإسلامية

لقد تكلَّمنا في الفصل السابق عن علاقة الأم بطفلها[1]، ومدى تأثيرها عليه، ودلَّلنا على الكلام بذكر نموذجين اثنين. والآن نحن بصدد التكلم عن العهد المدني الشريف نذكر نماذج أخرى قد تكون أوضح دلالة، وسوف نختار منها ما يلي:

ذكر ابن سعد بسنده عن ابن إسحاق عن عبد الله عن جدته أم سليم[2]

(١) انظر: ص٥٧.

(٢) أم سليم بنت ملحان بن خالد من بني النجار الأنصارية الخزرجية، وتسمى الرميصاء وسهلة وأنيفة ورميثة. وهي أم أنس بن مالك. تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنساً، ثم خلف عليها أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري فولدت له أبا عمير وعبد الله. وقد شهدت أحداً وحنيناً، وهي أخت حرام بن ملحان الذي استشهد في بئر معونة لما طعن من ورائه فخرجت الحربة من صدره، فقال: فزت ورب الكعبة.
انظر: الإصابة ٤/ ٤٤١، والطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٤، وأسد الغابة ٥/ ٥٩١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٤.

أنها لما آمنت برسول الله ﷺ قالت: (فجاء أبو أنس وكان غائباً، فقال: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل، قالت: فجعلت تلقن أنساً وتشير إليه قل: أشهد ألا إله إلا الله، ثم قل أشهد أن محمداً رسول الله. قال: ففعل، فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول: إني لا أفسده. قال: فخرج مالك أبو أنس، فلقيه عدو فقتله، فلما بلغها قتله قالت: لا جرم لا أفطم أنساً حتى يدع الثدي حباً، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس، فيقول: قد قضت الذي عليها، فترك الثدي)[١].

وذكر بسنده عن عبد الله بن عبد الله أنه قال: (خطب أبو طلحة[٢] أم سليم بنت ملحان، وكانت أم سليم تقول: لا أتزوج حتى يبلغ أنس، ويجلس في المجالس، فيقول: جزى الله أمي عني خيراً، لقد أحسنت ولايتي)[٣].

نلاحظ في الروايتين أن أم سليم قد تعهدت ابنها أنساً وربَّته التربية الإسلامية منذ صغره، فكانت تلقنه على صغره الشهادتين، ثم أقسمت على أن تجعله من أهل العلم الذي يشار إليهم بالبنان في المجالس. لذلك نراها تأخذه وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره بعد وتذهب به إلى الرسول ﷺ وتطلب منه أن يقبله خادماً له. وما فعلت ذلك إلا ليكون قريباً منه، فينهل من هديه ﷺ، ويتزوَّد من علمه الشيء الكثير[٤].

وذكر ابن سعد بسنده عن أنس رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ دخل على أم سليم، فأتته بتمر وسمن، فقال: **«أعيدوا سمنكم في سقائكم، وتمركم في وعائكم فإني صائم»**، ثم قام في ناحية البيت فصلى صلاة غير مكتوبة، فدعا لأم سليم ولأهلها، فقالت أم سليم: يا رسول الله؛ إن لي خويصة. قال: **«ما هي»**؟ قالت: خويدمك أنس ـ أي طلبت منه دعوة خاصة لأنس ـ فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به. ثم قال: **«اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبارك له»**.

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٥.

(٢) شهد بدراً وأحداً، وكان ممن دافع عن النبي ﷺ، وقد توفي سنة خمسين أو إحدى وخمسين هجرية. الإصابة ١/ ٥٤٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الإصابة ١/ ٨١.

فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أمينة أنه قد دفن لصلبي[1] إلى مقدم الحَجَّاج البصرة تسعاً ومائة)[2].

لقد أصابت ﵂ حينما طلبت هذا الطلب الجليل من رسول الله ﷺ، فأي دعوة خير وأفضل من دعوة أحب الخلق وسيدهم إلى الله عزّ وجلّ؟

وزيادة على ذلك أنها عندما ولدت ابنها عبد الله بن أبي طلحة رفضت أن يرضع من أحد قبل أن يحنكه رسول الله ﷺ، فتصيبه بركته. فقد روى الإمام مسلم عن أنس ﵁ قال: (فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به إلى رسول الله ﷺ. فلما أصبح احتملته، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ.

قال: فصادفته ومعه ميسم[3]، فلما رآني قال: **«لعل أم سليم ولدت»**؟ قلت: نعم، قال: فوضع الميسم، قال: وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتى ذابت، ثم قذفها في فيّ الصبي، فجعل الصبي يتلمَّظها[4]، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«انظروا إلى حب الأنصار التمر»**. قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله)[5].

هذا ما كان من أم سليم ﵂، وقد سبقتها بذلك أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين[6] ﵂ عندما وضعت أول مولود يولد للمهاجرين بعد الهجرة، وهو عبد الله بن الزبير. فقد أخرج الإمام البخاري عن أسماء بنت أبي بكر ﵂ أنها حملت بعبد الله بن الزبير في مكة. قالت: (فخرجت وأنا متم[7]، فأتيت المدينة فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت رسول الله ﷺ

---

(١) الصلب: هو الظهر، وجمعه: أصلاب، ويراد به الذرية من الأولاد والأحفاد. لسان العرب ٢/ ٤٠٦، مادة (صلب).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٠٨
(٣) الميسم: بفتح الميم، وتسكين الياء، وفتح السين: هي المكواة التي تكوى بها البهيمة لتعليمها وتمييزها بعلامة. لسان العرب ٣/ ٩٣٧.
(٤) أي يديرها بلسانه ويحركها، ويتبع أثر التمر. لسان العرب ٣/ ٣٩٤، مادة (لمظ).
(٥) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب (من فضائل أبي طلحة ﵁) ٤/ ١٩٠٩، حديث ٢١٤٤.
(٦) سبقت ترجمتها ص٧٣.
(٧) أي: تمت مدة الحمل واقترب موعد ولادتها. لسان العرب ١/ ٣٣١، مادة (تمم).

فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء يدخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنّكه بالتمرة، ثم دعا له فبرَّك عليه[1]، وكان أول مولود في الإسلام، ففرحوا به فرحاً شديداً، لأنهم قيل لهم أن يهود قد سحرتكم فلا يولد لكم)[2].

* * *

ثانياً: التأثير على الزوج ودعوته إلى الإسلام

لقد ذكرنا فيما سبق أنه لم تكن هناك محاولة لدعوة الزوج إلا مرَّة واحدة، أو بمعنى أصح أنه لم تذكر كتب السنة والسيرة النبوية إلا تلك الحادثة والمحاولة التي قامت بها أم حبيبة رضي الله عنها حينما ارتدَّ زوجها عبيد الله بن جحش عن الإسلام ودخل في النصرانية ومات عليها، وفازت أم حبيبة حينما أصبحت بعد ذلك زوجة للنبي ﷺ وأمًّا للمؤمنين.

هذا بالنسبة للعهد المكي، وأما العهد المدني فلقد روت كتب السيرة والتراجم بعض الروايات التي تذكر مثل هذه المحاولات، والتي وفق الله تعالى فيها الداعيات من الصحابيات رضي الله عنهن في هداية من دَعين من أزواجهن.

ذكر ابن سعد بسند عن أم سليم[3] أنها قالت لأبي طلحة لما جاءها خاطباً: (يا أبا طلحة، ألست تعلم أنَّ إلهك الذي تعبد إنما هو شجرة تنبت من الأرض؟ وإنما نجرها حبشي بني فلان؟ قال: بلى! قالت: أما تستحي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض، نجرها حبشي بني فلان؟ قالت: فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأزوِّجك نفسي؟ لا أريد منك صداقاً غيره؟ قال لها: دعيني أنظر. قالت: فذهب فنظر، ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالت: يا أنس، قم فزوِّج أبا طلحة)[4].

---

(١) أي قال له: بارك الله عليك. لسان العرب ١/ ٢٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في العقيقة، باب (تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه وتحنيكه) ٥/ ٢٠٨١، حديث ٥١٥٢.

(٣) سبقت ترجمتها ص٨٧.

(٤) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٧.

وأخرج بسنده عن عبد الله بن أبي طلحة أنه قال: (خطب أبو طلحة أم سليم بنت ملحان، وكانت أم سليم تقول: لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس، فيقول: جزى الله عنِّي أمي خيراً، لقد أحسنت ولايتي. فقال لها أبو طلحة: فقد جلس أنس في المجالس، فقالت أم سليم: أيتها أعطيتني تزوجتك، إما أن تتابعني على ما أنا عليه، أو تكتم عني فإني قد آمنت بهذا الرجل؛ رسول الله. فقال أبو طلحة: فإني على مثل ما أنت عليه. فكان الصداق بينهما الإسلام)[1].

إنه لنعم الصداق صداقها، ولنعم الأسلوب أسلوبها. لقد خاطبت عقله أولاً، فقالت له إن الإله الذي يسجد له ويعبده ما هو إلا خشبة جامدة قد صنعتها يد بشر، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فكيف تملك لغيرها ذلك؟ إنه أمر مناف للعقل. ثم خاطبت كرامته التي تأبى السجود للغير، فما بالك بقطعة خشب. وأخيراً استخدمت أسلوب الترغيب، حين أبدت استعدادها للزواج منه بشرط دخوله في الإسلام. لقد تجرَّدت ﵂ من أهواء الدنيا وملذَّاتها، وزهدت في متاعها، فلم تطلب منه ما تطلبه النساء من المال والمتاع، ولو طلبته لما أعيا أبا طلحة فهو من أغنى أهل المدينة مالاً! لكنها أرادت أن يكون مهرها أغلى المهور، فجعلته إسلامه. وما أغلاه من مهر! وما أعظمه!

وبذلك وفقت أم سليم ﵂ في هداية أبي طلحة، ففاز أبو طلحة بالهداية والوصول إلى الطريق السوي، وفازت أم سليم بالأجر والثواب الجزيل، فقد قال الرسول ﷺ: **«لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حُمُر النعم»**[2].

ونموذج آخر لصحابية جليلة، هي زينب بنت رسول الله[3] ﷺ، فقد أخرج ابن سعد بسنده عن محمد بن إبراهيم التميمي، قال: (خرج أبو العاص بن الربيع إلى الشام في عير لقريش، وبلغ رسول الله ﷺ أن تلك العير

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٤٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب (من فضائل علي بن أبي طالب ﵁) ٤/ ١٨٧٢، حديث ٢٤٠٦.

(٣) سبقت ترجمتها ص٨١.

قد أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب، فلقوا العير بناحية العيص في جمادى الآخرة، فأخذوها وما فيها من الأثقال، وأسروا ناساً ممن كانوا في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، فلم يعد أن جاء المدينة، فدخل على زينب بنت رسول الله ﷺ بسحر وهي امرأته فاستجارها، فلما صلَّى رسول الله ﷺ الفجر قامت على بابها فنادت بأعلى صوتها: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع. فقال رسول الله ﷺ: **«أيها الناس هل سمعتم ما سمعت»**؟ قالوا: نعم، قال: **«فوالذي نفسي بيده ما علمت مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجرت»**.

فلما انصرف الرسول ﷺ إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه، ففعل، وأمرها ألا يقربها فإنها لا تحل له ما دام مشركاً. ورجع أبو العاص إلى مكة، فأدَّى إلى كل ذي حق حقه، ثم أسلم ورجع إلى النبي ﷺ مسلماً مهاجراً في المحرم سنة سبع من الهجرة[١]. ورد عليه رسول الله ﷺ زينب بذلك النكاح الأول[٢].

لقد كان لجوار زينب رضي الله عنها لزوجها أبي العاص أثره في إسلامه، وهي التي حاولت معه من قبل ذلك حينما أسر في بدر الكبرى، فأرسلت في فدائه أعز ما تملك، وهي القلادة التي أدخلت بها عليه في زواجها، وكانت تلك القلادة سبباً في إطلاق سراحه، حيث إنه لما رآها رسول الله ﷺ تذكر زوجته خديجة رضي الله عنها، فطلب من الصحابة فك أسره، ففعلوا وأعادوا معه القلادة[٣].

ولئن كانت تلك المحاولة لم تنجح فلقد وفقت رضي الله عنها في هذه المرة بعون من الله تعالى، فأسلم أبو العاص وحسن إسلامه.

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي في النكاح، باب (ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما) ٣/ ٤٤٨، حديث ١١٤٣، وقال: حديث ليس بإسناده بأس. وقد صحَّحه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٣٣، حديث ٩١٣. وأخرجه أبو داود في الطلاق، باب (إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها) ٢/ ٢٧٢، حديث ٢٢٤ وأخرجه ابن ماجه في النكاح، باب (الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر) ١/ ٦٤٧، حديث ٢٠٠٩.

(٣) الطبقات الكبرى ٨/ ٣٣.

ونموذج آخر حدث بعد الفتح بقليل، فقد أسلمت أم حكيم بنت الحارث[1] زوجة عكرمة ابن أبي جهل[2] في يوم الفتح، وأما زوجها عكرمة فقد بقي على شركه، وفر من مكة فاتجه إلى اليمن، فلما أسلمت أم حكيم، وشعرت بحلاوة الإيمان؛ حزَّ في نفسها أن لا يشاركها زوجها في هذا الخير، فذهبت إلى رسول الله ﷺ وطلبت منه الأمان لزوجها عكرمة حتى تأتي به ويسلم على يده ﷺ، فأمَّنه. وتوجهت على الفور إلى اليمن، فلما وجدته هناك أخبرته بأمان الرسول ﷺ إذا جاء إليه ليسلم، وقد استطاعت أن تقنعه، فرجع معها، وأسلم على يد رسول الله ﷺ، وحسن إسلامه، بل إنه أصبح قائداً للفرقة التي بايعت على الموت في معركة اليرموك، التي استشهد فيها[3].

* * *

ثالثاً: مشاركة الزوج وتشجيعه على الإنفاق في سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[4].

(لن تدركوا أيها المؤمنون البر، وهو البر من الله الذي تطلبونه منه بطاعتكم إياه، وعبادتكم له، وترجونه منه، وذلك لتفضله عليكم بإدخالكم جنّته، وصرف عذابه عنكم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل: أن البر: الجنة، لأن برَّ الرب بعبده في الآخرة وإكرامه إياه بإدخاله الجنة)[5].

---

(١) أمها فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وقد أسلمت أم حكيم يوم الفتح، وشاركت في اليرموك، التي استشهد زوجها فيها، فخلف عليها خالد بن سعيد بن العاص، واستشهد في مرج الصفر بعد أن دخل بها، ولقد قاتلت أم حكيم فقتلت سبعة من الروم بعمود الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه.
انظر: الإصابة ٤/٤٢٦، والطبقات الكبرى ٨/ ٢٦١، وأسد الغابة ٥/ ٥٥٧.

(٢) أسلم بعد الفتح، وشارك في حروب الردة، واستشهد في معركة اليرموك بعد أن بايع على الموت مع أربعمائة من المسلمين، فقتلوا جميعاً إلا واحداً، وذلك عام خمسة عشر في خلافة عمر. الإصابة ٢/ ٤٨٩.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٩١، ٤/ ٤٢٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٢.

(٥) تفسير الطبري ٣/ ٣٤٧.

عندما سمع الصحابة ﷺ هذه الآية الكريمة؛ تسابقوا إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى، فأخذوا يتصدَّقون بأحب أموالهم إليهم، وتشاركهم في ذلك زوجاتهم رضي الله عنهن وتشجعهم.

أخرج الإمام أحمد عن أنس ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي[1] بها، فأمِره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ: **«أعطه إياها بنخلة في الجنة»**، فأبى. قال: فأتاه أبو الدحداح[2] فقال: بعني نخلتك بحائطي، فقال: ففعل، فأتى ـ أي أبو الدحداح ـ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له فقد أعطيتكها. فقال النبي ﷺ: **«كم عذق رداح[3] لأبي الدحداح في الجنة»**. قالها مراراً. قال: فأتى ـ أي أبو الداحداح، فقال: يا أم الدحداح[4]. اخرجي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع ـ أو كلمة تشبهها)[5].

وأخرج الإمام البخاري عن أنس ﷺ يقول: (كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما أنزلت: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[6]. قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله؛ إن الله يقول ـ وذكر الآية، وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك. قال رسول الله ﷺ: **«بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»**. قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)[7].

---

(١) الحائط: هو البستان إذا كان له جدار. لسان العرب ١/٧٥٧، مادة (حوط).
(٢) لم يذكر اسمه ولا نسبه، وهو أنصاري، عاش حتى خلافة معاوية، الإصابة ٤/ ٦٠.
(٣) أي نخلة ثقيلة بالثمر. لسان العرب ١/١١٤٩، مادة (ردح).
(٤) ذكرت بكنيتها ولم يذكر اسمها. انظر: الإصابة ٤/٤٢٩، أسد الغابة ٥/ ٥٨٠.
(٥) أخرجه الإمام أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٩/ ٣٢٤.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٩٢.
(٧) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** ٤/ ١٦٥٩، حديث ٤٣٧٩.

ومعلوم أن أبا طلحة زوج أم سليم بنت ملحان ﵂، تلك المرأة التي زهدت في مهرها عند زواجها منه، واكتفت بإسلامه، فهي من باب أولى أن تشجعه على هذا الإنفاق.

ويؤكد ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة ﵁ أنه قال: (أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا رجل يضيف هذا الليلة يرحمه الله»**؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدَّخريه شيئاً. قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوِّميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: **«قد عجب الله عزّ وجلّ، أو ضحك من فلان وفلانة»**، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1])[2]. وفي رواية الإمام مسلم ذكر فيها اسم الصحابي بأنه أبو طلحة الأنصاري ﵁ فتكون زوجته أم سليم.

وهذا المثل وإن كان يضرب في الإيثار؛ إلا أنه نموذج على التصدق أيضاً، خاصة وأنهما قد أطعما ذلك الضيف الطعام الوحيد الذي عندهم، بل إنه طعام أولادهما، فهما أصلاً ليس عندهما طعام لأنفسهما ومع ذلك تصدَّقا به وأطعماه للضيف المجهود.

وهكذا نرى أن أمَّ سليم وأم الدحداح قد شاركتا زوجيهما في الإنفاق في سبيل الله تعالى وشجَّعتاهما.

* * *

---

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب (قوله: **﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾** ٤/ ١٨٥٤، حديث ٤٦٠٧. صحيح مسلم: كتاب: الأشربة، باب (إكرام الضيف وفضل إيثاره) ٣/ ١٦٢٤، حديث ٢٠٥٤. وانظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣٩.

رابعاً: تشجيع الاقارب على الجهاد والصبر على استشهادهم

إن الجهاد في سبيل الله ميدان من أعظم ميادين الدعوة إلى الله تعالى، فبه تعلوا كلمة الله عزّ وجلّ، وبه ينتشر الدين في أرجاء المعمورة. لذلك فرضه الله عزّ وجلّ فقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾(١).

وجعل الله للمجاهدين فضلاً ومنزلة لا يصلها غيرهم، فقال تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾(٢).

(قوله: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ كان مطلقاً، ثم نزل الوحي السريع ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾، فصار ذلك مخرجاً لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد من العمى والعرج والمرض عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين.

قال ابن عباس ﵄: غير أولي الضرر وكذا ينبغي أن يكون. كما ثبت في الصحيح من طريق زهير بن معاوية عن حميد عن أنس ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر**»(٣).

وقوله: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: أي الجنة والجزاء الجزيل. ثم أخبر سبحانه بما فضّلهم به من الدرجات في غرف الجنان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلأت، وأحوال الرحمة والبركات، إحساناً منه وتكريماً ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

(٢) سورة النساء: الآيتان ٩٥، ٩٦.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب (من حبسه العذر عن الغزو) ٣/ ١٠٤٤، حديث ٢٦٨٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٢.

ولما سئل الرسول ﷺ عن أفضل الناس، أجاب بأنه المجاهد في سبيل الله. فقد أخرج الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله؛ أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله**»، قالوا: ثم من ؟ قال: «**مؤمن في شعب من الشعب يتقي الله ويدع الناس من شره**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان؛ كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها**»، فقالوا: يا رسول الله؛ أفلا نبشِّر الناس؟ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة**». أُراه قال: «**وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا سعيد؛ من رضي بالله ربًا، وبمحمد ﷺ نبياً؛ وجبت له الجنة**»، فعجِب لها أبو سعيد، فقال: أعدها علي يا رسول الله، ففعل، ثم قال: «**وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله**»[3].

لقد كانت هذه النصوص - وغيرها كثير - حافزاً عظيماً للصحابة ﷺ للإقبال على الجهاد والاستشهاد، بل إن نساءهم رغبن أيضاً في هذه المشاركة والحصول على الأجر الجزيل، ولكن الرسول ﷺ أخبرهن بأن الجهاد أمر خاص بالرجال دون النساء. فعن عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت: استأذنت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب (أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) ٣/١٠٢٦، حديث ٢٦٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب (درجات المجاهدين في سبيل الله) ٣/ ١٠٢٨، حديث ٢٦٣٨.

(٣) أخرجه مسلم في الإمارة، باب (بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات) ٣/١٥٠١، حديث ١٨٨٤.

النبي ﷺ في الجهاد، فقال: «**جهادكن الحج**»[(١)]. والمقصود هنا هو أنه ليس عليكن الجهاد الذي بمعنى القتال، وإنما جهادكن يكون بأداء فريضة الحج[(٢)].

ولكن الله عز وجلَّ لم يحرم هؤلاء النسوة من الأجر، فجعل لهن دوراً في هذا الميدان، وهو تشجيع الأقارب من زوج وابن وغيره في المشاركة في الجهاد والاستشهاد، وإذا ما استشهدوا فعليهن الصبر والاحتساب، وعلى قدر هذا الصبر والاحتساب يكون لهن الأجر والثواب.

هذا الأمر في حقيقته نوع من الابتلاء الذي يمتحن الله فيه عباده المؤمنين، لذلك قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[(٣)].

(إن الله يبتلي عباده ويختبرهم تارة بالسرَّاء وأخرى بالضرَّاء من خوف وجوع، أو ذهاب الأموال، أو موت الأقارب والأحباب، فإذا أصابتهم مثل هذه المصائب والإبتلاءات تسلَّوا بقولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. ذلك لأنهم علموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده كيف يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة)[(٤)].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها**»[(٥)].

(لا بد من هذا الابتلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف. والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب (جهاد النساء) ٣/ ١٠٥٤، حديث ٢٧٢٠.
(٢) سيكون لذلك تفصيل في موضع لاحق.
(٣) سورة البقرة، الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧.
(٤) تفسير ابن كثير ١/ ١٩٨.
(٥) ومعنى (آجره الله): أي أعطاه أجره وجزاء صبره وهمِّه في مصيبته. محمد فؤاد عبد الباقي. صحيح مسلم ٢/ ٦٣٢.

تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى. فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها كانت أعزَّ عليهم، وكانوا أضن بها)[١].

(ولا بد من الابتلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش مكنون القوى، ومذخور الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب، وما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون، والران عن القلوب)[٢].

لذلك كان صبر نساء الصحابة رضي الله عنهن على من استشهد لهن في المعارك، واحتسابهن في سبيل الله؛ أمراً يستحق الأجر الجزيل من الرب الجليل.

لقد أخرج الإمام البخاري عن أنس ﷺ: أن أم الربيِّع بنت البراء[٣] أتت إلى النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله؛ ألا تحدثني عن حارثة؟ وكان قتل في يوم بدر؛ أصابه سهم غرب[٤]، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان في غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال: **«يا أم حارثة؛ إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»**[٥].

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ١٤٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) اسمها الربيع بالتخفيف، وهي أم حارثة بن سراقة، وهي أخت أنس بن النضر، وعمة أنس بن مالك، وهي التي كسرت ثنية امرأة فعرضوا على المرأة الإرش، فأبوا، فطلبوا العفو، فأبوا، وأتوا النبي ﷺ فأمر بالقصاص، فقام أنس بن النضر وقال: يا رسول الله، أتكسر ثنية الربيع؟! والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فعفا القوم بعد أن كانوا قد امتنعوا، فقال رسول الله ﷺ: **«إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه»**.
رواه البخاري في كتاب: التفسير باب (والجروح قصاص) ٢/ ٩٦١، حديث ٢٥٥٦، ومسلم في القسامة باب (إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها) ٣/ ١٣٠٢، حديث ١٦٧٥. وذكر أن الذي أقسم هي أخت أم الربيع.
انظر: الإصابة ٤/ ٣٢٠، وأسد الغابة ٥/ ٤٧٤.

(٤) هو السهم الذي لا يُدرى من أين انطلق. لسان العرب ٢/ ٩٦٧، مادة (غرب).

(٥) صحيح البخاري: كتاب: الجهاد والسير، باب (من أتاه سهم غرب فقتله) ٣/ ١٠٣٤، حديث ٢٦٤٥.

وذكر ابن إسحاق عن صفية بنت عبد المطلب[1] رضي الله عنها لما قتل أخوها حمزة عم الرسول ﷺ فقال: (وقد أقبلت ـ فيما بلغني ـ صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: **«ألقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها»**، فقال لها: يا أماه؛ إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولم وقد بلغني أن قد مثِّل بأخي! وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، قال: **«خلِّ سبيلها»**. فأتته، فنظرت إليه، فصلَّت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ، فدفن)[2].

وذكر عن حمنة بنت جحش[3]، فقال: (ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش ـ كما ذكر لي ـ فلما لقيت الناس نعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها خالها حمزة، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت)[4]. ولعلها تذكرت يتم أولادها فعز عليها ذلك.

---

(١) عمة رسول الله ﷺ، وأم حواريه الزبير بن العوام، وأمها من بني زهرة. تزوجها الحارث بن حرب أخو أبي سفيان فتوفي عنها وخلف عليها العوام أخو خديجة أم المؤمنين، فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة. ولقد أسلمت بمكة، ثم هاجرت مع أوائل المهاجرين. وتوفيت سنة عشرين للهجرة، ودفنت بالبقيع.
انظر: الإصابة ٤/٢٣٩، والطبقات الكبرى ٨/ ٤١، وأسد الغابة ٥/ ٤٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٩، والاستيعاب ٤/٣٣٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/١٤١. قال المحقق: الخبر ذكره ابن إسحاق بلاغاً، والبلاغ منقطع، ورواه أحمد في مسنده ١/ ١٦٥، والبزار في مسنده، كشف الأستار ٦/ ٣٢٨، وأبو يعلى في مسنده ٦/ ٤٥، والبيهقي في الدلائل ٣/ ٢٩٠ كلهم من طريق داود الهاشمي عن ابن أبي الزناد عن هشام. قال ابن معين: أثبت الناس في هشام بن عروة عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، وقال المديني: ما حدَّث في المدينة فصحيح، وما حدَّث ببغداد أفسده البغداديون. التهذيب ٦/ ١٢٧. وبذلك يكون الحديث صحيحاً. اهـ.

(٣) سبقت ترجمتها ص٨٠.

(٤) سيرة ابن هشام ٣/ ١٤٤. ولقد روي أن الرسول ﷺ قال حينما سمعها تصيح وتولول: «إن زوج المرأة منها لبمكان». قال المحقق: إن الرواية ضعيفة، وقد رواها ابن ماجه بلفظ (لشعبة).
انظر: ضعيف سنن ابن ماجه للألباني ص١٢٠، حديث ١٥٩٠. المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

وأخرج ابن ماجه عن أم سلمة[1] ﵂ أن أبا سلمة حدَّثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع إلى أمر الله به من قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾**، اللهم عندك احتسبت مصيبتي، فآجرني فيها، وعوِّضني منها، إلا أجره الله عليها، وعاضه خيراً منها».

قالت: فلما توفي أبو سلمة ذكرت الذي حدثني عن رسول الله ﷺ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك احتسبت مصيبتي هذه، فآجرني عليها، فإذا أردت أن أقول: وعِضْني خيراً منها، قلت: أُعاض خير من أبي سلمة؟! ثم قلتها، فعاضني الله محمداً ﷺ وآجرني في مصيبتي)[2].

هكذا نرى أن هؤلاء الصحابيات قد احتسبن شهداءهن، وصبرن على ما ابتلين به، لأنهن علِمن ما أعدَّه الله لهن ولشهدائهم من الأجر الجزيل، فرضي الله عنهن أجمعين.

* * *

---

(١) سبقت ترجمتها ص٧٠.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب: الجنائز، باب (ما جاء في الصبر على المصيبة) ١/٥٠٩، حديث ١٥٩٨. وقد صحَّحه الألباني. صحيح سنن ابن ماجه ١/٢٦٦، حديث ١٢٩٩.

المبحث الثاني
قيامها بالدعوة داخل المجتمع الإسلامي

أولاً: مشاركتها في طلب العلم ونشره.

ثانياً: مشاركتها في الجهاد.

ثالثاً: الجهاد بالمال.

رابعاً: الدفاع عن الإسلام باللسان.

* * *

أولاً: مشاركتها في طلب العلم ونشره

لم يكن للعرب في جاهليتهم حظ مرموق من العلم والثقافة، لذلك سمّاهم الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم بالأميين، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[1]. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأميُّون هم العرب)[2].

ولما أشرق الإسلام بنوره المبين، وهديه القويم، على أرض الجزيرة العربية؛ حفّز أهلها لطلب العلم، فكانت أول الآيات تنزيلاً قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[3]. ثم تتابعت الآيات الحاضّة على طلب

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٦٤.

(٣) سورة العلق: الآيات ١ ـ ٥.

العلم، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

ولقد أخرج الإمام البخاري عن معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: **«مَنْ يُرِدْ بِهِ اللَّهُ خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وإنَّما أنَا قَاسِمٌ واللَّهُ يُعْطِي، ولن تَزَالُ هذه الأمةُ قائمةً على أمرِ الله لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهم حتى يأتي أمرُ الله»**[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَثَلُ ما بعثني اللَّهُ به مِنَ الهُدى والعلم كمثلِ الغيثِ الكثيرِ أصابَ أرْضاً، فكان منها نقيةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنبتتِ الكلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت مِنها أجادبُ أمسكتِ الماءَ فنفعَ اللَّهُ بها النَّاسَ فشرِبُوا وسَقُوا وزرعوا، وأصابَ منها طائفةً أخرى إنّما هي قيعانٌ لا تمسكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً. فذلك مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللَّهِ ونفعَه ما بَعَثني اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ من لَمْ يرفعْ بذلك رأساً ولم يقبلْ هُدى اللَّه الذي أُرسلتُ به»**. قال البخاري: (قال إسحاق ـ أحد الرواة: وكان منها طائفة قيّلت الماء: قاع يعلوه الماء. والصفصف: المستوي من الأرض)[3].

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وأسس فيها دولة الإسلام، تبيّن في سياسته، وفي فجر جهاده، وأولى غزواته وهي بدر الكبرى ما ينطق بحرصه الشديد على تمكين العلم والأخذ بأسبابه بين جماهير المسلمين، فبعد انتهاء الغزوة وانتصار المسلمين فيها، وأسر عدد كبير من المشركين، وبعد أن أشار بعض الصحابة بأمر الفداء، جعل النبي ﷺ فداء الأسير المتعلم أن يعلم القراءة والكتابة عشرة من المسلمين. فلقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كان ناس من أسرى بدر لم يكن لهم فداء، فجعل النبي ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة. فجاء غلام يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ فقال: ضربني معلّمي. فقال: الخبيث؛ يطلب بِذَحْلِ[4] بدر، والله لا

(١) سورة الزمر: الآية ٩.
(٢) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب (من يرد الله به خيراً يفقهه) ١/٣٩، حديث ٧١.
(٣) رواه البخاري في العلم، باب (فضل من علم وعلّم) ١/٤٢، حديث ٧٩.
(٤) الذحل: هو الثأر، أو العداوة والحقد، وجمعه: أذحال وذحول. القاموس المحيط ص١٢٩٤، مادة (ذحل).

تأتيه أبداً)[١]. انفرد به أحمد وهو على شرط الشيخين[٢].

لقد كان لهذه اللفتة النبوية الكريمة أثرها في نفوس الصحابة ﷺ، حيث إنهم بادروا إلى طلب العلم وتلقيه من رسول الله ﷺ، ولم تقتصر هذه المبادرة على الرجال فقط، بل لقد كان للنساء سهم في ذلك، وأولهنَّ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهنَّ أقرب الناس إليه. بل ولقد أمرهن الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز أن يبلغن ما يسمعن من الآيات الكريمة ويرَين من هدي الرسول ﷺ. فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (أمر الله أزواج رسول الله ﷺ بأن يخبرن بما أنزل إليه من القرآن في بيوتهن وما يرين من أفعال النبي ﷺ وأقواله فيهن، حتى يبلغ ذلك إلى الناس فيعملوا بما فيه ويقتدوا به)[٤]. وقال الإمام الطبري رحمه الله: (أي اذكرن ما يتلى في بيوتكن من الحكمة. ويعني بالحكمة: ما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة)[٥].

ولقد كانت أكثر أمهات المؤمنين علماً هي عائشة رضي الله عنها، فلقد مكَّنتها مكانتها وقربها من رسول الله ﷺ من الأخذ من هديه الشيء الكثير حتى كانت من أكثر الصحابة علماً ورواية للحديث الشريف. قال الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي الميانشي: (روينا بسندها عن بقي بن مخلد رضي الله عنه أن عائشة روت ألفين ومائتين حديث وعشرة أحاديث، والذين روَوا الألوف عن رسول الله ﷺ أربعة: أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين)[٦].

وقال الزهري عن علمها: (لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/ ٢٤٧، دار صادر، المكتب الإسلامي، بيروت.
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٥١٢. تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٤.
(٤) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٣/ ١٥٣٨.
(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ٨.
(٦) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشي ص٥٩، تحقيق: سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

علم عائشة أفضل)[1]. وقال عطاء: (كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة)[2]. وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلاّ وجدنا عندها منه علماً)[3].

ولقد حازت أم المؤمنين على هذه الدرجة والمكانة لفضلها أولاً، فهي صاحبة الحجرة التي تعتبر مهبط الوحي، وذلك لما رواه الإمام البخاري عن عروة بن الزبير قال: (كان الناس يتحرَّون بهداياهم يوم عائشة، فاجتمع صواحبي ـ المتكلِّمة عائشة ـ إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرَّون يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان، أو حيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذاك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال: **«يا أمَّ سَلَمَةَ؛ لا تُؤْذُونَنِي في عائشةَ، فإنَّه واللَّهِ ما نَزَلَ عَلَيَّ الوحيُ وأنا في لحافِ امرأةٍ منكنَّ غيرَها»**[4].
وثانياً: لما كانت تمتاز به من حرص على طلب العلم والمعرفة، فكانت كثيرة الأسئلة للنبي ﷺ في كثير من الأمور والقضايا، وقلّ أن تسمع شيئاً تستشكله، أو ترى أمراً لا تعرفه إلاّ وتسأل عنه مستفسرة. فعن ابن أبي مليكة: أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلاّ راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: **«مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ»**، قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[5]؟ قالت: فقال: **«إنَّما ذلكَ العَرْضُ، ولكن مَنْ نُوقِشَ الحسابَ فقد هَلَكَ»**[6].

---

(١) المرجع السابق ص٥٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/١٥٨.
(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب (فضل عائشة ﵂) ٥/٧٠٥، حديث ٣٨٨٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد صحّحه الألباني، صحيح سنن الترمذي ٣/٢٤٣، حديث ٣٠٤٤.
(٤) صحيح البخاري، كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب (فضل عائشة ﵂) ٣/١٣٧٦، حديث ٣٥٦٤.
(٥) سورة الانشقاق: الآية ٨.
(٦) أخرجه البخاري في العلم، باب (من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه) ١/٥١، باب (١٠٣).

ولقد كان لها دور بارز في تعليم النساء أمور دينهن وخاصة الأمور الخاصة بهن، والتي يستحي الرجال من ذكرها، فلقد أخرج الإمام البخاري عنها أنها قالت: (أن امرأة سألت النبي ﷺ كيف تغتسل؟ قال: «**خُذِي فِرْصَةً**[(١)] **مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا**»، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «**سبحان الله! تطهَّري**»! فاجتذبتها إليّ، فقلت: تتبَّعي أثر الدم)[(٢)].

وفي رواية: (أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ: كيف أغتسل من المحيض؟ قال: «**خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَوَضَّئِي ثَلاثاً**». ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه، أو قال: «**توضئي بها**». فأخذتها فجذبتها، فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ)[(٣)].

هذا هو فضل ومكانة عائشة أم المؤمنين في العلم ورواية الحديث. وأما بالنسبة لبقية أمَّهات المؤمنين فلقد كان لهن دور أيضاً في نقل سنة النبي ﷺ. وسوف نذكرهن بحسب عدد الأحاديث التي روتها كلٌ منهن:

أم سلمة[(٤)]:

يبلغ مسندها ثلاثمائة وسبعون حديثاً[(٥)]، وهي أكثر أمهات المؤمنين رواية بعد عائشة. ولقد روى عنها سعيد بن المسيّب، وشقيق بن سلمة، والأسود بن يزيد، والشعبي، وأبو صالح السمَّان، ومجاهد، ونافع بن جبير بن مطعم، وعطاء بن رباح، وخلق كثير[(٦)].

---

(١) الفِرصة: بالكسر ثم التسكين: هي خرقة أو قطنة تتمسّح بها المرأة من الحيض، وجمعها فراص. القاموس المحيط ص٨٠٧، مادة (فرص).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الطهارة، باب (دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع بها أثر الدم) ١/ ١١٩، حديث ٣٠٨، واللفظ له. وأخرجه مسلم في الحيض، باب (استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم) ١/ ٢٦٠، حديث ٣٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في الطهارة، باب (غسل المحيض) ١/ ١١٩، حديث ٣٠٩.

(٤) سبقت ترجمتها ص٧٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٠.

(٦) المرجع السابق ص٢٠٢.

أم حبيبة[1]:

مسندها خمسة وستون حديثاً. واتفق لها البخاري ومسلم على حديثين، وتفرد مسلم بحديثين[2].

حفصة[3]:

لها في مسند بقي بن مخلد ستون حديثاً. اتفق لها الشيخان على أربعة أحاديث وانفرد مسلم بستة أحاديث[4].

ميمونة بنت الحارث[5]:

روت ثلاثة عشر حديثاً. روي لها سبعة أحاديث في الصحيحين، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة[6].

زينب بنت جحش[7]:

لها أحد عشر حديثاً. اتفقا على حديثين[8].

---

(١) سبقت ترجمتها ص٦٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٩.

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ، وأمها زينب بنت مظعون. كانت حفصة عند حصن بن حذافة وقد استشهد في بدر، ولما انقضت عدتها عرضها عمر على أبي بكر فسكت، فعرضها على عثمان فرفض، فشكى أمره إلى رسول الله ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: **«يتزوّجُ حفصةَ من هو خيرٌ من عثمانَ، ويتزوّجُ عثمانُ من هي خيراً من حفصة»**. ولقد تزوجها بعد عائشة سنة اثنتين، وقيل: ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وتوفيت سنة إحدى وأربعين.

انظر: الإصابة ٤/ ٢٦٤، والطبقات الكبرى ٨/ ٨١، والاستيعاب ٤/ ٢٦٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٣٠.

(٥) الهلالية، وأمها هند بنت عوف بن زهير، اسمها برة فسمّاها رسول الله ﷺ ميمونة، وكانت عند رهم بن عبد العزى القرشي العامري، ثم تزوّجها الرسول ﷺ في ذي القعدة سنة سبع لمّا اعتمر عمرة القضية، وماتت سنة إحدى وخمسين.

انظر: الإصابة ٤/ ٣٩٨، والاستيعاب ٤/ ٣٩١، والطبقات الكبرى ٨/ ١٣٢.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٤٥.

(٧) سبقت ترجمتها ص٨٠.

(٨) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٨.

صفية بنت حييّ بن أخطب[1]:

ورد لها من الأحاديث عشرة أحاديث. منها واحد متفق عليه[2].

جويرية بنت الحارث[3]:

لها سبعة أحاديث. منها عند البخاري حديث واحد، وعند مسلم حديثان[4].

سودة بنت زمعة[5]:

لها خمسة أحاديث. منها حديث واحد عند البخاري[6].

هذا هو دور أمهات المؤمنين في رواية أحاديث النبي ﷺ ونشر العلم، وذلك فضل لهن عظيم، فلولاهنَّ لضاع قسم كبير من السنة وخاصة القسم المتعلق بسنته الشريفة في بيته ومع أهله.

---

(١) أمها برة بنت السموأل، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي، فأخذها دحية الكلبي، ثم استعادها النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها، وتوفيت سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية.
انظر: الإصابة ٤/٣٣٨، والاستيعاب ٤/٣٣٧، والطبقات ٨/ ١٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٣٨.

(٣) من بني المصطلق، صارت في السبي يوم المريسيع سنة خمس، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقي، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها، ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ لتستعين به في هذه المكاتبة، فاقترح عليها أن يؤدي عنها ويتزوجها فوافقت، فلما سمع الناس ذلك أطلقوا من بأيديهم من السبايا والأسرى لأنهم أصبحوا أصهار رسول الله ﷺ، فكانت جويرية بركة على قومها. وكان اسمها برة، فسمَّاها الرسول ﷺ جويرية. وتوفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين.
انظر: الإصابة ٤/ ٣٥٧، والاستيعاب ٤/ ٢٥١، والطبقات ٨/ ١١٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٣.

(٥) سبقت ترجمتها ص٧١.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٩.

ومن الصحابيات أيضاً من شاركن في نشر العلم ورواية الحديث الشريف، مثل فاطمة بنت رسول الله[1] ﷺ، فإن لها في مسند بقي بن مخلد ثمانية عشر حديثاً. منها واحد متفق عليه[2]، ولقد روى عنها ابنها الحسين، وعائشة، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وغيرهم[3].

وأم أيمن[4] رضي الله عنها لها خمسة أحاديث[5]. وأسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضي الله عنها، مسندها ثمانية وخمسون حديثاً. اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بأربعة[6]. وأم هانئ[7] رضي الله عنها، لها ثلاثون حديثاً. اتفق على حديث واحد، وآخر عند البخاري، وثالث عند مسلم[8].

وأم سليم بنت ملحان[9] رضي الله عنها روت أربعة عشر حديثاً، اتفقا على ثلاثة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين[10]. وأسماء بنت عميس[11] رضي الله عنها، لها أحاديث في سنن الأربعة، وقد حدّث عنها ابنها عبد الله بن جعفر، وابن أختها عبد الله بن شداد، وسعيد بن المسيّب، وعروة، والشعبي، والقاسم بن

---

(١) سبقت ترجمتها ص ٦١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٤.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١١٩.

(٤) سبقت ترجمتها ص ٨١.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢٧.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٩٦.

(٧) بنت أبي طالب، ابنة عم النبي ﷺ، واسمها فاختة. كانت زوجة لهبيرة بن عمرو المخزومي، فلما أسلمت فرّق بينهما الإسلام، فخطبها رسول الله ﷺ، فاعتذرت إليه قائلة: يا رسول الله؛ لأنت أحب إلي من سمعي وبصري، وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج فلم يتزوجها، ولم تكن من المهاجرات. وعاشت بعد علي رضي الله عنه.
انظر: الإصابة ٤/ ٤٧٩، والاستيعاب ٤/ ٤٧٩، والطبقات ٨/ ٤٧.

(٨) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣١٥.

(٩) سبقت ترجمتها ص٨٧.

(١٠) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣١١.

(١١) سبقت ترجمتها ص٧١.

محمد وآخرون[١]. وأم كلثوم بنت عقبة بن معيط[٢]، روت عشرة أحاديث في مسند بقي بن مخلد، ولها في الصحيحين حديث واحد[٣].

وأسماء بنت يزيد بن السكن[٤]، التي سمّيت بخطيبة النساء لفصاحتها ورجاحة عقلها، ولقد روت عن النبي ﷺ جملة أحاديث، وحدّث عنها مولاها مهاجر، وشهر بن حوشب، ومجاهد، وإسحاق بن راشد، وابن أختها محمود بن عمرو وآخرون[٥]. ولقد كانت في بعض الأحيان حلقة الوصل بين النساء وبين رسول الله ﷺ، أو كما تسمَّى مندوبة النساء.

فلقد ذكر ابن عبد البر رحمه الله أنها أتت النبي ﷺ فقالت: (إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي. إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنّا بك واتَّبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدَّرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضّلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربَّينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم مقالةَ امرأةٍ أحسنَ سؤالاً عن دينها من هذه**»؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**انصرفي**

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٧.

(٢) أمها أروى بنت كريز والدة عثمان بن عفان. أسلمت قديماً وبايعت، وتأخرت هجرتها إلى عام الحديبية، فهاجرت إلى المدينة تمشي وتبعها أخواها عمارة والوليد فلم ترجع، ولما طلباها من النبي ﷺ أبى ذلك، وهي ممن نزلت فيهن آية الامتحان. وتزوجها زيد بن حارثة، فلما قتل خلف عليها الزبير بن العوام، فولدت له زينب ثم فارقها، فتزوجها عبد الرحمٰن بن عوف، فولدت له إبراهيم وحميداً، ثم مات عنها، فتزوجها عمرو بن العاص، فمكثت عنده شهراً ثم ماتت.
انظر: الإصابة ٤/ ٤٦٧، والاستيعاب ٤/ ٤٦٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧٧.

(٤) هي أم عامر وأم سلمة الأنصارية الأشهلية بنت عمة معاذ بن جبل، أمها أم سعد بنت خزيم. أسلمت أسماء وبايعت رسول الله ﷺ، وكانت ممن بايع بيعة الرضوان، وشهدت خيبر، وشاركت في معركة اليرموك وقتلت تسعة من الروم بعمود خبائها، وتوفيت في خلافة يزيد بن معاوية.
انظر: الإصابة ٤/ ٢٢٩، والاستيعاب ٤/ ٢٣٣، والطبقات ٨/ ٣١٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٩٧.

يا أسماءُ وأعْلِمِي مَنْ وراءَك مِنَ النِّساءِ أنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إحْداكُنَّ لزوجِها، وطَلَبَها لمرضاتِه، واتِّبَاعَها لموافَقَتِه يَعْدِلُ كُلَّ ما ذكرتِ للرجال». فانصرفت أسماء وهي تهلِّل وتكبّر استبشاراً بما قال رسول الله ﷺ)[1].

ومن الصحابيات اللاتي كان لهن فضل في نشر العلم الشفاء بنت عبد الله[2] رضي الله عنها، فلقد كانت من القلائل اللاتي يعرفن القراءة والكتابة، فأمرها النبي ﷺ بتعليم حفصة أم المؤمنين. فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن حفصة أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة يقال لها شفاء[3] ترقي من النملة[4]، فقال النبي ﷺ: **«علِّميها حفصة»**[5]، وأخرج بسنده عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل علينا النبي ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: **«ألا تعلِّمين هذه رقية النملة كما علَّمتيها الكتابة»**[6]»؟

ولقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقَّهن في الدين)[7].

وكان الرسول ﷺ يشجع النساء على طلب العلم، ودليل ذلك أنه خصَّص لهن يوماً ليعظهن فيه ويعلمهن أمور دينهن. أخرج الإمام البخاري عن

---

(١) الاستيعاب ٤/ ٢٣٣. وقد قال الألباني: أن هذه الرواية ضعيفة. إرواء الغليل ٦/ ٣٤٧، ولكن الحافظ ابن كثير قال: إسناده جيد قوي. تفسير ابن كثير ١/ ٤٦٨.

(٢) القرشية العدوية، وأمها فاطمة بنت وهب المخزومية. أسلمت الشفاء قبل الهجرة وبايعت. تزوجها أبو حثمة بن حذيفة من بني عدي فولدت له سليمان، ثم خلف عليها أخوه مرزوق فولدت له أبا حكيم وكان شريفاً.
انظر: الإصابة ٤/ ٣٣٣، واطبقات ٨/ ٣٦٨.

(٣) وفي رواية: الشفاء.

(٤) قال الخطابي: (النملة: القروح تخرج من الجنبين، ويقال إنها تخرج أيضاً من غير الجنب، ترقى فتذهب بإذن الله عزّ وجلّ). الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ١٧/ ١٧٩، ولسان العرب ٣/ ٧٢٤.

(٥) مسند الإمام أحمد ٦/ ٢٨٦. وقال المحقق: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد من حديث حفصة، وأورده الهيثمي، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. الفتح الرباني ١٧/ ١٧٩.

(٦) مسند أحمد ٦/ ٣٧٢، والفتح الرباني ١٧/ ١٧٩.

(٧) أخرجه البخاري في العلم، باب (الحياء في العلم)، حديث ١٢٥.

أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهنّ وأمرهنّ، فكان فيما قال لهن: **«ما مِنكُنَّ امرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِنْ وَلَدِها إلاّ كان لها حِجاباً من النّار»**، فقالت امرأة: واثنين؟ قال: **«واثنين»**[1].

وفي خطبة العيد كان رسول الله ﷺ بعد أن ينتهي من خطبته للرجال؛ ينصرف إلى النساء فيخطب فيهن ويعظهن. فعن عطاء عن جابر بن عبد الله قال: (أن النبي ﷺ قام يوم الفطر[2] فصلى، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثم خطب الناس فلما فرغ نبي اللّه ﷺ نزل وأتى النساء، فذكّرهن وهو يتوكأ على يد بلال، وبلال باسط ثوبه، يلقين النساء صدقة). قال الراوي: قلت لعطاء: زكاة يوم الفطر؟ قال: لا، ولكن صدقة يتصدَّقن بها حينئذ. تلقي المرأة فتخها ويلقين ويلقين. قلت: أترى حقاً على الإمام ذلك ويذكرهن؟ قال: إنه لحق عليهم، وما لهم لا يفعلونه؟)[3].

وعنه قال: (شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد، فبدأ الصلاة قبل الخطبة، بغير أذان ولا إقامة. ثم قام متوكأ على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكَّرهم، ثم مضى، حتى أتى النساء، فوعظهن وذكَّرهن، فقال: **«تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ»**، فقامت امرأة من سَطَّةِ[4] النساء سَفْعَاءَ الخدين[5] فقالت: لم يا رسول الله؟ قال: **«لأنكنَّ تُكثرنَ الشَّكاةَ[6]، وتكفُرْنَ العَشِير»**[7]. قال: فجعلن يتصدَّقن من حليِّهن، يلقين

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: العلم، باب (هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم) ١/ ٥١، حديث ١٠١.

(٢) يعني عيد الفطر.

(٣) متفق عليه: البخاري في العيدين، باب (موعظة النساء يوم العيد) ١/ ٣٢٧، حديث ٩١٨، واللفظ له، ومسلم في نفس الكتاب ٢/ ٦٠٣، حديث ٨٨٥.

(٤) أي في وسط النساء. لسان العرب ٣/ ٩٣٤، مادة (سطط).

(٥) السفعة: هي السواد المشرب بالحمرة. القاموس المحيط ص٩١٤، مادة (سفع).

(٦) أي الشكوى. لسان العرب ٣/ ٩٢٤، مادة (شكو).

(٧) هو المعاشر والمخالط، ويراد به الزوج، فهن يجحَدن الإحسان لضعف عقولهن وقلة معرفتهن. لسان العرب ٢/ ٨٧٤، مادة (عشر).

في ثوب بلال من أقرطهن[1] وخواتمهن)[2].

بل لقد أذن عليه الصلاة والسلام للحائض بأن تحضر إلى الخطبة. فعن أم عطية ﵂ قالت: (أمرنا - تعني النبي ﷺ - أن نخرج في العيدين العواتق[3]، وذوات الخدور. وأمر الحيّض أن يعتزلن مصلّى المسلمين)[4]. وفي رواية أخرى: (أن نخرج الحيَّض وذوات الخدور). قال ابن عون: أو العواتق ذوات الخدور، فأما الحيّض فيشهدون جماعة المسلمين ودعوتهم ويعتزلن مصلاّهم[5]. فالرسول ﷺ أذن لهن في سماع الخطبة والاستفادة منها.

* * *

ثانياً: مشاركتها في الجهاد

أ ـ حكم خروج المرأة للجهاد:

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[6].

وقال تعالى: ﴿۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾[7].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾[8].

---

(١) جمع قرط، وهو ما يعلق في شحمة الأذن. القاموس المحيط ص٨٨٠، مادة (قرط).

(٢) أخرجه مسلم في العيدين ٢/ ٦٠٣، حديث ٨٨٥.

(٣) هنَّ الجواري البالغات. لسان العرب ٢/ ٦٧٩، مادة (عتق).

(٤) أخرجه البخاري في العيدين، باب (خروج النساء والحيّض إلى المصلّى) ١/ ٣٣١، حديث ٩٣١. ومسلم في العيدين، باب (ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة ومفارقة الرجال) ٢/ ٦٠٥، حديث ٨٩٠. واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري في الموضع السابق.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٧) سورة النساء: الآية ٧٤.

(٨) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2].

إن جميع هذه الآيات الكريمة تدل في ظاهرها على وجوب الجهاد على المسلمين عامة، أي أنه فريضة على الرجال والنساء جميعاً، وذلك لعموم اللفظ في الآيات، فليس فيها تخصيص للرجال دون النساء، ولكن الرسول ﷺ قد أخبرنا في الحديث الذي أوردناه سابقاً عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال: «**جهادكن الحج**»[3]، أن الصواب ليس كذلك، وكذلك الفقهاء قد أجمعوا على أن الجهاد الذي بمعنى القتال متعين في حق الرجال القادرين فقط. وهذه هي أقوال المذاهب في ذلك:

الأحناف:

(لا جهاد على الصبي والمرأة لأن بنيتهما لا تحتمل الحرب عادة)[4].

المالكية:

(وإذا كان النفير عاماً لغلبة العدو على الحوزة أو استيلائه على الأسارى؛ كان النفير عاماً ووجب الخروج خفافاً وثقالاً وركباناً ورجالاً، عبيداً وأحراراً، ومن كان له أب من غير إذن أبيه، ومن لا أب له، حتى يظهر دين الله، وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة، ويخزى العدو)[5]. أي أن مشاركة هؤلاء لا تكون إلاّ عند الضرورة كالنفير العام، وأما غير ذلك فهم غير مطالبين بالمشاركة.

الشافعية:

(لا جهاد على الأنثى وخنثى لضعفها عن القتال غالباً)[6]. (ولا جهاد

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤١.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب (جهاد النساء) ٣/ ١٠٥٤، حديث ٢٧٢٠.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر بن مسعود الكاساني ٩/ ٤٣١٠، مكتبة الإمام، القاهرة.

(٥) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ٢/ ٩٥٥.

(٦) حاشية البيجرمي على شرح منهج الطلاب للبيجرمي ٤/ ٢٥٠. المكتبة الإسلامية. تركيا.

على صبي ومجنون وامرأة ومريقي وذي عرج بيّن)[1].

الحنابلة:

(يشترط لوجوب الجهاد سبعة شروط: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والذكورة، والسلام من الضرر، ووجود النفقة)[2]. (وأما الذكورة فتشترط لما روته عائشة قالت: يا رسول الله؛ هل على النساء جهاد؟ فقال ﷺ: «**جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة**»[3]. ولأنها ليست من أهل القتال لضعفها وخورها)[4].

وهكذا نرى اتفاق الفقهاء على عدم وجوب الجهاد بالنفس على المرأة لعدم تحمُّلها لمشاق الحرب. ولقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن الجهاد، فقال: «**جهادكن الحج**». قال ابن بطال: (دلَّ حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس فيه أنه ليس لهن أن يتطوَّعن بالجهاد، وإنما لم يكن عليهن واجباً لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال، فلذلك كان الحج أفضل لهن)[5].

هذا هو رأي الفقهاء في حكم خروج المرأة للجهاد وقتالها للأعداء. ولكنه يبدو متعارضاً مع ما ثبت من أحاديث صحيحة دالة على خروج المرأة مع الجيش الإسلامي، ومباشرتها للقتال أحياناً! فكيف نوفّق بين هذه الأحاديث وبين رأي الفقهاء؟

الجواب على ذلك: هو ما قاله ابن بطال الذي ذكرناه قبل قليل، فقد أذن الرسول ﷺ لبعض الصحابيات بالمشاركة في الخروج من باب التطوع لأداء بعض الخدمات للجنود لا بقصد القتال، فالمرأة المسلمة لم تكن حينئذ مجنَّدة

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الشربيني الخطيب ٤/٢١٦، مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨.

(٢) المغني لابن قدامة المقدسي ٨/٣٤٧. مكتبة الجمهورية العربية. مصر، ومكتبة الرياض الحديثة. الرياض.

(٣) مسند الإمام أحمد ٦/ ١٦٥.

(٤) المغني ٨/ ٣٤٧.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٦/ ٧٧، الطبعة السلفية.

كالرجال، وإن كانت في ظروف معينة قد اضطرت إلى حمل السلاح ومباشرة القتال،ولم يحدث ذلك إلاّ نادراً. ومن ذلك نعلم أنه لا تعارض بين رأي الفقهاء وبين الأحاديث الواردة في خروج المرأة مع الجيش.

ب ـ الأعمال المنوطة بها في الجهاد:

لقد تبين لنا فيما سبق أن الأصل هو عدم مشاركة المرأة في القتال، ولكن سمح لها بالتطوع لأداء بعض الخِدْمات للجيش بما يناسب قدرتها الجسمية، وهذه الخِدْمات هي:

١ ـ المداواة والسقاية:

من أهم الأعمال التي كانت تؤديها النساء لخدمة الجيش هي مداواة وسقاية الجرحى، وردُّهم إلى المدينة أحياناً. قد أخرج الإمام البخاري عن أنس ﷺ قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ. قال: (رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمِّرتان أرى خدم سوقهما[١] تنقزان القرب[٢] على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم)[٣]. وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قسم مروطاً[٤] بين نساء من نساء المدينة، فبقي مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك[٥]. فقال عمر: (أم سليط[٦] أحق. فإنها

---

(١) وذلك قبل نزولة آية الحجاب.
(٢) عند مسلم: تنقلان القُرَب.
(٣) متفق عليه: البخاري في الجهاد والسير، باب (غزوة النساء وقتالهن مع الرجال) ٤/ ١٠٥٥ حديث ٢٧٢٤. ومسلم في الجهاد والسير، باب (غزوة النساء مع الرجال) ٣/ ١٤٤٣، حديث ١٨١١.
(٤) جمع مرط، وهو كساء من الصوف أو الخز. القاموس المحيط ص٨٨٧، مادة (مرط).
(٥) هي زوجته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب.
(٦) هي أم قيس بنت عبيد بن زياد البخارية، وأمها أم عبد الله بنت شبل بن الحارث من السكاسك. تزوجها أبو سليط بن أبي حارثة وهو عمرو بن قيس بن مالك من بني النجار، فولدت له سليطاً وفاطمة، وقد أسلمت وبايعت وشهدت خيبر وحنيناً.
انظر: الإصابة ٤/ ٤٤١، والطبقات الكبرى ٨/ ٤١٩.

كانت تزفر لنا القرب يوم أحد). قال أبو عبد الله: تزفر: تخيط[1].

وعن الربيِّع بنت معوذ[2] قالت: (كنا مع النبي ﷺ نسقي القوم ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة)[3]. وعنها قالت: (كنا نغزو مع النبي ﷺ، فنسقي القوم ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة)[4].

ولقد كان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه ليخرجن معه في الجيش. فعن عائشة قالت: (كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبي ﷺ، فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع النبي ﷺ بعدما أنزل الحجاب)[5].

وعن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان[6] فتطعمه، وكانت أم حرام محرماً له[7] تحت عبادة بن الصامت،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: الجهاد والسير، باب (حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو) ٢/١٠٥٦، حديث ٢٧١٥.

(٢) من بني النجار، وأمها أم يزيد بن قيس من بني النجار. تزوجها إياس بن البكير من بني ليث، فولدت له محمد بن إياس. أسلمت الربيع وبايعت، وقيل أنها كانت من المبايعين تحت الشجرة.
انظر: الإصابة ٤/ ٢٩٣، والطبقات ٨/ ٤٤٧.

(٣) صحيح البخاري، الموضع السابق، حديث ٢٧٢٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أخرجه البخاري في الموضع السابق ٣/ ١٠٥٥، حديث ٢٧٢٣.

(٦) من بني النجار، وأمها مليكة بنت مالك بن عدي، تزوجها عمرو بن قيس بن زيد فولدت له قيساً وعبد الله، ثم خلف عليها عبادة بن الصامت فولدت له محمداً. أسلمت وبايعت، ولقد أخرجها زوجها عبادة معه في غزوة قبرص في خلافة عثمان بن عفان، فلما جاز بها البحر ركبت الدابة فصرعتها فقتلتها، ودفنت هناك.
انظر: الإصابة ٤/ ٤٢٣، والطبقات ٨/ ٤٣٤.

(٧) قال ابن عبد البر: كانت إحدى خالاته من الرضاعة. وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجده، لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار.
انظر: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ٣/١٥١٨.

فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته، ثم جلست تفلي من رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: **«ناس من أمتي عُرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج**[١] **هذا البحر ملوكاً على الأسرَّة»**، أو **«مثل الملوك على الأسرة»** - يشك أيهما قال - قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها[٢]. ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: قلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: **«ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله»** - كما قال في الأولى - قالت: فقلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **«أنت من الأولين»**. فركبت أم ملحان البحر زمن معاوية[٣]، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت)[٤].

وعن أم عطية الأنصارية[٥] قالت: (غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى)[٦].

٢ - مباشرة القتال:

لقد علمنا فيما سبق أن مباشرة المرأة للقتال أمر لم يوجبه الإسلام، لما فيه من مخالفة لفطرة المرأة وبنيتها، ولكن في ظروف معينة اقتضت الحاجة والضرورة أن تحمل المرأة فيها السلاح تدافع به عن نفسها، أو عن

---

(١) ثبج: هو ما بين الكاهل إلى الظهر، ويقال لوسط الشيء ومعظمه، والمقصود به هنا: هو ظهر البحر ووسطه. القاموس المحيط ص٢٣٣، مادة (ثبج).

(٢) في رواية مسلم: **«فإنك منهم»**.

(٣) الصحيح أنه في زمن عثمان بن عفان، ولكنه قصد أمير الجيش.

(٤) متفق عليه: البخاري في الجهاد والسير، باب (غزو المرأة في البحر) ٣/ ١٠٥٥، حديث ٢٧٢٢. ومسلم في كتاب: الإمارة، باب (فضل الغزو في البحر). ٣/ ١٥١٨، حديث ١٩١٢.

(٥) هي نسيبة بنت الحارث. أسلمت وبايعت، وشهدت خيبر وغيرها من المعارك، وروت عن النبي ﷺ بعض الأحاديث.

(٦) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب (النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم، والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب) ٣/ ١٤٤٧، حديث ١٨١٢.

الرسول ﷺ، ولكن كما قلنا أن هذه الحالات كانت نادرة جداً فلا يمكن الاحتجاج بها في تجنيد بقية النساء.

ومن الصحابيات اللاتي شاركن في القتال أم عمارة الأنصارية[1] رضي الله عنها، وذلك في غزوة أحد عندما انكشف المسلمون ودارت عليهم الدائرة، وأصبحت حياة الرسول ﷺ في خطر، فكان على الجميع أن يحموه ويحافظوا على حياته أولاً، ثم ليدافعوا عن أنفسهم، فلما دارت على المسلمين الدائرة؛ التفَّ جماعة من الصحابة حول رسول الله ﷺ ليحموه من ضربات الأعداء، وكان من بين هذه الجماعة أم عمارة رضي الله عنها. ولقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما التفتُّ يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني»**[2].

وقال ابن سعد: (شهدت أم عمارة بنت كعب أُحداً مع زوجها غزية بن عمرو وابنيه[3]، وخرجت معهم بشن[4] لها في أول النهار ترى تسقي الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسناً وجرحت اثني عشر جرحاً؛ بين طعنة برمح وضربة بسيف، فكانت أم سعد بنت سعد بن ربيع تقول: دخلت عليها فقلت: حدثيني خبرك يوم أحد. قالت: خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراح. قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً له غور

---

(١) سبقت ترجمتها ص٧٧.

(٢) السيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي ٢/ ٥٠٩، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٧٤م، وصفة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي ٢/ ٦٣، تحقيق وتعليق: محمد فاخوري، تخريج: محمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، وقال المحقق: ورد الحديث في كتب السيرة ولم أجده في كتب السنة.

(٣) وقيل أنها خرجت مع زوجها زيد بن عاصم، الإصابة ٤/ ٤٠٣.

(٤) الشن: هي القربة من الخلق، لسان العرب ٢/ ٣٧١، مادة (شنن).

أجوف، فقلت: يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة وقد ولّى الناس عن رسول الله ﷺ يصيح: دلُّوني على محمد؛ فلا نجوت إن نجا. فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان)[1].

وأخرج بسنده عن ضمرة بن سعيد المازني يحدث عن جدته وكانت قد شهدت أحداً تسقي الماء قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان**». كان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً، وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها، وكان أعظم جراحها فداوته سنة، ثم نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، فشدَّت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح حتى أصبحنا. فلما رجع رسول الله ﷺ من الحمراء ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسُرَّ بذلك النبي ﷺ)[2].

وأخرج بسنده أيضاً فقال: (قالت أم عمارة: قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي معه إلا نفير ما يتمُّون عشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون منهزمين، ورآني لا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً معه ترس، فقال لصاحب الترس: «**ألق ترسك إلى من يقاتل**». فألقى ترسه، فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كانوا رجَّالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله، (فأقبل) رجل على فرس فضربني وتترَّست له فلم يصنع سيفه شيئاً، وولّى، وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: «**يا ابن أم عمارة؛ أمك أمك**»! قالت: فعاونني عليه حتى أوردته شعوب)[3].

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٤١٢، وسيرة ابن هشام ٣/ ١١٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ٤١٣.

(٣) المرجع السابق، وشعوب بمعنى: المنية والموت، القاموس المحيط ص١٣٠.

ومن الصحابيات اللاتي قاتلنَ صفية بنت عبد المطلب[1] عمة رسول الله ﷺ، وذلك في غزوة الخندق عندما كانت في حصن حسان بن ثابت رضي الله عنه.

فعن هشام بن عروة عن أبيه عنها قالت: (أنا أول امرأة قتلت رجلاً. كان حسان معنا، فمرَّ بنا يهودي، فجعل يطيف بالحصن، فقلت لحسان: إن هذا لا آمنه أن يدل على عورتنا؛ فقم فاقتله، قال: يغفر الله لك! لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا. فاحتجزت[2] وأخذت عموداً، ونزلت فضربته حتى قتلته)[3].

وأخرج الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه: أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها، فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر! فقال رسول الله ﷺ: **«ما هذا الخنجر»**؟ قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه، فجعل النبي ﷺ يضحك. قالت: يا رسول الله؛ اقتل من بعدنا من الطلقاء[4]، انهزموا بك[5]، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أم سليم؛ إن الله عزّ وجلّ قد كفى وأحسن»**[6]. وأم سليم مع أنها لم تباشر القتال ولكنها كانت مستعدة لذلك متى اقتضت الحاجة.

* * *

ثالثاً: الجهاد بالمال

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

---

(١) سبقت ترجمتها ص١٠٠.

(٢) أي شدت ثيابها من وسطها، القاموس المحيط ص٦٥٣، مادة (حجز).

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧٠، قال المحقق: أخرجه الحاكم من طريق يونس بن بكير عن هشام، وصحّحه، وتعقبه الذهبي بقوله: عروة لم يدرك صفية، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٣٤، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ولكنه مرسل.

(٤) لقد كانوا ممن أسلم بعد الفتح فكانوا ضعاف الإيمان لعدم تمكن الإيمان في قلوبهم بعد.

(٥) بمعنى (عنك).

(٦) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب (غزوة النساء مع الرجال) ٣/ ١٤٤٢، حديث ١٨٠٩.

عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾[1]. (هذا مثل يضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال سعيد بن جبير: المعنى هو الإنفاق في طاعة الله. وقال مكحول: يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك. وقال شبيب بن بشر بن عكرمة عن ابن عباس: الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف. وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينمّيها الله عزّ وجلّ لأصحابها كما ينمّي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة)[2].

(والإنفاق في سبيل الله صنو الجهاد الذي فرضه الله على الأمة الإسلامية، وهو يكلفها النهوض بأمانة الدعوة إليه وحماية المؤمنين به، ويدفع الشر والفساد والطغيان وتجريده من القوى التي يسطو بها على المؤمنين، ويفسد بها في الأرض، ويصد بها عن سبيل الله، ويحرم البشرية ذلك الخير العظيم الذي يحمله إليها نظام الإسلام، والذي يعد حرماناً منه جريمة فوق كل جريمة واعتداء أشد من الاعتداء على الأرواح والأموال)[3].

وعند تتبعنا للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الجهاد في سبيل الله نرى أن الأموال والأنفس قرينان فيه، فهما ركنا الجهاد ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، ولا يمكن للجهاد القيام إلا بهما معاً.

فقد قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦١.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣١٧.
(٣) في ظلال القرآن ١/ ٣٠٤.
(٤) سورة التوبة: الآية ٤١.
(٥) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قيل: يا رسول الله؛ أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»**، قالوا: ثم من؟ قال: **«مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس شرّه»**[2].

وعندما سمع المسلمون أمر رسول الله ﷺ بالإنفاق في سبيل الله تسابقوا جميعاً للتلبية والإجابة، ولم يقتصر ذلك على الرجال فقط بل تعدّاه إلى النساء أيضاً، وقد كان لهن نصيب كبير في هذا التسابق بغية الحصول على الأجر والثواب، فكن يعنَّ بكل ما قدرن عليه.

تقول أم سنان الأسلمية[3] ﷺ: (لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة ﷺ فيه: مسك[4]، ومعاضد[5]، وخلاخل[6]، وأقرطة[7]، وخواتيم، وقد ملئ مما بعث من النساء يعن به المسلمين في جهازهم، والناس في عسرة شديدة)[8].

ولقد أخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً»**. قالت: فكن يتطاولن أيتهن

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب (أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله...) ٣/١٠٢٦، حديث ٢٦٣٤.

(٣) من المبايعات، ولقد استأذنت الرسول ﷺ في الخروج معه إلى خيبر للقيام بمداواة الجرحى وسقايتهم، فأذن لها.
انظر: الإصابة ٤/٤٦٢، والطبقات ٨/٢٩٢.

(٤) الأسورة والخلاخل من القرون والعاج، القاموس المحيط ص١٢٣٠، مادة (مسك).

(٥) جمع معضد، وهو الدملج، أي الشيء المحلق الذي يلبس في اليد، لسان العرب ٢/٨٠٣، مادة (عضد).

(٦) حلية تلبس في الرِّجل، القاموس المحيط ص١٢٨٦، مادة (خلل).

(٧) ما يعلق في شحمة الأذن، القاموس المحيط ص٨٨٠، مادة (قرط).

(٨) كان ذلك في تجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك، تاريخ مدينة دمشق: تاريخ ابن عساكر لأبي قاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ١/٤١٥، تحقيق: صلاح الدين المنجد.

أطول يداً، قالت، وكانت أطولنا يداً زينب[1]، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق)[2].

ومعنى الحديث: (أنهن ظننَّ أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير. فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود. ووقع هذا الحديث في كتاب الزكاة عند البخاري بلفظ متعقد، يوهم أن أسرعهن لحاقاً هي سودة، وهذا الوهم باطل بالإجماع)[3].

ولقد مرَّ بنا سابقاً أن النساء كنَّ يخرجن يوم العيد إلى المصلَّى ويعظهن الرسول ﷺ ويذكرهن بالصدقة فيتصدَّقن بحليِّهن كما ورد في حديث جابر بن عبد الله ﷺ. قال: (فلما فرغ[4] نزل وأتى النساء، فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال، وبلال باسط ثوبه، يلقين النساء صدقة)[5].

* * *

رابعاً: الدفاع عن الإسلام باللسان

شاركت المرأة المسلمة في الدفاع عن الدين وعن الرسول ﷺ بلسانها ويتمثل ذلك في استخدام الشعر في الرد على الأعداء ممن حاولوا هجاء الإسلام أو الرسول ﷺ، وكذلك في مدح الإسلام والمسلمين، أو في رثاء الشهداء.

---

(١) هي زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة، باب (أي الصدقة أفضل، وصدقة الشحيح الصحيح) ٢/ ٥١٥، حديث ١٣٥٤، وفيه: (فكانت سودة أطولهن يداً). ومسلم في فضائل الصحابة، باب (فضائل زينب أم المؤمنين ﷺ) ٤/١٩٠٧، حديث ٢٤٥٢.

(٣) محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم ٤/١٩٠٧.

(٤) أي النبي ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري في العيدين، باب (موعظة الإمام للنساء يوم العيد) ١/٣٢٧، حديث ٩١٨، ومسلم في العيدين ٢/ ٦٠٣ حديث ٨٨٥.

ومن هؤلاء الشاعرات الصحابية الجليلة هند بنت أثاثة[1]، (التي حاربت بشعرها الجاهلية، ووقفت في وجه من حاولوا الوقوف في وجه الإسلام، يحولون دون بلوغ نوره، وقفت تؤدي دورها في خدمة دينها وأمتها، راشدة العقل، سليمة الفكر، معتزة بشرفها، عابدة لربها، لقد وقفت هذه الشاعرة المؤمنة وقد أدمى مهجتها جرح أحد، وأرّقها مصاب المسلمين)[2]، فترى هند بنت عتبة تعلو على صخرة مشرفة، وتصرخ قائلة:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر[3]
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي ولا عمِّه وبكري
شفيت نفسي، وقضيت نذري ... شفيت وحشي غليل[4] صدري
فشكر وحشي علي عمري ... حتى ترم[5] أعظمي في قبري[6]

لقد أحسَّت هند بنت أثاثة ﵂ عندما سمعت هذا الهجاء بأنه ينمُّ عن فرحة غمرة وسرور بالغ بمصاب المسلمين، فقالت ترد عليها منكرة عليها، هاجية لها، معتزة بدينها، مفتخرة بقومها المؤمنين:

خزيت في بدر وبعد بدر ... يا بنت وقّاع[7] عظيم الكفر
صبَّحك الله غداة الفجر ... ملهاً شميين الطوال الزهر[8]

---

(١) هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب القرشية، صحابية جليلة عرفت بالشعر، وأمها أم مسطح بنت أبي رهم، وقد أسلمت بمكة. أطعمها الرسول ﷺ بخيبر مع أخيها مسطح بن أثاثة ثلاثين وسقاً، وقد تزوجت من أبي جندب فولدت له ريطة.
انظر: الإصابة ٤/ ٤٠٧، والطبقات ٨/ ٢٢٨.

(٢) الشعر والدعوة في عصر النبوة ليوسف محيي الدين أبو هلالة ص٤٩، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) أي: التهاب وإيقاد، القاموس ص٥٢٢، مادة (سعر).

(٤) أي: الحقد، القاموس ص١٣٤٣، مادة (غلل).

(٥) أي: تفنى وتبلى وتفتت، القاموس ص١٤٤١، مادة (رمم).

(٦) سيرة ابن هشام ٣/ ١٣٣.

(٧) الكثير الوقوع في الدنايا.

(٨) البيض المشرقي الوجوه، القاموس ص٥١٦، مادة (زهر).

بِكُلِّ قطّاعٍ[1] حُسامٍ يَفْرِي[2] حَمْزَةُ لَيْثِي وعليٌّ صَقْري
إذا رامَ شَيْبَ[3] وأبوك غَدْري فخَضَّبا منه ضواحي[4] النَّحْرِ[5]
ونذرُكَ السُّوءِ فَشَرُّ نَذْرِ

قال ابن هشام: (تركنا ثلاثة أبيات أقذعت فيها)[6].

ولهند شعر في الرثاء، ترثي فيه عبيدة بن الحارث[7] رضي الله عنه الذي استشهد في معركة بدر، فتقول[8]:

لقد ضُمِّن الصفراءُ[9] مجداً وسؤدُداً وحِلْماً أصيلاً[10] وافرَ اللُّبِّ والعَقْلِ
عبيدةَ فأبكيه لأضيافِ غُربَةٍ وأرملةٍ تَهْوي لأشعثَ[11] كالجِذْلِ[12]
وبَكِّيةٍ للأقوام في كلِّ شَتْوةٍ إذا احْمَرَّ آفاقُ السماءِ من المَحْلِ[13]
وبكّيةٍ للأيتامِ والرِّيحُ زَفْزَفٌ[14] وتشبيبُ[15] قِدْرٍ طالما أزْبَدتْ[16] تغلي

(١) السيف القاطع، القاموس ص١٤١٣، مادة (حسم).
(٢) يقطع، لسان العرب ٢/ ١٠٩٢، مادة (فري).
(٣) ترخيم شيبة.
(٤) ما ظهر منه، لسان العرب ٢/ ٥١٧.
(٥) هو أعلى الصدر، القاموس ص٦١٧، مادة (نحر).
(٦) سيرة ابن هشام ٣/ ١٣٣.
(٧) أسلم بمكة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وشارك في المبارزة التي سبقت المعركة، مع حمزة وعليّ رضي الله عنهم أجمعين ضد عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد، فبارز عبيدة شيبة وجرح كل منهما الآخر، فأما شيبة فقد قتله حمزة وعلي بعد أن قتلا عتبة والوليد، وأما عبيدة فقد توفي بالصفراء متأثراً بجرحه. انظر: الإصابة ٢/ ٤٢٢.
(٨) سيرة ابن هشام ٣/ ٦١.
(٩) موضع بين مكة والمدينة، وهو على بعد ثمانين كيلومتر جنوبي المدينة.
(١٠) أي: ثابتاً، لسان العرب ١/ ٦٨، مادة (أصل).
(١١) أي: متغيراً، لسان العرب ٢/ ٣٢٢، مادة (شعث).
(١٢) الأصل العظيم في الشجرة، والمراد هنا: الأصيل المحب لنجدة الغير، لسان العرب ١/ ٤٢٥، مادة (جذل).
(١٣) هي القحط، لسان العرب ٤/ ٤٤٦، مادة (محل).
(١٤) أي الريح الشديدة التي لها صوت، لسان العرب ٢/ ٣٢، مادة (زفزف).
(١٥) أي: إيقاد النار تحت القدور، لسان العرب ٢/ ٢٦٠ مادة (شبب).
(١٦) أي: رغوة الغليان، اللسان ٢/ ٥.

فإن تُصبحُ النيرانُ قد مات ضَوْءُها   فقد كان يُذْكِيهنَّ[1] بالحطبِ الجَزْلِ[2]
لطارقِ لَيْلٍ أو لمُلْتَمسَ القِرى   ومُسْتَنْبَحٍ[3] أضحى لديه على رَسْلِ[4]

وعندما توفي رسول الله ﷺ حزنت حزناً شديداً، فانطلقت بشعرها باكية راثية، مصورةً عظم المصاب، فتقول:

أشابَ ذوائبي وأذلَّ رُكْني   بُكاؤكِ فاطمُ[5] الميتَ الفقيدا
رسولُ اللّهِ فارقنا وكنّا   نُزجي أن يكونَ لنا خلودا
أفاطمُ فاصْبري فلقد أصابت   رزيَّتُك التهائمُ والنجودا
وكان الخيرُ يُصْبِحُ في ذُراه   سعيدُ الجِدِّ قد ولد السعودا[6]

ومن الصحابيات الشاعرات أيضاً صفية بنت عبد المطلب ﵂ عمة رسول الله ﷺ، فها هي تبكي أخاها حمزة ﵁ عندما استشهد في معركة أحد على يد وحشيّ بن حرب، فتقول:

أسائلةٌ أصحابَ أحدٍ مخافةً   بناتُ أبي من أَعْجَمٍ[7] وخَبِير
فقال الخبيرُ إن حمزةَ قد ثَوى   وزيرُ رسولِ اللّهِ خَيْرُ وزيرِ
دعاه إلهُ الحقِّ ذو العرشِ دعوةً   إلى جنةٍ يحيا بها وسُرورِ
فذلك ما كُنّا نُرَجّي ونَرْتَجي   لحمزةَ يومَ الحشرِ خيرَ مصير
فواللّهِ لا أنساكَ ما هَبَّتِ الصَّبا[8]   بُكاءً وحُزناً مَحْضَري ومَسيري[9]
على أسدِ اللّهِ الذي كان مِدْرَهاً[10]   يذودُ[11] عن الإسلامِ كلَّ كَفُورِ

---

(١) أي: يوقدهن، اللسان ١/ ١٠٧٣.
(٢) أي: الغليظ، اللسان ١/ ٤٥٥.
(٣) الرجل يضل بالليل فينبح، أي يحدث صوتاً مثل النباح لتسمعه الكلاب فتنبح، فيعلم بذلك موضع العمران فيقصده. اللسان ٣/ ٥٦٥، مادة (نبح).
(٤) الهدوء والتؤدة. اللسان ١/ ١١٦٦.
(٥) ترخيم اسم (فاطمة)، وتقصد فاطمة بنت الرسول ﷺ.
(٦) الطبقات الكبرى ٢/ ٣٣١.
(٧) هو الذي لا يفصح، اللسان ٢/ ٦٩٦، مادة (عجم).
(٨) الريح الشرقية، اللسان ٢/ ٤٠٨، مادة (صبو).
(٩) الابتعاد والمغيب، اللسان ٢/ ٢٥٢، مادة (سير).
(١٠) الذي يدافع عن القوم ويحميهم، اللسان ٣/ ٤٥٤، مادة (مدر).
(١١) يدافع عنه ويمنعه، اللسان ١/ ١٨٤، مادة (ذود).

فيا ليتَ شِلْوي[1] عند ذاكَ وأَعْظُمي   لدى أضْبُعٍ[2] تعتادُني[3] ونُسورِ
أقولُ وقد أعلى النعيُّ[4] عشيرتي   جزى اللَّهُ خيراً من أخٍ ونصيرِ[5]

وهذه صحابية أخرى تسمَّى نعم[6]، تبكي زوجها بعدما استشهد في أحد فتقول:

يا عينُ جودي بفيضٍ غيرَ إبْساسِ[7]   على كريم من الفتيانِ أبَّاسِ[8]
صَعْبِ البديهةِ ميمونٍ نقيبتُه[9]   حَمَّالِ ألْويةٍ رَكَّابَ أفراسِ
أقولُ لمّا أتى الناعيُ له جَزعاً أوْدَى[10]   الجوادُ وأودَى المُطْعِمُ الكاسي
وقلتُ لما خلَت منه مجالسُه   لا يُبعدِ اللَّهُ عنَّا قُرْبَ شمَّاسِ[11]

وهذه أم سعد بن معاذ[12] ﷺ تبكي ابنها سعد حين احتمل نعشه، فتقول:

ويل أم سعد سعدا   صرامة وحدًّا
وسؤدداً ومجدا   وفارساً ومعدا
سدَّ به مسدًّا   يَقُدُّ هامَ قدًّا[13]

يقول رسول الله ﷺ: **«كُلُّ نائحةٍ تكذِب، إلاّ نائحةَ سعدِ بنِ معاذ»**[14].

---

(1) البقية من الجسد، اللسان ٢/ ٣٥٣، مادة (شلو).
(2) جمع (ضبع)، وهي نوع من السباع، اللسان ٢/ ٥١٠، مادة (ضبع).
(3) تتردد عليّ، اللسان ٢/ ٩٢٢، مادة (ردد).
(4) إذا كان مرفوعاً: فهو الذي يأتي بخبر الموت، وإذا كان منصوباً فهو: النوح والبكاء بصوت مسموع، اللسان ٣/ ٦٧٨، مادة (نعي).
(5) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٣٨.
(6) نعم بنت حسان، امرأة شمّاس بن عثمان المخزومي، وهو أحد شهداء أحد، وهو مَن رثته بأبياتها، الإصابة ٤/ ٤١٠.
(7) القليل، اللسان ١/ ٢١٢، مادة (بسس).
(8) الشديد الذي يغلب ويقهر غيره، اللسان ١/ ١٥٢، مادة (أبس).
(9) كريم الفعال، اللسان ٣/ ٦٩٨، مادة (نقب).
(10) أي: هلك: اللسان ٣/ ٩٠٤، مادة (ودي).
(11) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٤٩.
(12) كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر الأنصارية، الإصابة ٤/ ٣٨٢.
(13) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٩.
(14) المصدر السابق. وقال المحقق في تخريج الحديث: رواه ابن إسحاق معلّقاً، ورواه=

ومن الصحابيات الشاعرات أمامة المزرية[1]، التي هجت أبا عفك بعد قتله، وهو أحد بني عمرو بن عوف، وكان قد أظهر نفاقه، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن الصامت. فقال رسول الله ﷺ: **«من لي بهذا الخبيث»**، فخرج سالم بن عمير أخو بني عمرو بن عوف، وهو أحد البكائين، فقتله، فقالت أمامة في ذلك:

تكذب دين الله والمرء أحمدا لعمر الذي أمناك[2] أن بئس ما يمني
حباك حنيف[3] آخر الدهر طعنة أبا عفك خذها على كبر السن[4]

وهذه الخنساء[5] التي لم يعرف قبلها ولا بعدها من النساء من هي أشعر منها[6]، فقد قيل لجرير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء. قيل: بم فضلتك؟ قال: بقولها:

إن الزمان وما يفنى له عجب أبقى لنا ذنباً، واستؤصل الراس[7]

= ابن سعد في الطبقات ٣/٤٢٨، وفي سنده عبد الرحمٰن بن سليمان الغسيل، وهو صدوق فيه لين، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٦/١٠ من طريق ابن إسحاق، ورواه ابن منصور في سننه ٢/٣٠٣ ضمن حديث وسنده منقطع فيكون الحديث حسناً بطرقه.

(١) ذكرها ابن حجر، الإصابة ٤/٢٣٢.
(٢) أي: أنساك، أو ابتلاك بمثل هذه الأمنية، اللسان ٣/٥٤١، مادة (أمن).
(٣) أي: مسلم.
(٤) سيرة ابن هشام ٤/٣٧٧.
(٥) تماضر بنت عمرو بن شريد بن رباح من بني سليم. قدمت على النبي ﷺ مع قومها بني سليم وأسلمت معهم، وهي شاعرة معروفة، ولقد دفعت بأبنائها الأربعة في معركة القادسية وحرّضتهم على القتال وعدم الفرار، فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً، فقالت حينما وصلها خبر استشهادهم: الحمد لله الذي شرّفني باستشهادهم، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد منهم مائتي درهم حتى قبض. انظر: الإصابة ٤/٢٧٩، والاستيعاب ٤/٢٧٨.
(٦) أعلام النساء لعمر رضا كحالة ١/٣٦١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٧) أي: إنه أبقى من لا خير فيه من الناس وأهلك أخاها صخراً سيد قومه، أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ص١٥٧، اعتنى بضبطه وتصحيحه وجميع رواياته وتعليق حواشيه وفهارسه الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٩٦م.

إن الجديدين[1] في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس[2]

ولقد كان رسول الله ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرها ويقول لها: «هيه يا خناس» ويومئ بيده. ولكن لا يوجد تحديد ثابت للقصائد التي نظمتها بعد إسلامها، ولم يعرف لها قصائد مدح أو رثاء إلا ما كان في أخويها صخر ومعاوية، ومنها قولها:

يا عين جودي بدمع منك مهراق[3] إذا هدى الناس أو همُّوا بإطراق[4]
إني تذكرني صخراً إذا سجعت[5] على الغصون هتوف ذات أطواق[6]
وكل عَبْرَى[7] تبيت الليل معولة[8] تبكي لكل جريح القلب مشتاق
لا تبعدن فإن الموت مخترم[9] كل الخلائق غير الواحد الباقي[10]

هذا ما كان من مشاركة للمرأة المسلمة في مجال الشعر مدحاً ورثاء للإسلام والمسلمين، وهجاء للأعداء.

* * *

(١) هما الليل والنهار، الشارح.
(٢) أعلام النساء ١/ ٣٦١.
(٣) أي منسكب، اللسان ٣/ ٧٩٨، مادة (هرق).
(٤) أي: حاولوا النوم، اللسان ٢/ ٥٨٧، مادة (طرق).
(٥) أي: رفعت صوتها، اللسان ٢/ ١٠١، مادة (سجع).
(٦) هي الحمامة ذات الطوق الأسود المستدير على الرقبة، اللسان ٢/ ٦٢٧، مادة (طوق).
(٧) هي الباكية الحزينة، اللسان ٢/ ٦٦٩، مادة (عبر).
(٨) التي ترفع صوتها بالبكاء، اللسان ٢/ ٩٣١، مادة (عول).
(٩) أي: مستأصل ومهلك، اللسان ١/ ٨٢٢، مادة (خرم).
(١٠) أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ص١٥٧.




الباب الثاني

المرأة الداعية في العصر الحاضر

الفصل الأول: المجالات الدعوية المناسبة للمرأة في العصر الحاضر.

الفصل الثاني: قسم النساء بجمعية الإصلاح بالبحرين: تجربة واقعية للعمل النسوي الدعوي.







الفصل الأول

المجالات الدعوية المناسبة للمرأة الداعية في العصر الحاضر

المبحث الأول: قيامها بالدعوة داخل البيت.

المبحث الثاني: قيامها بالدعوة في المجتمع.




المجالات الدعوية المناسبة للمرأة الداعية

في العصر الحاضر

لقد تكلَّمنا في الباب الأول عن المجالات الدعوية التي شاركت فيها المرأة المسلمة في عهد النبي ﷺ، سواء مع الأهل، أو في المجتمع الجاهلي في مكة المكرمة، أو في المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، وذكرنا نماذج من حياة الصحابيات الجليلات رضي الله عنهن جميعاً في ذلك.

وأما في هذا الباب فسوف نتكلَّم بإذن الله تعالى عن كيفية تطبيق هذه المشاركة في العصر الحاضر، سواء في المجالات التي ذكرناها، اقتداءً بالسلف الصالح من أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات رضي الله عنهن، أو ما استحدث منها في العصر الحاضر مما لم يكن موجوداً أصلاً، أو موجوداً ولكن بصورة مختلفة عمّا عليه الآن، سواء في بيتها مع أفراد أسرتها وأقاربها، أو في المجتمع المحيط بها مع من تخالط من الصديقات والزميلات في الدراسة والعمل، أو مع من يقع تحت مسؤوليتها كالطالبات إذا كانت مدرِّسة، أو المرضى إذا كانت طبيبة أو ممرِّضة.

* * *

المبحث الأول
قيامها بالدعوة داخل البيت

أولاً: تربية الأبناء لحمل الدعوة وحمايتها.
ثانياً: تربية البنات ليكنَّ زوجات صالحات وداعيات.
ثالثاً: مساندة الزوج وتشجيعه على العمل في ميدان الدعوة والجهاد.
رابعاً: دعوة الأهل والأقارب.

* * *

أولاً: تربية الأبناء لحمل الدعوة وحمايتها

لقد بيَّنَّا في الباب الأول مسؤولية الأم في تربية الأولاد ومدى تأثيرها عليهم وذكرنا لذلك نماذج من سيرة الصحابيات رضي الله عنهن، وفي عصرنا الحاضر يمكن أن تقوم تربية الأم لأبنائها على الأمور الآتية:

١ ـ بناء الأساس العقائدي لديهم، وغرس الروح الدينية في نفوسهم، وذلك بالآتي:

أ ـ تلقينهم كلمة التوحيد، وهي شهادة ألاّ إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، كما كانت تفعل أم سليم مع ابنها أنس ﷺ[1].

ب ـ غرس محبة الله عزّ وجلّ في نفوسهم، وتربيتهم على المخافة منه تعالى بحثهم على طاعته، ونهيهم عن معصيته.

جـ ـ غرس محبة الرسول ﷺ في نفوسهم ليقتدوا به في جميع أفعالهم وأقوالهم، وذلك بقراءة سيرته عليهم بأسلوب مبسَّط مفهوم.

د ـ تعليمهم قراءة القرآن الكريم وتجويده وشرح بعض معانيه الصعبة،

---

(١) انظر ص٨٧.

وتعويدهم على حفظه، لقوله ﷺ: **«خيرُكُم من تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَه»**[1].

يقول ابن خلدون: (تعليم الولدان القرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائد بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من الملَكات، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه)[2].

وإذا لم تكن الأم قادرة على ذلك؛ فعليها أن ترسل أبناءها إلى من يعلمهم ذلك، خاصة وقد أصبح هذا الأمر ميسوراً في عصرنا الحاضر، فلقد انتشرت مراكز تحفيظ القرآن الكريم في أغلب بلاد المسلمين إن لم تكن كلها، بل لقد خصَّصت بعض الدول الإسلامية مدارس خاصة لذلك، كما هو موجود في المملكة العربية السعودية التي خرّجت كثيراً من حفظة كتاب الله عزّ وجلّ، ولله الحمد.

هـ ـ تعليمهم الصلاة، لقوله ﷺ: **«مُروا الصبيَّ بالصلاةِ إذا بَلَغَ سبعَ سنين، فإذا بلغَ عشر سنينَ فاضربوه عليها»**[3]. (ولقد قال الفقهاء: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة، ومجانبة المعاصي وترك المنكر)[4]. ويستتبع ذلك تعليمه الوضوء، ولا بد أن يكون التعليم عملياً وليس نظرياً فقط، لأن ذلك هو الأجدى لمثل ذلك السن[5].

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه) ٤/ ١٩١٩، حديث ٤٧٣٩.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٥٣٧، دار القلم، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨١م.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب (متى يؤمر الغلام بالصلاة) ١/ ١٣٣، حديث ٤٩٤، وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح سنن أبي داود ١/ ٩٧، حديث ٤٦٥.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٥.

(٥) انظر: تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان ٢/ ٧٧٠، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثامنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ومنهج التربية النبوية للطفل لمحمد نور سويد ص٨٤، مكتبة المنار الإسلامية، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ونظرات في الأسرة المسلمة لمحمد بن لطفي الصباغ ص١٥٨، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢ ـ تربيتهم على حسن اختيار الأصدقاء ومراقبتهم عن بُعد في ذلك، وذلك لما للصديق من تأثير سلبي أو إيجابي، فلقد قال رسول الله ﷺ: **«الرجلُ على دينِ خليلِه، فلينظرْ أحدُكم منْ يُخالِل»**[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«إنما مثلُ الجليسِ الصالح والجليسِ السوءِ، كحاملِ المسكِ ونافخِ الكيرِ، فحاملُ المسكِ إمّا أنْ يُحْذِيَكَ**[٢]**، وإمّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمّا أنْ تَجِدَ منه رِيحاً طيبةً، ونافخُ الكيرِ إمّا أنْ يُحرقك، وإمّا أن تجدَ منه ريحاً خبيثة»**[٣].

وقال الشاعر[٤]:

عن المرءِ لا تسأل وسَلْ عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارَنِ يقتدي

لذلك يجب على الأم أن تعرف من يصاحب أبناؤها ويرافقون، فإن وجدتهم رفقاء خير وصلاح؛ شجعتهم على ملازمتهم والتخلق بأخلاقهم، وأما إذا وجدتهم رفقاء سوء وفساد فلا بد من تحذيرهم ومنعهم من السير معهم لئلاً يتأثروا بأخلاقهم السيئة فيفسدوا[٥].

٣ ـ بناء الأساس الجسمي لديهم، وذلك برعايتهم الرعاية السليمة،

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب (من يؤمر أن يجالس) ٤/٢٥٩، حديث ٤٨٣٣، وحسّنه الألباني، صحيح سنن أبي داود ٣/٩١٧، . حديث ٤٠٤٦، ورواه الترمذي في الزهد، باب (٤٥) ٤/٥٨٩، حديث ٢٣٧٨، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أي بمعنى: يعطيك، والحِذوة: بكسر الحاء، وسكون الذال: هي العطية، القاموس المحيط ص١٦٤٣، مادة (حذو).

(٣) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، باب (المسك) ٥/٢١٠٤، حديث ٥٢١٤، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب (استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء) ٤/٢٠٢٦، حديث ٢٦٢٨.

(٤) هو عدي بن زيد العبادي، من قصيدته التي مطلعها:

أتعرفُ رسمَ الدار من أمّ معبدِ نعم ورماك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ

وقيل: طرفة بن العبد.

انظر: فكر ومباحث لعلي الطنطاوي ص٨٢، مكتبة المنار، مكة المكرمة.

(٥) انظر: تربية الأولاد في الإسلام ٢/٨٠٩، ونظرات في الأسرة المسلمة ص١٥٨، والقدوة على طريق الدعوة لمصطفى مشهور ص١١٩، دار التوزيع والنشر الإسلامي، مصر ١٩٨٨م.

وتغذيتهم بالغذاء الصحيح الكامل، وتعويدهم على الحركة والنشاط[1].

٤ ـ بناء الأساس الخلقي لديهم، وذلك بحثِّهم على الاتصاف بالأخلاق الإسلامية الحميدة، كالصدق، والمحبة والإيثار والأمانة، وتعويدهم على الشجاعة والإقدام ومساعدة الآخرين. وتحذيرهم من الصفات الذميمة، كالكذب، والحسد والبغض، والميوعة في الكلام والحركات، أو الاختلاط المحرَّم بالجنس الأنثوي[2].

٥ ـ بناء الأساس الفكري لديهم[3]، وذلك بتنمية عقولهم ومعارفهم، وذلك بحثِّهم على القراءة وطلب العلم وملازمة العلماء، كما فعلت أم سليم مع ابنها أنس ﷺ، حينما أرسلته إلى رسول الله ﷺ لينهل من علمه، وينير عقله بهديه[4].

٦ ـ التعاون مع الزوج في إظهار شخصية الرجل المسلم القدوة عملياً، فيقتدي به الأبناء[5].

٧ ـ التفاهم مع الزوج على أسلوب التربية الصحيحة للأبناء، بحيث يتكامل العمل، ولا يحدث فيه تضاد واختلاف في الأسلوب عند كل من الأب والأم[6].

٨ ـ الانتباه إلى تأثير الآخرين على الأبناء، من الأصدقاء أو المدرِّسين أو الأقارب أو المعارف سلباً أو إيجاباً، فإن كان سلباً فلا بد من حمايتهم من التأثر والاقتداء بهم، كأن يكون المدرِّس مثلاً سيِّء الأخلاق، أو من دعاة الكفر والإلحاد الذين ينفثون سمومهم في فكر وعقول تلاميذهم، فلا بد من التحذير منه، وبيان ضلاله وفساد كلامه، وكذلك بالنسبة لبقية الناس.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ٢/ ٨٣١، ومنهج التربية ص٢٠٩.
(٢) تربية الأولاد ٢/ ٣٥٣، ومنهج التربية ص١٥٨، نظرات في الأسرة المسلمة ص١٥٨.
(٣) تربية الأولاد ٢/ ٧٨٧.
(٤) نظرات في الأسرة المسلمة ص١٥٧.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق، والقدوة على طريق الدعوة ص١١٨.

٩ ـ ربطه بالدعوة والدعاة، فمن العوامل الأساسية في اكتمال شخصية الولد، وإعداده نفسياً واجتماعياً ودعوياً، ربطه منذ أن يتعقل الحياة ويفهم مسؤوليته بالدعوة والدعاة، ويتحرك لإعلاء كلمة الله عزّ وجلّ، وما ذاك إلاّ لتنمو في نفسه روح الدعوة إلى الله، والجرأة في الحق، والتخلق بالصبر، حتى إذا تأصَّلت بين جوانحه هذه المعاني الدعوية، والصفات النفسية انطلق كالأسد يبلغ دين الله عز وجل دون أن تأخذه في الله لومة لائم، ودون أن ترده عن المضي في طريقه عراقيل الحياة وأحداثها[1].

* * *

ثانياً: تربية البنات ليكنّ زوجات صالحات وداعيات

عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها؛ فسألتني فلم تجد شيئاً عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها إيّاها، فأخذتها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليّ النبي ﷺ، فحدّثته حديثها، فقال النبي ﷺ: **«من ابتَلي[2] من البناتِ بشيءٍ، فأحسنَ إليهنَّ، كُنَّ له سِتْراً من النّار»**[3]. وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عالَ جاريتين[4] حتى تبلُغا، جاءَ يوم القيامةِ أنا وهو»**، وضمّ أصابعه[5].

يدلُّ هذان الحديثان على أهمية العناية بالبنات وحسن تربيتهن، التي تقوم على وسائل مشابهة للوسائل المذكورة سابقاً في تربية الأبناء الذكور إلى حد كبير، فهنَّ بحاجة إلى بناء الأسس العقائدية والفكرية والخلقية والجسدية، وهنَّ

---

(١) تربية الأولاد ٢/ ٨١٩.

(٢) سمّي ابتلاء لأن الناس يكرهون البنات عادة، لقوله تعالى: **﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم﴾** [النحل/ ٥٨] محمد فؤاد عبد الباقي، حاشية صحيح مسلم.

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب (فضل الإحسان إلى البنات) ٤/ ٢٠٢٧، حديث ٢٦٢٩.

(٤) أي: قام عليهما بالمؤونة بالتربية ونحوهما.

(٥) أخرجه مسلم في الموضع السابق ٤/ ٢٠٢٨، حديث ٢٦٣١.

بحاجة إلى تعلم حسن اختيار الصديقات الصالحات، ولكن يضاف إلى ذلك أمور أخرى، وهي:

١ ـ يجب أن تكون الأم القدوة الحسنة لبناتها، فبها سوف يقتدين، فلا بد من الاتصاف بالأخلاق الإسلامية اللائقة بالمرأة المسلمة الداعية إلى دين الله عز وجل، وذلك في الأمور المتصلة بالأمومة، أو الزوجية، أو العلاقة بالآخرين من الأصدقاء والأهل والأقارب، وكذلك في اللباس الإسلامي المتمثل في الحجاب الشرعي.

٢ ـ تعريف البنات بأمور دينهن، من العبادات المفروضة والمسنونة، كأحكام الطهارة والحيض، والصلاة والصيام.

٣ ـ تعويد البنات على الستر ولبس الحجاب الشرعي قبل سن البلوغ، لكي يتعوّدن عليه ويتقبّلنه بعد ذلك بسهولة[١].

٤ ـ تعليمهن وتدريبهن على أمور البيت وتدبير شؤونه، من الطبخ والغسيل والترتيب، وكيفية خدمة الزوج وحسن معاشرته، وكيفية التعامل مع الأطفال وحسن تربيتهم، وذلك لأنهن سوف يصبحن في المستقبل أمهات وزوجات فلا بد من إلمامهن بمثل هذه الأمور.

٥ ـ تعويدهن على صلة الرحم، وزيارة الجيران، وتكوين الصداقات مع الصالحات من أقرانهن من البنات.

٦ ـ تعويدهن على دعوة الأخريات من البنات والنساء إلى التمسُّك بدين الله عزّ وجلّ، والتخلق بالآداب الإسلامية في جميع الأمور.

ثالثاً: مساندة الزوج وتشجيعه على العمل في ميدان الدعوة والجهاد

قال رسول الله ﷺ: **«ليتخذْ أحدُكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجةً مؤمنة، تعينُ أحدَكم على أمرِ الآخرة»**[٢].

---

(١) القدوة على طريق الدعوة ص١١٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه في النكاح، باب (أفضل النساء) ١/٥٩٦، حديث ١٨٥٦، وقد صحّحه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه ١/٣١٢، حديث ١٥٠٥.

في هذا الحديث حثٌّ للأزواج على اختيار الزوجة الصالحة التي تعين على القيام بالواجبات الشرعية، ومنها القيام بالدعوة إلى الله عزّ وجلّ، والجهاد في سبيله.

ولقد ذكرنا فيما سبق[1] موقف خديجة أم المؤمنين ﵂ في مساندتها لرسول الله ﷺ ومؤازرتها له في تبليغ الدعوة. ولذلك يجب على المرأة المسلمة في عصرنا الحاضر أن تقتدي بأم المؤمنين فتقف بجانب زوجها الداعية والمجاهد، فتشجِّعه وتؤازره في دعوته وجهاده، وألاّ تكون مثبطة له، أو فاتنة ومعوِّقة[2].

ولئن كانت أم المؤمنين خديجة ﵂ القدوة في العهد الأول، فإن هناك نماذج أخرى وجدت في عصرنا الحاضر ممن اقتدين بأم المؤمنين، فأصبحن قدوات لنساء عصرهن، وهنَّ ثمرات للصحوة الإسلامية في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن ـ والعياذ بالله ـ فكن نماذج فريدة ضربن لنا أروع الصور في تشجيع الزوجة لزوجها الداعية والمجاهد.

من هذه النماذج والشخصيات أم أسامة[3] زوجة الأستاذ حسن الهضيبي ﵀، المرشد الثاني[4] لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.

لقد كانت المَهَمَّات الملقاة على كاهل الأستاذ الهضيبي ﵀ عظيمة لا يطيقها إلاّ من أوتي قدراً كبيراً من قوة التحمل والصبر، وذلك لكونه مرشداً للجماعة التي انتشرت في أغلب مناطق أقطار العالم الإسلامي، فضلاً عن القطر المصري، وأصبح عدد المنتمين إليها كبيراً جداً، لذلك كان بحاجة ماسة لمن يخفف عنه هذا التعب، ويذهب عنه الهمّ واليأس.

ولله الحمد والمنة فقد رزق ﵀ زوجة صالحة كان لها الكثير من

---

(١) انظر ص٥٢.

(٢) القدوة على طريق الدعوة ص١٢٠.

(٣) تسمى نعيمة خطاب.
انظر: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية لمحمود الجوهري ص٢٨٢، دار الوفاء، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٤) وذلك بعد وفاة المرشد الأول والمؤسس للجماعة الأستاذ حسن البنا ﵀ في حادث الاغتيال في فبراير/شباط ١٩٤٩م.

المواقف المحمودة مع هذا الزوج الداعية، فكانت سبباً لثباته على طريق الدعوة برغم ما لاقاه من صنوف الأذى والابتلاء والمحن. ولقد عاشت معه أكثر من أربعين سنة؛ ورغم ذلك لم يتكدَّر صفو الوفاق بينهما؛ ولله الحمد، بل لقد صبرت معه على الابتلاء والمحن، ورضيت بحياتها معه قريرة العين، وكانت تسارع إلى عمل ما يرضيه في كل حال، بل لقد كانت تبالغ في التحبُّب إليه، وإدخال السرور على قلبه لمعرفتها بحاجته لذلك بعد أن ناله من التعب الشيء الكثير بسبب كثرة المشاغل والهموم[١].

وأما النموذج الآخر فهي أم محمد زوجة الدكتور الشيخ عبد الله عزام[٢] رحمه الله، والذي نحسبه شهيداً عند الله تعالى والله حسيبه. لقد سُئلت أم محمد بعد استشهاد زوجها عن أهمِّ الأحداث في حياتها معه، فقالت: (إن من أهم الأحداث في حياتي معه؛ هو التحاقه بكتائب المجاهدين، في وقت كان الجهاد مقتصراً على العاطلين الذين ليس عندهم عمل ولا وظيفة، فعندما أعلن أنه يريد أن يلتحق بالمجاهدين كان لهذا القرار صدًى كبيراً في العائلة وكأنه انفجار؛ حيث أنهم استنكروا عليه وبشدة أن يتخذ مثل هذا القرار، وكان متخوّفاً أن يكون موقفي منه كموقف العائلة، فجاء إليّ بهدوء، وقال لي: لو جئت إليك في يوم من الأيام وقلت لك: بأنني أريد أن أترك عملي وألتحق بالمجاهدين ماذا ستفعلين؟ قلت: لا أفعل شيئاً، إن كفلتني وأبنائي فسهّل الله طريقك. ففرح كثيراً بهذا الجواب، وقال لي: لقد اتخذت القرار وبعد يومين سوف أغادر بإذن الله. وقال بعد ذلك: إن هذا اليوم هو أسعد يوم في حياتي حيث أنني كنت أتوقع أن تقع الطامة الكبرى على رأسي إن أخبرتك الخبر، ولكن الله سهّل عليّ الأمر، فالحمد لله على هذه النعمة)[٣].

---

(١) الأخوات المسلمات ص٢٨٢.

(٢) لقد استشهد رحمه الله مع ولديه محمد وإبراهيم في يوم الجمعة ٢٦ ربيع الثاني ١٤١٠هـ، وكانوا متوجهين بسيارتهم إلى المسجد، فانفجرت بهم السيارة بعد دقائق معدودة، فاستشهدوا جميعاً ـ كذلك نحسبهم والله حسيبهم ـ ودفنوا في مقبرة الشهداء بقرية بابي ببشاور. مجلة الجهاد العدد ٧٤ جُمادى الأولى ١٤١١هـ ـ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٠م.

(٣) مجلة الموقف الأفغانية العدد ٦٨، ٦٩ جُمادى الأولى ـ رجب ١٤١٠هـ.

هكذا كان موقف أم محمد مع زوجها رحمه الله، لقد كانت له خير معين للسير على درب الجهاد والتضحية، وخاصة بعد انتقال الشيخ إلى أرض أفغانستان ومشاركته في الجهاد بالنفس والمال والقلم واللسان، فكانت نعم الزوجة الصالحة المعينة على الخير.

وهذه امرأة أخرى عاشت أيام محنة الحركة الإسلامية في مصر على أيدي رجال الحكم العسكري الذي بدأ عام ١٩٥٢م، بعد قيامهم بالانقلاب ضد نظام الحكم الملكي القائم حينئذ. لقد أودع زوج هذه المرأة في السجن وما كانت جريمته إلاّ أنه يعمل للدعوة الإسلامية، فلما أودع بين جدران السجن؛ كتب إليها يخيّرها في أن تبقى على ذمته، ولكنها ستكون حينئذ زوجة على الورق فقط لأن مدة سجنه ستطول، فقد حُكم عليه بالمؤبد، وبين أن تطلب الخُلع فهذا حقها. فما كان منها إلاّ أن أرسلت إليه عاتبة، فتقول: (أهكذا هانت عليك العشرة الطيبة، والتي وثّقتها أخوة في الله خالصة جمعت بيني وبينك، أتضنّ عليّ أن أشاركك بعض أجرك حين يثقل الله ميزان حسناتك؟! أم آثرت أن تمضي به وحدك؟! ضانًا به على شريكة حياتك! قد أقسمت ألاّ يفرق بيننا إلاّ الموت).

وظلت تلك المرأة المؤمنة على عهد الله وميثاقه، وخرج الزوج بعد عشرين عاماً ليجد البيت الآمن، والأبناء قد تخرَّجوا، والبنت قد أوشكت على الزواج، ووجد كل شيء مكانه. وعادت حياتهما كما كانت قبل أن يسجن، وواصلوا جميعاً السير في طريق الدعوة. وكان ذلك حال أكثر الأخوات في تلك المحنة مع أزواجهن.

* * *

رابعاً: دعوة الأهل والأقارب

وأقصد بالأهل بعد الزوج والأولاد الوالدين والإخوة والأخوات، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1]. وأما الأقارب فهم الأعمام والعمّات، والأخوال والخالات وأبناؤهم، وكل من

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

دخل في مسمّى القريب، لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]. فكل أولئك يجب تبليغ الدعوة إليهم أولاً، وخاصة النساء منهم.

وتكون هذه الدعوة بالأمور الآتية:

١ ـ أن تكون قدوة صالحة للابنة البارّة بوالديها، المطيعة لأوامرهما في غير معصية لله، فقد قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

هذه الصفة تزيد في محبة الوالدين لابنتهما مما يساعد على تقبُّلهما للنصح والإرشاد.

٢ ـ النصح لهما بالاهتمام بالطاعات وتجنُّب المنكرات والمخالفات الشرعية، ولكن يجب أن يكون هذا النصح بأسلوب مناسب، يتفق مع آداب النصيحة، فلا يكن عن طريق المشاجرة والصراخ، أو التعالي عليهم بكثرة العلم بالحلال والحرام، فتشعرهما بجهلهما وأنها أعلم منهما برغم صغر سنِّها، فكل ذلك يؤدي إلى نتائج سلبية، فلن يتقبَّلا منها ذلك النصح. ولكن النصيحة السليمة هي التي تتفق مع قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[3].

٣ ـ تحسين العلاقة مع الإخوة والأخوات، والبعد عن المشاجرات والخلافات المؤدية إلى الشحناء والبغضاء.

٤ ـ التعاون معهم على خدمة الوالدين ورعايتهما.

٥ ـ نشر الوعي الثقافي الإسلامي في البيت، وذلك بتكوين مكتبة إسلامية تحتوي على الكتب المتنوعة والمفيدة، وأشرطة القرآن الكريم والمحاضرات، وشراء المجلات الإسلامية وعرضها على أهل البيت جميعاً، ونصحهم بقراءتها والاستفادة منها.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.

٦ ـ استغلال الجلسات الأسرية في طرح مواضيع مفيدة تصلح للمناقشة، مثل أحوال المسلمين في العالم وماذا يمكن أن يقدم لهم، وواجبات المسلم تجاه ربه ودعوته وإخوانه.

٧ ـ صلة الرحم، لقوله ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ لهُ في رِزْقِهِ، وأنْ يُنسَأ[١] له في أَثَرِهِ[٢]؛ فليَصِلْ رَحِمَه»**[٣].

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الرَّحِمُ مُعَلَّقةٌ بالعرشِ، تقولُ: منْ وصَلَني وصَلَهُ اللّهُ، ومنْ قَطَعني قَطَعَهُ الله»**[٤].

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ الرَّحِمَ شجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ، فقال اللّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُه»**[٥]. وتكون هذه الصلة بكثرة الزيارات لهم، وتوثيق الصلة ببناتهم، ومحاولة التأثير عليهن ودعوتهن.

٨ ـ تقويم السلبيات والمخالفات الشرعية الموجودة في بيوت الأقارب بأسلوب مناسب.

* * *

---

(١) أي: يؤخر، القاموس المحيط ص٦٨، مادة (نسأ).

(٢) أي: أجله، لسان العرب ١/ ١٩، مادة (أثر).

(٣) متفق عليه: البخاري في الأدب، باب (من بسط له في الرزق بصلة الرحم) ٥/ ٢٢٣٢، واللفظ له، حديث ٥٦٣٩، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب (صلة الرحم، وتحريم قطعها) بلفظ: «أو ينسأ» ٤/ ١٩٨٢، حديث ٢٥٥٧.

(٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق، حديث ٢٥٥٥.

(٥) أخرجه البخاري في الموضع السابق، حديث ٥٦٤٢.

المبحث الثاني
قيامها بالدعوة في المجتمع

أولاً: الدعوة المباشرة في المجال النسائي.
ثانياً: خدمة الجهاد والمجاهدين.
ثالثاً: الصبر على الابتلاء والمحن.
رابعاً: الجهاد بالمال.
خامساً: خدمة الدعوة بالقلم واللسان.
سادساً: القيام بالدعوة من خلال الجمعيات الخيرية.

* * *

أولاً: الدعوة المباشرة في المجال النسائي

سوف نتحدث بإذن الله تعالى في هذا المبحث عن تبليغ المرأة المسلمة الدعوة في المجتمع النسائي المحيط بها، سواء مع الصديقات، أو الزميلات في الدراسة والعمل.

١ ـ تبليغ الدعوة في دور العلم:

قبل أن نتكلَّم عن كيفية تبليغ المرأة الداعية دعوتها في دور العلم يجب أن نبيِّن أولاً حكم طلبها للعلم وشروطه.

أ ـ حكم طلب المرأة للتعليم:

لقد ذكرنا في التمهيد أن المرأة مكلَّفة بطلب العلم مثل الرجل، لقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[1]، وقول الرسول ﷺ: «**طلب العلم فريضة**

(١) سورة العلق: الآية (١).

على كل مسلم»[1]. فلفظ (مسلم) لفظ عام للجنسين. ولقد ذكرنا فيما سبق[2] نماذج لبعض الصحابيات اللاتي ساهمن في نشر العلم في العهد النبوي الشريف.

وللزيادة نقول: لقد (جعل الإسلام طلب العلم بالنسبة للمرأة حقاً لها على زوجها، فعليه أن يعلمها الضروري من أمور دينها إن كانت لا تعلم ذلك، أو أن يأذن لها أن تحضر مجالس العلم لتتعلّم ذلك، إذ حاجتها لإصلاح دينها وتزكية روحها ليست بأقل من حاجتها إلى الطعام والشراب)[3].

بل لقد بلغت عناية الإسلام بتعليم المرأة أنه تجاوز تعليم الحرائر إلى الحث على تعليم الإماء، لقوله ﷺ: **«ثلاثة لهم أجران...»** وذكر منهم: **«ورجل كانت عنده أمة فأدَّبها فأحسن تأديبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوَّجها، فله أجران»**[4].

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: (إن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر وأنثى، حراً أو عبداً يلزمه فرضاً بلا خلاف أحد من المسلمين أن يعرف ما يحل له ويحرم عليه مما لا يسع جهله أحد من الناس ذكورهم وإناثهم، أحرارهم وعبيدهم وإمائهم. وفرض عليهم أن يأخذوا في تعليم ذلك، ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهن ما ذكرنا. إمّا بأنفسهم، وإمّا بالإباحة لهن لقاء من يعلمهن)[5].

وأما ما يذكر من نهي النساء عن الكتابة استدلالاً بحديث: **«لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهنّ الكتابة، وعلّموهن المغزل وسورة النور»**، فهو أمر مردود

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم) ١/ ٨١، حديث ٢٢٤. وقد صححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤٤، حديث ١٨٣.

(٢) انظر ص١٠٢.

(٣) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ص١١، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٤) أخرجه البخاري في العلم، باب (تعليم الرجل أمَته وأهله) ١/ ٤٨، حديث ٩٧.

(٥) نظام الأسرة في الإسلام لمنّاع القطان ص٣١، دار الثقافة الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

لأن الحديث المستدل به مكذوب لا يصح الاستدلال به[1].

ب ـ شروط طلب المرأة للعلم:

١ ـ عدم الاختلاط بين الجنسين في أماكن الدراسة، بحيث تكون مدارس الطالبات منفصلة تماماً عن مدارس الطلبة الذكور، بل وبعيدة عنها، تجنباً من حدوث المخالفات الشرعية.

٢ ـ أن يكون القائمون بالتدريس نساء مثلهن وليس الرجال، تجنباً من الاختلاط المحرَّم.

وإذا لم يوجد من النساء من يَقُمْنَ بهذه المَهَمَّة فمن الممكن أن يقوم الرجال بهذه المهمة للضرورة، ولكن بشروط وهي:

أ ـ عدم حدوث الخلوة المحرمة بين الطالبات والمدرِّسين.

ب ـ أن يكون هؤلاء المدرِّسون ممن يوثق في صلاحهم.

ج ـ محافظة الطالبات على الآداب الشرعية في اللباس والزينة[2].

ويجب أن يراعى توافر هذه الشروط جميعاً، فلا يقتصر على شرط دون الآخر.

٣ ـ أن يراعى في وضع المناهج الدراسية هدف تخريج أمهات وربَّات بيوت وليس موظفات مكاتب فقط، فلا بد من التركيز على المواد العملية المتعلقة بالتدبير المنزلي والخياطة والتطريز وما شابهها، لا أن تكون مادة ثانوية ليس لها من عدد الساعات الدراسية إلا القليل جداً[3].

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي ٢٦٨/٢، ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان، الدار السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ـ ١٩٩٦م. وانظر: المرأة المسلمة أمام التحديات لأحمد بن عبد العزيز الحصين ص٦٤، دار البخاري، القصيم، السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) رسائل إلى المرأة المسلمة لخالد الحمادي ص٨٥، دار قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون، لمصطفى السباعي ص١١٦، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٤ ـ تجنُّب تدريس العلوم غير المفيدة للنساء، وغير المناسبة لطبيعة الأنثى، كالتخصصات الهندسية بأنواعها والمحاماة[١].

جـ ـ انحراف المنهج والوضع التعليمي:

إننا لو نظرنا في واقع كثير من مدارس المسلمين في العصر الحاضر لرأينا أن هناك انحرافاً في الوضع التعليمي ومناهجه لا يتفق مع الشروط التي ذكرناها قبل قليل، ومن هذه الانحرافات ما يلي:

١ ـ انتشار الاختلاط بين الجنسين في أماكن الدراسة، وخاصة في المراحل الدراسية المتأخرة كالثانوية والجامعية، ولقد أدى ذلك إلى انتشار الرذيلة والفساد في أماكن تحصيل العلم والمعرفة، فضاع العلم وضاعت الأخلاق.

٢ ـ قيام النساء بالتدريس للطلبة الذكور في المراحل الدراسية المبكرة كالابتدائية بحجة أن الطلاب في هذه المرحلة ما زالوا في مرحلة الطفولة فليس عندهم ميل جنسي. وقد طبق هذا النظام في بعض دول الخليج العربي، مثل البحرين والكويت. وكانت نتيجة هذا النظام أن نشأ جيل يميل إلى الميوعة في سلوكه، ولا يرى حرجاً من الاختلاط بالجنس الآخر وخاصة في الدراسة[٢].

٣ ـ خلو المناهج الدراسية من المواد العملية المتعلقة بالتدبير المنزلي، عدا الساعة أو الساعتين في أفضل الأحوال، مما أدى إلى تخريج جيل من البنات يتزوَّجن وليس لديهن أدنى خبرة في كيفية إدارة البيت وتدبير شؤونه، حتى ولا أقل الأعمال وهي الطبخ والغسيل. وكل ذلك بسبب تأثر واضعي المناهج بالمناهج الغربية المادية التي أدت إلى تخريج جيل مادي، لا يسعى إلا لكسب رزقه خارج البيت بكل الوسائل وفي كل الأماكن، فنجد أكثر المتخرِّجات قد اشتغلن موظفات في المكاتب، وتركن عملهن الحقيقي وهو رعاية البيت وتدبير شؤونه[٣].

---

(١) المرأة المسلمة أمام التحديات ص٦٧.

(٢) إليك أيتها الفتاة المسلمة، لمنير محمد الغضبان ص١٢٣، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) انظر: ماذا عن المرأة، لنور الدين عتر ص٣٤، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، والمرأة بين الفقه والقانون ص١٦٦، وإليك أيتها الفتاة المسلمة ص١١٩.

٤ ـ قلة الحصص الدينية وخلوُّها من المواضيع الهامة التي تؤهل الطالبة لأن تكون داعية إلى الله في المستقبل.

٥ ـ فتح المجال للطالبات بالتخصُّص في التخصُّصات غير المناسبة لهن، مثل الهندسة الميكانيكية والمعمارية، أو التنقيب عن البترول، أو علم الصحاري والبحار، والجولوجيا، وغيرها من التخصصات التي لا تصلح إلا للذكور من الطلبة.

د ـ كيفية تبليغ الدعوة بين الصديقات والزميلات:

تقوم الدعوة على الأمور الآتية:

١ ـ التعرف على الزميلات في المدرسة وخاصة طالبات الفصل، ثم اختيار الصحبة الصالحة منهن، أو من يبدوا عليهن ـ ولو ظاهرياً ـ الخير والصلاح، واجتناب الصحبة السيئة المفسدة[١].

٢ ـ توثيق الصلة بهذه المجموعة الصالحة والتعرف على أفرادها عن قرب واحتكاك، والتعرف على أهاليهن، ومحاولة زيارتهن في البيوت.

٣ ـ التعاون معهن في المذاكرة وفهم الدروس.

٤ ـ التعرف على مشاكلهن الخاصة، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، وذلك بالاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص من المدرِّسات والمشرفات الاجتماعيات والنفسيات.

٥ ـ التخلق بأخلاق الطالبة المسلمة القدوة في الالتزام بآداب الإسلام في اللباس والزينة، والكلام والحركات والأخلاق. فكل ذلك سيؤدي إلى محبة الزميلات لها، مما يساعد على سرعة استجابتهن لها، وتقبلهن لنصحها.

٦ ـ ولكونها قدوة لغيرها من الطالبات فيجب عليها أن تهتم بالدراسة اهتماماً كبيراً، يصل إلى حد التفوق، لكي تثبت لهن أن الالتزام بأوامر الدين والعمل للدعوة لا يعطل الطالبة عن الاهتمام بدراستها، بل يحضها ويدفعها إلى التفوق[٢].

---

(١) انظر: القدوة على طريق الدعوة ص١٨٠.

(٢) بقليل من التصرف: المرجع السابق ص١٨٤.

٧ ـ تشجيع الزميلات على أداء الشعائر والفروض المكتوبة، وتحبيب الستر ولبس الحجاب لنفوسهن.

٨ ـ النصح والإرشاد لكل ما تراه من أخطاء ومخالفات شرعية في سلوك الطالبات وأقوالهن.

٩ ـ محاولة جذبهن لحضور المحاضرات المفيدة في المساجد وغيرها.

١٠ ـ كسب قلوبهن عن طريق الهدايا.

٢ ـ تبليغ الدعوة في مجال العمل:

أ ـ حكم خروج المرأة للعمل وشروطه:

العمل في حد ذاته مشروع غير محرَّم[١]، لقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[٢]. فالإسلام جعل للمرأة حق الكسب وساواها مع الرجل في ذلك[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[٤]. فكانت المرأتان تعملان في رعي الأغنام مع التزامهما الأدب والحياء، وكان السبب الذي دفعهما إلى العمل هو كبر سن الأب وعجزه عن القيام بذلك العمل.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: (تزوَّجني الزبير وماله من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح[٥] وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز قربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي اقتطعه

---

(١) إليك أيتها الفتاة المسلمة ص٤٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٢.

(٣) دستور الأسرة المسلمة لأحمد فايز ص٣٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٣.

(٥) هي الناقة المستخدمة في السقاية، لسان العرب ٣/ ٦٥٥، مادة (نضح).

رسول الله ﷺ على رأسي، وهو مني على ثلثي فرسخ)[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (طلقت خالتي؛ فأرادت أن تجدَّ[2] نخلها، فزجرها رجل أن تخرج[3]، فأتت النبي ﷺ فقال: «**بلى، فجدِّي نخلك، فإنك عسى أن تصدقي، أو تفعلي معروفاً**»[4].

(ولا ينازع أحد في المرأة إذا لم تجد من يعولها من زوج أو أقرباء، ولم يقم بيت المال بواجبه نحوها أنه يجوز لها أن تعمل لكسب قوتها)[5]. ويقول الخير الرملي: (لو استغنت الأنثى بنحو خياطة وغزل يجب أن تكون نفقتها في كسبها كما هو ظاهر)[6].

ولقد قال العلماء بأن وظيفة المرأة الأساسية في هذه الحياة هي القيام بشؤون البيت وخدمة الزوج ورعاية الأولاد مما يستدعي قرارها في البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة، لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[7]. ولكن استثني من ذلك العمل لظروف قاهرة وهي عدم وجود العائل، أو ضرورة ملحة كحاجة المجتمع لعملها في بعض الميادين الحيوية المختصة بشؤون المرأة.

يقول الأستاذ حسن البنا رحمه الله: (إذا كان من الضرورات الاجتماعية ما

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب (الغيرة) ٥/٢٠٠٢، حديث ٤٩٢٦.
والفرسخ: قياس طولي يعادل ٥٥٤٤ متراً، وثلثا الفرسخ ـ ٣٦٩٦ متراً.
انظر: النظم الإسلامية لصبحي الصالح ص٤١٧، دار الملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

(٢) الجداد هو صرام النخل: أي قطف الثمار وجنيها، القاموس المحيط ص٣٦٤، مادة (جدد).

(٣) وذلك لخروجها في فترة العدة.

(٤) أخرجه مسلم في الطلاق، باب (جواز خروج المعتدة البائن، والمتوفى عنها زوجها في النهار لحاجتها) ٢/١١٢١، حديث ١٤٨٣.

(٥) المرأة بين الفقه والقانون ص١٧٠.

(٦) حاشية ابن عابدين على الدر المختار ٢/٦٧١.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

يلجئ المرأة إلى عمل غير هذه المهمة الطبيعية لها[١]، فإن من واجبها حينئذ أن تراعي هذه الشرائط التي وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل، وفتنة الرجل عن المرأة، ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها، لا أن يكون هذا نظاماً عاماً من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه)[٢].

ويقول الشيخ البهي الخولي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا كانت الظروف تدعونا إلى أن تكون الفتيات طبيبات أو مدرِّسات فلا بأس بذلك، لأنا نستحسن أن يكون الطبيب الذي يعالج المرأة امرأة مثلها، والمدرس الذي يعلمها امرأة أيضاً)[٣].

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري: (إن عمل المرأة الفقيرة بترمُّلها أو بيُتم أطفالها ولا غنى لها من مال أو أب أو أخ، فعملها بعيدة عن الرجال لتكتسب لنفسها وقيامها حق من حقوقها، فمن نازعها فقد ظلمها)[٤].

لقد تبين لنا من الكلام السابق جواز خروج المرأة للعمل، ولكن بشروط، وهي:

١ ـ حاجة المرأة لهذا العمل لإعالة نفسها وأولادها أو من ترعاهم.

٢ ـ حاجة المجتمع لعملها في المرافق المتعلقة بالنساء، كالتدريس والتطبيب.

٣ ـ إذن ولي الأمر لها في الخروج للعمل.

٤ ـ خلو مكان العمل من الاختلاط والخلوة المحرمة بالرجال.

٥ ـ عدم تقلدها للمناصب التي فيها قوامة على الرجال[٥].

٦ ـ مراعاة الآداب الإسلامية في الملابس والزينة، فلا تخرج متبرجة ولا متعطرة.

---

(١) يقصد القيام بشؤون البيت.

(٢) المرأة المسلمة ص٢٥، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة السنة، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٣) الإسلام والمرأة المعاصرة ص٢٤٧، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة.

(٤) المرأة المسلمة ص١٨٠، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٥) سبق تفصيل في ذلك التمهيد.

٧ ـ ألا يكون مكان العمل فيه معصية لله عزّ وجلّ، كالبيع في محلات بيع المحرمات من المسكرات وغيرها.

٨ ـ ألا يكون هذا العمل معطلاً لوظيفتها الأساسية وهي رعاية شؤون بيتها وتربية أطفالها.

٩ ـ مناسبة العمل لطبيعتها الأنثوية جسمياً ونفسياً، فلا تعمل في الأعمال الشاقة كالمناجم والمحاجر، أو كنس الشوارع، كما حدث في الدول الاشتراكية.

١٠ ـ ألا يؤدي عملها هذا لحدوث البطالة عند الرجال.

ب ـ الوظائف المناسبة للدعوة:

١ ـ التدريس في المدارس والجامعات:

إن ميدان التدريس ميدان دعوي خصب، لما له من تأثير في تنشئة الأجيال الذين يمثلون البنية الأساسية في المجتمعات والدول، لذلك يجب على المدرسة المسلمة أن تهتم بمهنتها هذه، فلا بد أن تكون بالنسبة لطالباتها بمثابة الأم، أو الأخت الكبرى، وليست مجرد موظفة تؤدي عملاً رسمياً محدوداً، فتحشر المعلومات في عقول الطالبات بأي وسيلة كانت. بل إن مهمتها هي تخريج جيل من ربات البيوت الصالحات والداعيات إلى الله تعالى. ويجب عليها أيضاً أن تهتم بدعوة زميلاتها في المهنة، وتتعاون معهن في تأدية المهمة المطلوبة منهن.

ويقوم عملها على الأمور الآتية:

١ ـ عدم الاقتصار على المنهج الدراسي المحدد في الكتب، والذي يكون غالباً خالياً من أمور العقيدة وخاصة المواد العلمية، فعليها أن تربط العلم بالخالق سبحانه وتعالى، خاصة وأن كثيراً من العلوم تكشف وتوضح عظمة الخالق عزّ وجلّ وقدرته في خلقه، مما يولد تقديس الله عزّ وجلّ وتعظيمه في نفوس الطالبات، فينعكس ذلك إلى طاعة الله فيما يأمر وينهي[١].

---

(١) القدوة على طريق الدعوة ص١٧٥.

٢ ـ أن تكون المدرسة قدوة حسنة لطالباتها في الالتزام بأوامر الشرع في اللباس والأخلاق، وأهمها التواضع والانبساط في الكلام معهم، مما يؤدي إلى حب الطالبات لها، والتأثر بما تنصحهم به.

٣ ـ التعرف على الطالبات والتقرب إليهن وكسب قلوبهن، فذلك يساعد على سهولة التأثير فيهم.

٤ ـ تقديم المساعدة للطالبات الفقيرات في فهم الدروس بإعطائهن دروس تقوية مجانية أو بأسعار رمزية بسيطة.

٥ ـ التعرف على مشاكلهن الخاصة ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة.

٦ ـ الإكثار من زيارة أمهات الطالبات أو أولياء أمورهن، من النساء والتعرف عليهن، والتعاون معهن على أسلوب التربية والتوجيه المناسب، وحل مشاكلهن، بحيث تقوم الأمهات بدورهن في البيت، ثم تواصل المدرِّسة الدور في المدرسة، فيسير الخطان في اتجاه واحد، ويكون عمل الأمهات مكملاً لعمل المدرِّسة، والعكس صحيح.

٧ ـ عدم اقتصار التقاء المدرِّسة بالطالبات على الوقت الذي تمضيه معهن في الفصل فقط، بل لا بد من الاتصال بهن في أوقات الراحة أو بعد انتهاء الدوام الدراسي، وكذلك بالنسبة للزميلات بحيث تكون هناك زيارات بينها وبينهن في البيوت.

٨ ـ تقديم المساعدة لهن في مذاكرة الدروس وفهمها، وبالنسبة للزميلات يمكن أن تقدم لهن المساعدة، بأخذ بعض الحصص عند الحاجة والظروف الطارئة كالمرض.

عندئذ ترتبط الطالبات بمدرِّستهن ارتباطاً وثيقاً من الصعب انفكاكه، ويسهل عليها حينئذ التأثير عليهن ونشر الدعوة بينهن، بل وحتى بين أهليهن، وتكون عندئذ قد ساهمت في تخريج الجيل المنشود.

٢ ـ التطبيب والتمريض للنساء:

الميدان الثاني للدعوة النسائية هو التطبيب والتمريض للنساء، وتكمن

فائدة هذا الميدان في العلاقة التي تربط الطبيب أو الممرضة بالمريضة التي تكون في حالة تحتاج فيها إلى من يخفف عنها آلامها، ويبعث في نفسها الأمل بالشفاء، وأفضل من يقوم بذلك العمل هي الطبيبة التي تشخص المرض وتصف الدواء الناجع الذي يكون به الشفاء بإذن الله تعالى، وكذلك الممرضة التي تقوم على خدمة المريضة وتقديم الدواء لها. لذلك لا بد من الاستفادة من هذه العلاقة لنشر الدعوة بين المرضى.

ويكون ذلك بالأمور الآتية:

١ ـ تذكير المريضة بالله عزّ وجلّ، وما هذا المرض إلا ابتلاء منه تعالى ليمتحن به إيمانها، وصبرها على الابتلاء، وليذكرها بنعمه عليها، وتذكيرها بالدعاء إلى الله تعالى ليشفيها من هذا المرض، فلا شافي إلا هو سبحانه وتعالى.

٢ ـ تحلِّي الطبيبة والممرضة المسلمة بالآداب الإسلامية في اللباس والأخلاق الحسنة المتمثلة في الحلم وسعة الصدر والعطف على المرضى، ومخاطبتهن بالكلام الطيب اللين، وإشعارهن دائماً بالأمل الكبير في الشفاء بإذن الله تعالى، فإن مثل هذا الكلام يترك في نفسية المرضى أثراً كبيراً.

٣ ـ اعتبار المهنة عبادة لله تعالى، وعملاً إنسانياً، وليس مشروعاً تجارياً يهدف لجمع المال فقط، لذلك يجب مراعاة حالة المرضى المادية في وضع تسعيرة العلاج، بل والتنازل عن القيمة أحياناً إذا لم تكن المريضة قادرة على الدفع.

٤ ـ المبادرة للعمل في البلاد الإسلامية حتى لو كانت نائية[1]، وخاصة البلاد الإسلامية المنكوبة، فلا بد من تقديم العون لأولئك المسلمين، خاصة وأن أعداء الله من المنصِّرين لا يتركون مثل هذه الفرص إلا واستغلوها في نشر ديانتهم بين المسلمين، ولذلك فإنه لا يجوز للأطباء المسلمين أن يتخلفوا عن هذه الميادين مفضلين في ذلك الراحة والترف في بلادهم، بل لا بد عليهم الإسراع إلى تلبية النداء وخدمة المسلمين، وسد الباب أمام أولئك المنصِّرين.

---

(١) وذلك إذا ما توفرت لديها شروط السفر وأهمها: وجود الرجل المحرم معها، وأن تكون بلادها غير محتاجة إليها في وقت سفرها.

٥ ـ الإلمام بالأحكام الفقهية المتعلقة بعملها كي لا تقع في المحرمات، وكذلك بإرشاد المرضى لما يحتاجونه من أحكام الطهارة وطريقة الصلاة وغيرها[١].

٣ ـ تبليغ الدعوة بين زميلات العمل:

لقد ذكرنا أساليب نشر الدعوة بين الطالبات في المدرسة، وبين المرضى في المستشفيات، بقي أن نذكر أساليب نشر الدعوة بين الزميلات في مثل هذه الميادين وغيرها مما هو مخصص للنساء فقط. وفي الحقيقة أن هذه الأساليب فيها تشابه كبير بالأساليب المذكورة سابقاً في تبليغ الدعوة لزميلات الدراسة مع وجود فوارق بسيطة تقتضيها طبيعة العمل.

وتقوم الدعوة على الأمور الآتية

١ ـ كسب القلوب والتقرب إليها.

٢ ـ إظهار شخصية الطبيبة والممرضة والمدرِّسة[٢] المسلمة القدوة أمام الزميلات، من حيث الالتزام بآداب الشرع وأوامره، والمحافظة على الدوام دون تأخر، وإتقان العمل والإخلاص فيه.

٣ ـ التعاون مع الزميلات في أداء العمل، وتقديم المساعدة لهن وقت الحاجة، كالمناوبة بدلاً عن أحد الطبيبات أو الممرِّضات.

٤ ـ حثهن على الإخلاص في العمل وإتقانه، وتذكيرهن بكونه عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل.

٥ ـ التحدث معهن في أوقات الراحة في مواضيع تهم المرأة المسلمة، مثل التحدث عن واجباتها نحو ربها وبيتها وأهلها ومجتمعها.

٦ ـ إبداء النصح والإرشاد لهن، وتصحيح ما تراه من أخطاء ومخالفات شرعية في سلوكهن، أو لباسهن وغيرها بأسلوب مناسب.

٧ ـ نشر الوعي الثقافي الإسلامي بينهن عن طريق إهداء الكتب والأشرطة المفيدة.

---

(١) انظر: القدوة على طريق الدعوة ص١٩٩.

(٢) يدخل تحت ذلك المشرفات والإداريات في المدارس، والموظفات في الوظائف الخاصة بالنساء.

ثانياً: خدمة الجهاد والمجاهدين

لقد تكلَّمنا فيما سبق عن حكم خروج المرأة للجهاد[١]، وذكرنا أقوال العلماء في ذلك، وتبين لنا أنه يجوز لها الخروج لأداء بعض الخدمات للمقاتلين، وليس للقتال ومواجهة الأعداء، إلا في حالة الضرورة.

وفي عصرنا الحاضر هناك كثير من المسلمين يخوضون غمار المعارك ضد الكفر والطغيان، في فلسطين، والفلبين، والشيشان والهند، وبورما وكشمير، وغيرها من بلاد المسلمين. ونحن في دراستنا هذه سوف نقتصر الحديث على ما حدث في الجهاد الأفغاني، وما قدَّمته المرأة الأفغانية في خدمته وخدمة المجاهدين.

لقد بدأ الجهاد الأفغاني ضد الروس والحكومة الشيوعية العميلة مع نهاية عقد السبعينيات، وذلك عندما أرادت الحكومة العميلة تغيير الصبغة الإسلامية لهذا الشعب المسلم واستبدالها بالصبغة الشيوعية الملحدة، فأبى هذا الشعب المغوار، وحمل السلاح ضد عدوه ليرد كيده في نحره، ثم تدخلت الجيوش الروسية سنة ١٩٧٩م بقوة سلاحها وعتادها، وكثرة جندها، وخيّل إليها في بادئ الأمر أنها ستقضي على معارضيها في بضع أيام أو أسابيع[٢]، وإن طالت فبضع شهور. ولكن هيهات، لقد صمد هذا الشعب المجاهد ضد قوة هي من أقوى قوى الشر في العالم طوال السنين مع قلة السلاح والعتاد، ولكنه تزوَّد بقوة إيمانه بربه، فكان واثقاً بنصره ومؤازرته، واستطاع بذلك أن يقف في وجهه، بل ويطرده من بلده شر طردة، فقد انسحبت الجيوش الروسية من أفغانستان في الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٩٨٩م[٣].

---

(١) انظر ص١١٠.

(٢) لقد تكرر هذا الحلم عند الروس أثناء غزوهم لأرض الشيشان، فقد ظنوا أنهم سيحتلونها خلال ست ساعات فقط، إلا أنهم ما زالوا يذوقون الخسائر في الأرواح والعتاد الشيء الكثير، وذلك لعدم اعتبارهم.

(٣) انظر: أفغانستان الجريحة، أفغانستان الحبيبة لمحمد محمد توفيق ص٤٧، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ولو لم يقف هذا الشعب في وجه هذا الزحف الأحمر لامتد إلى ديارنا وأفسد ديننا ونهب خيراتنا، فكان الشعب الأفغاني المجاهد ـ ولله الحمد والمنة ـ الباب المنيع للقلعة الحصينة الذي لم يستطع العدو فتحه.

ولقد كان للمرأة الأفغانية المسلمة في هذا الجهاد العظيم حظ كبير، فلقد شاركت فيه بما استطاعت، وقدَّمت أعمالاً جليلة في خدمته وخدمة المجاهدين.

وقبل أن نتحدث عن هذه الأعمال نرى أنه من الأفضل أن نقدم نبذة قصيرة عن شخصية المرأة الأفغانية، وبدء تحركها لخدمة الدعوة في أفغانستان.

نبذة عن المرأة الأفغانية:

إننا لا نكاد نشعر بوجود المرأة الأفغانية لأول وهلة، ولا نصدق بأن لها دوراً فعالاً أو حاسماً في مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، ولكن الحقيقة على عكس ذلك، فالمرأة الأفغانية هي المحرك الأول لمجريات الأحداث والعامل الأساس في توجيه الحياة الاجتماعية.

ولعل من أهم أسباب ذلك الشعور هو عدم ظهور صورها في المجلات والجرائد، وعدم تحدث أحد عنها، وعدم فرضها لنفسها في المحافل السياسية ومنافسة الرجال فيما فطروا عليه وهيئوا له، وذلك لفرط حيائها، وشدة تمسكها بالدين، والمحافظة على التقاليد، ولإيمانها العميق بأهمية دورها ورسالتها في التربية والتعليم وصناعة الأجيال، إننا نلمس ذلك جلياً عندما نسير في القرى، فنرى البيوت وكأنها قلاع، فالأسوار مرتفعة، والواجهات خالية من النوافذ، فالنوافذ لا تطل إلا على الفناء الداخلي للبيت، والمنزل مقسم إلى قسمين، الأول خاص للنساء والآخر للرجال.

وعندما نسير في الشوارع لا نرى إلا سواداً يسير، فالنساء يلبسن عباءة ساترة من قمة الرأس إلى أخمص القدم، وذلك مظهر عام لا يشذ عنه إلا بعض السافرات المفتتنات بالحضارة الغربية الزائفة، وهن قليل، أما بقية الأفغانيات فهن يتفانين في التمسك بحجابهن، بل وقد يقتلن دونه، وهذا ما سجّله التاريخ للمرأة الأفغانية حيث قاومت تلك الحملات الشرسة المكثفة التي

تهدف إلى تعريتها وسفورها واختلاطها بالرجال[1]. تلك الحملات التي قام بها الحكام العلمانيون أمثال الملك ظاهر شاه، ومحمد داود.

وعندما فطن الإسلاميون للمكيدة التي تدبَّر ضد المرأة المسلمة وخطورة هذا الوضع قام أحد زعماء الحركة الإسلامية ويسمَّى (سيف الدين نصر نياز) بوضع نواة أول عمل إسلامي منظم في أفغانستان، وذلك لإيقاف المد الشيوعي الذي بدأ ينتشر في الوسط النسائي على أيدي بعض الشيوعيات والعميلات ممن دفعتهن الحكومة لإفساد المجتمع خلقياً وفكرياً، وذلك عن طريق تأسيس بعض الأحزاب والجمعيات الشيوعية، وخاصة في المدارس والجامعات.

ومع ضعف الإمكانيات بدأت خمس طالبات في دار المعلمات بكابل بعمل يهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة في صفوف الطالبات، وتم توزيع الكتب الإسلامية عليهن. فلم يبق في الأحزاب الشيوعية التي أسستها تلك العميلات سوى الفاسدات خلقياً وفكرياً[2].

وبعد انقلاب محمد داود عام ١٩٧٣م وإطاحته بابن عمه محمد ظاهر شاه؛ عاشت الحركة الإسلامية في أفغانستان في محنة شديدة، فقد ألقي بكثير من قادتها في السجون، ولاقوا من التعذيب والإيذاء الشيء الكثير. وأثرت هذه المحنة على العمل النسائي، فلم يعد كما كان وذلك لوجود المخاطر من قبل الحكومة، ومع ذلك لم تتوان الأخوات المسلمات عن القيام بواجبهن، فقمن بتفقد أحوال المسجونين وإيصال الطعام والملابس لهم ولأسرهم[3].

وعندما زادت مؤامرة المركسة التي تقوم بها الحكومة العميلة ضد الشعب الأفغاني وخاصة المرأة، وضد الحجاب والستر، لم تجد المرأة الأفغانية بداً من مواجهة هذه المؤامرة علانية، فقامت بالمظاهرات ضدها، وحرَّضت الشعب ضد الحكومة، ولقد أدى ذلك إلى إجبار الملوك على الفرار من البلد خوفاً من

---

(١) بتصرف: أفغانستان مقبرة الغزاة ص١٦١.

(٢) بتصرف: مقال بعنوان: صمود المرأة الأفغانية المجاهدة في وجه المؤامرات: نماذج مضيئة لمسيرة المرأة الأفغانية لأبي عبد العزيز، المجلة العربية العدد ١٥٦، محرم ١٤١١هـ - ١٩٩١م ص١١١.

(٣) المرجع السابق.

غضبة الشعب وانتقامه، فزالت عروش، ومرغت أنوف الطواغيت في التراب لهذا السبب. وحثّت المرأة الأفغانية كل محارمها على القيام بثورة عارمة شملت طول البلاد وعرضها، تتوعد كل من ينوه بالكلام عن حجاب المرأة، وعلقت اللافتات التي تعلن: (حجاب المرأة عرضنا)[1].

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر أبريل في عام ١٩٨٠م قامت مجموعة من الطالبات في ثانويتي (رابعة وسوريال) بإضراب داخل المدرستين مع مجموعة من المعلمات، وقمن بمسيرة ارتفعت فيها صيحات التكبير، وحاولت الشرطة منعهن من الخروج إلى الشارع، فقامت الطالبات بقيادة الطالبة (ناهيد) وهي ترفع راية خضراء برشق الشرطة بالحجارة، وأحاطت القوات بالمظاهرة التي يعلوها التكبير وأصلتها وابلاً من الرصاص، فاستشهدت فيها الطالبة (وجيهة)، ومع ذلك واصلت المسيرة سيرها مرددة: (يعيش الوطن الإسلامي في أفغانستان، والموت للروس وعملائهم في خلق وبرشام[2])، فعاد إطلاق النار لتسقط قائدة المسيرة (ناهيد) شهيدة، ومع ذلك استمرت المظاهرات لمدة أسبوعين[3].

وهذه مظاهرة أخرى يقوم بها فتيات صغيرات في عمر الزهور، يخرجن من مدارسهن ويمشين في الشوارع يرددن عبارات التهديد والوعيد للحكومة الباغية التي أحرقت أمام الملأ وعلى مسمع ومرأى من الشعب كله حجاب المرأة، إيذاناً بانتهاء عهد الدين، وعهد العباءات والعمامات، وبداية عهد السفور وتقليد الغرب، وفي المظاهرة تقوم إحدى الطالبات وتخرج من شنطتها مسفع[4] وتضعه على رأس أحد ضباط حرس الملك، ثم تهتف الطالبات: (إن لم ينتقم الرجال لنا فليلبسوا المسافع ويجلسوا في البيت، وسوف ننتقم لأنفسنا من ذلك الباغي وأعوانه). وهنا صدرت الأوامر بقذف تلك البراعم الصغيرة الثائرة لعرضها ودينها، فسقطت الزهرة البريئة التي تزعمت مجموعة البراعم وسقط معها أخواتها الثائرات، وامتلأت الشوارع بالدماء الطاهرة. وغابت

---

(١) أفغانستان مقبرة الغزاة ص١٦١، المرجع السابق.
(٢) خلق وبرشام: هما حزبا الشيوعية في أفغانستان، ويوجد بينهما عداء مستحكم.
(٣) المرجع السابق.
(٤) هو الخمار الذي يغطّى به الوجه، لسان العرب ٢/١٥٧، مادة (سفع).

الشمس على مشهد حزين ومأساة مفجعة، كان مسرحها طول البلاد وعرضها. ولكن هل أفلح البغاة في تحقيق أهدافهم من إجبار المرأة الأفغانية على السفور؟ كلا! وما زادها ذلك إلا تمسكاً بدينها وعدم تفريطها في حجابها[1].

هذه هي شخصية المرأة الأفغانية، وهذا دورها في خدمة الدعوة وحماية الدين، ولكن قبل أن يبدأ الجهاد المسلح. وأما بالنسبة للأعمال التي قامت بها في خدمة الجهاد والمجاهدين بعد بدء الجهاد المسلح فهي كما يلي:

١ ـ رعاية الأبناء وإعدادهم لمواصلة الجهاد:

من التقاليد الحسنة عند الشعب الأفغاني المجاهد أنهم يجتمعون بين فترة وأخرى في بيت العائلة الكبير وهو بيت الجدة أو الأم، وتقوم هذه الجدة أو الأم بتوثيق عرى الرحم وتذكير الأبناء بواجباتهم؛ خوفاً من أن يكون تيار الحياة قد جرفهم بعيداً، وتقوم برواية القصص البطولية التي قام بها الأجداد والآباء في المعارك الفاصلة ضد الأعداء للأطفال الصغار، فيصغي الصغار لها ويمتصون روح الشجاعة والبطولية فيكون لها أبلغ الأثر في نفوسهم، وتدب فيهم روح الاعتزاز بمفاخر الأجداد والآباء، وينمو فيهم عشق الجهاد ومقت الجبن والذل والخور، وإنك لو نظرت في أعين هؤلاء الأطفال لرأيت بريق التحدي والعناد، والشجاعة والإصرار، بل إنك تجد لعبتهم المفضلة هي الأسلحة الحية التي يتدربون عليها منذ نعومة أظفارهم[2].

هكذا يربى أطفال الأفغان، وأما أطفالنا فيربون على مشاهدة أفلام الرسوم المتحركة الخيالية، وعلى اللعب في ألعاب الفيديو الملهية أو يستمعون إلى قصص الأمهات من الخزعبلات والخرافات، فشتان ما بين تربية أولئك وتربية هؤلاء.

ويروي لنا مراسل مجلة البنيان المرصوص[3] قصة، فيقول: (رأيت طفلاً

---

(١) بتصرف: أفغانستان مقبرة الغزاة ص١٦٢.

(٢) بقليل من التصرف: أفغانستان بين الأمس واليوم لأبي العينين فهمي محمد ص٢٤٣، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٩م.

(٣) مجلة شهرية يصدرها الاتحاد الإسلامي لأفغانستان الذي يرأسه البرفسور عبد رب الرسول سيّاف.

لا يكاد يبلغ الثامنة من عمره، فسألت المسؤول عن مركز المجاهدين: ماذا يفعل هذا الطفل معكم؟ قال: إن أباه قد استشهد وترك أطفالاً هذا أكبرهم، فأرسلته أمه يحمل سلاح والده، وقالت له: اذهب واشترك مع المجاهدين محل أبيك، فرددناه إلى أمه لأنه لا يقوى على حمل السلاح. فأعادته إلينا مرة أخرى، وقال الطفل: إن أمي تقول: إن لم تستطع حمل السلاح فاعمل في خدمة المجاهدين. قدِّم لهم الطعام والخبز والشاي. وكان الطفل يقوم بذلك فعلاً!

لقد فقد الطفل أباه في المعركة فأشفقت الأم أن يفقد ابنها الأكبر معه القدوة في الشجاعة والبطولة، فبعثت به للمجاهدين ليكون على صلة مستديمة بالأبطال يتلقى الدروس العملية الحية في الإقدام، لم تخشَ عليه من الموت أو ترزأ[1] في ابنها الأكبر كما رزأت في زوجها لأنها تعلم أن الآجال موقوتة بيد الله عزّ وجلّ، وما قصَّر الإقدام أعماراً ولا أطال الإحجام آجالاً، إنها لم تضن به عن خدمة المجاهدين، لم تؤثر نفسها بخدمة أكبر أبنائها لها بعد وفاة أبيه، ولكنها أيقنت أن مكان الولد ليس في البيت، وإنما في أحضان العزة والكرامة والسلاح في مراكز المجاهدين)[2].

٢ ـ إعداد الطعام واللباس للمجاهدين:

من الخدمات التي قدمتها المرأة الأفغانية للجهاد هي إمداد المجاهدين بالطعام، خاصة الخبز الذي يكتفي المجاهدون بأكله مع كوب شاي ليكون زادهم طوال اليوم، وكذلك اللباس وخاصة في فصل الشتاء ليقيهم من برودة الجو القارصة.

يروي البروفسور برهان الدين رباني[3] قصة امرأة أفغانية كان لها موقف جهادي لا يُنسى، فيقول: في إحدى القرى التي هاجر منها أهلها خوفاً من

---

(١) أي تصاب بالمصيبة، أو تفقد عزيز، لسان العرب ١/١١٥٨، مادة (رزأ).

(٢) مجلة البنيان المرصوص، العدد العاشر نوفمبر ١٩٨٦م ص٢٦.

(٣) رئيس الجمعية الإسلامية، وهي أحد الأحزاب السبعة في الاتحاد الإسلامي للجهاد الأفغاني، وقد تخرج من كلية الشريعة في جامعة كابل عام ١٩٦١م، وسافر إلى مصر في عام ١٩٦٧م مبتعثاً للدراسات العليا، وعاد في عام ١٩٦٩م ليعمل مدرساً في الكلية، وقد ترأس أول تجمع إسلامي في الجامعة بتوجيه من د. غلام محمد نيازي. =

القتال بقيت أسرة واحدة تتكون من الأب والأم وولد وبنت، فكان الوالد يجاهد مع المجاهدين، والأم وابنتها يقضيان اليوم في صنع الطعام، ويقوم الولد بنقله إلى مواقع المجاهدين في التلال، ثم استشهد والدهم فتلقت الزوجة الخبر بصبر واحتساب، وأبت إلا أن تبقى مع ولديها لخدمة الجهاد، ثم استشهدت البنت في حادث قصف، وتتلقى الأم الخبر صابرة محتسبة، وتبقى وحدها تعد الطعام، ويتأخر ابنها كثيراً فتخرج لتبحث عنه، فإذا بها تراه قد استشهد هو الآخر، فتأخذه إلى البيت. ولما أحس المجاهدون بتأخر الصبي أرسلوا أحدهم ليستطلع لهم الخبر، فذهب إلى بيت المرأة ودخله، فرأى مشهداً رائعاً، فقد كان الولد مُسجّى على الأرض وقد غطي بأوراق الشجر، والأم ما زالت تعد الطعام. لقد أبت هذه المرأة إلاً أن تتم عملها الذي عاهدت ربها على القيام به مع ما أصابها من مصائب، فقد فقدت جميع أفراد عائلتها ومع ذلك فإنه لم يصرفها عن إتمام عملها[1].

إنه موقف عظيم من امرأة عظيمة تتجلى فيه معاني الصبر والتحمل على المصائب، والتفاني في خدمة الجهاد والمجاهدين.

٣ ـ تشجيع الأزواج والأبناء على الجهاد والصبر على استشهادهم:

لقد تكلمنا فيما سبق عن تشجيع النساء لأزواجهن على العمل الدعوي والجهادي، وكيف كان لهذا التشجيع الدافع القوي لثبات أولئك الأزواج على طريق الدعوة والجهاد[2].

وها هي المرأة الأفغانية تسطر لنا مواقف مشابهة لتلك، فتدفع بها عجلة الجهاد إلى الأمام. فهذه فتاة واعية تقدم لخطبتها شاب ذو مركز مرموق في الدولة، فظن والدها أنها لن ترفضه، فاستقبل الشاب وأسرته، ودعا الفتاة لترى

= وشغل منصب وزير للتعمير في بداية حكومة المجاهدين، ثم أصبح رئيساً للحكومة، أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي، محمد علي البار ص٣١٥، دار العلم، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، أفغانستان الجريحة ص٣٥، مع شيء من التصرف.

(١) بتصرف: المجلة العربية العدد ١٥٦ ص١١١.

(٢) انظر ص١٤٠.

العريس ويراها حتى يؤدم بينهما عملاً بالسنة الشريفة[1]، فتكون المفاجأة التي ألجمت أفواه الجميع حينما دخلت عليهم الفتاة متحجبة بالنقاب، فتقول: (لقد عاهدت الله ألا أتزوج إلاَّ شخصاً بعضه في الجنة. هؤلاء المعوقين والمشوّهين الذين دافعوا عن أعراضنا وبذلوا أجزاء من أجسادهم في سبيل الله تعالى. هؤلاء الشباب لا بد أن نردّ لهم الجميل وأن لا ننبذهم. إنهم أشهر وأطهر الشباب، إنهم يحملون بعاهاتهم أوسمة الفخار والعزة الحقيقية لا أوسمة صناعية).

فكان لكلمتها هذه أعظم الأثر في نفس الشاب، فما أن وصل إلى بيته حتى خلع ملابسه الناعمة ولبس الملابس الخشنة والتحق بصفوف المجاهدين، بل إن هذه الفتاة قد سنت سنّة حسنة لبنات أفغانستان، فقد اشترطن في زواجهن نفس شرطها[2].

فأين هؤلاء من نسائنا اللاتي يشترطن في زواجهن حمل الشهادات العالية، والمهور الخيالية؟!

وهذه أم أمير المجاهدين البروفسور عبد رب الرسول سياف[3]، عندما جاء حفيظ الله أمين وقتل تراقي بإيعاز من الروس، كانت قائمة القتلى في عهد تراقي تضم عن طريق الخطأ اسم الشيخ سياف وظن الشعب أنه قتل، ولكنه نجا بأعجوبة، وما ذلك إلاَّ تقدير من الله العلي القدير، ولكنه مع ذلك بقي في السجن، فلما علم حفيظ الله أمين بذلك اتصل به ووعده بأن يجعله وزيراً للإعلام إذا قبل التعاون معه، وأما إذا رفض فسينفذ فيه حكم الإعدام. ورفض

---

(١) لحديث المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة، فقال له النبي ﷺ: **«اذهبْ فانْظُرْ إليها، فإنّه أحْرَى أنْ يُؤدَمَ بينَكما»**. أخرجه الترمذي ٣/ ٣٩٧، حديث ١٠٨٧ بدون لفظ (اذهب)، وقال: حديث حسن. وصححه الألباني ١/ ٣١٥، حديث ٨٦٧، والنسائي ٦/ ٩٦، حديث ٣٢٣٥، وابن ماجه ١/ ٥٩٩، حديث ١٨٦٥.
ويؤدم بينكما: أي تكون بينكما المحبة والوفاق، لسان العرب ١/ ٣٤، مادة (أدم).

(٢) بقليل من التصرف: أفغانستان مقبرة الغزاة ص١٧٨.

(٣) رئيس الاتحاد الإسلامي للجهاد الأفغاني، ويتصل نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، ولقد حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٥هـ. وأصبح رئيس وزارة الحكومة الانتقالية للمجاهدين.
انظر: أفغانستان الجريحة ص٣٥.

الشيخ سياف هذا الاقتراح ولم يقبل بشيء. وعلمت أمّه المؤمنة الواعية بذلك، فأرسلت إليه رسالة من وراء القضبان وهو سجين؛ تقول فيها: (أي بني أحذرك من التعاون مع أمثال هؤلاء مهما كانت التضحية)، فكانت لعباراتها هذه في نفس ولدها وقعاً مدهشاً وتأثيراً عظيماً، كما كان لكلمات أسماء ذات النطاقين ﵄ لابنها عبد الله بن الزبير حينما حاصره الحجاج بمكة، فجاءها يستشيرها: أيثبت على مبدئه أم يستسلم؟ فقالت له: (أي بني إن كنت تعلم أنك على الحق فامض في طريقك لا تبالي بالموت، قال: يا أماه إنهم سوف يمثّلون بجثتي بعد قتلي؟ قالت: وهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها)؟! فانطلق للقتال حتى قتل[١]. وكذلك الشيخ سياف، فحينما سمع هذه الكلمات انطلق في جهاده كالليث، في تصميم وعناد لا يثنيه شيء.

وبعد فترة جاء بابراك كارمل بدلاً من حفيظ الله أمين، فأصدر عفواً عاماً عن المسجونين عدا الخطرين في نظر الحكومة من أمثال الشيخ سياف، ولكن عندما اندفع المسجونون خارج السجن خرج الشيخ سياف معهم دون أن يعلم بذلك أحد، ومضت فترة حتى علمت روسيا بخروجه وهروبه من السجن، فهاجمت بيته باثنتي عشر دبابة، فلما وصلت الدبابة الأولى قرب المنزل توقفت عن السير فجأة ولأسباب غامضة في نظر الروس، وذلك بفضل الله عزّ وجلّ وقدرته، وبفضل دعاء الأم الصالحة التي رفعت أصبعها قائلة: (الله أكبر فوق كيد المعتدين). ولما اقترب الجند فرّ جميع من في البيت إلاَّ هذه المرأة المؤمنة بربها، فأخذها الروس وأنزلوا بها أشد العذاب كي تدل على مكان وجود ابنها. ولكن هيهات أن تعترف بذلك فتدلهم على مكان ابنها وإخوانه المجاهدين. وعندما أيسوا منها أطلقوا سراحها[٢]، لتضرب لنا صورة أخرى في الثبات وعدم كشف الأسرار التي تضر الجهاد والمجاهدين متمثلة في ذلك بموقف ذات النطاقين ﵄ في ليلة الهجرة[٣].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٢٢٥.

(٢) بتصرف: آيات الرحمٰن في جهاد الأفغان لعبد الله عزام ص١٤٤، دار المجتمع، جدة، الطبعة التاسعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

(٣) انظر ص٧٤.

هذه هي مواقف أم الجهاد التي تستحق أن تسمّى أسماء هذا العصر.

وهذه امرأة أفغانية أخرى تمر في إحدى ضواحي مدينة (لوجر) فتبصر شجرة توت وقد علق عليها عشرات من الأسلحة الخفيفة، ففركت يديها وحمدت الله عزّ وجلّ أن استجاب لدعائها، فقد كانت تتمنى أن تجد سلاحاً لابنها الأكبر ليقتل به عدداً من أعداء الله تعالى، فلما رأت الأسلحة معلقة على الشجرة أسرعت إلى بيتها لتحمل البشرى إلى ابنها، وما إن سمع منها الخبر حتى أسرع هو وأمه إلى مكان الشجرة، فيرى مجموعة من الروس قد تركوا أسلحتهم فوق أغصان شجرة التوت وأخذوا يجمعون التوت من الأشجار المجاورة ويأكلون ويضحكون. فتسلل بهدوء وجمع الأسلحة. ثم صعد فوق شجرة قريبة منهم، وأخذ يتصيدهم واحداً تلو الآخر حتى قتلهم جميعاً. وهكذا كان لهذه الأم دور في هذه العملية الجهادية، فهي التي أرشدت ابنها إلى مكان الأسلحة[1].

وقصة أخرى تبيِّن لنا مدى غيرة المرأة الأفغانية على دينها. تقول إحدى النساء الأفغانيات: (إن المرأة الأفغانية غيورة جداً على الإسلام، فإذا وجدت تراخياً من زوجها يوماً عن لقاء الأعداء، ظلت تطارده بكلماتها، فتقول له: كيف تجلس في البيت والأعداء يدنسون بلدك؟ هل أنت امرأة؟ هل تزوجتُ امرأة مثلي؟ لماذا تعرض عن الجهاد؟ تنتظر من يدافع عن عرضك؟! أقسم بالله إن لم تذهب فوراً للجهاد فسوف آخذ سلاحك وأرتدي ملابسك وأذهب إلى الجهاد. فيخجل الزوج ويترك التقاعس وينضم إلى صفوف المجاهدين[2].

وأما بالنسبة لصبرهن واحتسابهن لمن قتل من الآباء والأزواج والأبناء والإخوة، فلا تكاد تجد امرأة أفغانية إلاّ وقد نكبت في زوج أو ولد أو أخ أو قريب، وما زادها ذلك إلاّ ثباتاً ورسوخاً في العقيدة ودينها.

تروي أم محمد زوجة د. عبد الله عزام رحمه الله قصة امرأة أفغانية فتقول: (عندما أغارت عليهن الطائرات، أسرعت إلى المكان الذي تخفي فيه الأسلحة.

---

(١) بتصرف: أفغانستان مقبرة الغزاة ص١٦٩.

(٢) المرجع السابق ص١٧٣.

وأخذت قطعتين من السلاح ودفعت بهما إلى زوجها وولدها. وقالت لهما: انطلقا؛ إما النصر أو الشهادة. وانطلق الاثنان ولم تمر إلاَّ دقائق معدودة حتى ألقت الطائرة بقذائفها على البيت، وكانت المرأة في الخارج وإذا بها تبحث عن زوجها وولدها فوجدتهما جثتين هامدتين ولم يكن بالقرية أحد سواهم، فقامت بحفر قبر لزوجها ثم حفرت قبراً آخر لابنها وقامت بدفنهما وهي تردد: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله الذي شرفني باستشهادهما، وأسأل الله أن ألتقي بهما في جنة الخلد مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً)[1].

وهذه عروس قد تزينت لأسعد ليالي حياتها، فسوف تزف إلى البطل المغوار والقائد الفذ الذي نذر على نفسه أن يصطاد كل يوم شيوعياً في أسواق هرات، إنه (عتيق) الذي أرعب الروس وأذنابهم، كان العريس في يوم زفافه يشتري بعض أغراضه فسمع صوت انفجار في السوق، فأبى إلا أن يحمل سلاحه وينضم إلى المجاهدين ليدافع عن دينه وأرضه وعرضه، وما هي إلاَّ لحظات حتى يسقط شهيداً، وبدلاً من أن يزف إلى عروسه التي تنتظره؛ يزف إلى الحور العين في جنة عرضها السماوات والأرض إن شاء الله. وحمل الشهيد على أعناق الرجال فالتقى موكب العرس بموكب الشهادة، واحتار الناس هل يهنئون بالشهادة، أو يواسون العروس وأهلها؟ أو ينضم الموكب لتشييع جثمان الشهيد؟ ولكن ما موقف العروس من ذلك المشهد كله؟! لما سئلت عما فعله الروس وعملاؤهم، قالت بكل عزة واستعلاء: (أفسدوا علينا دنيانا، فأفسدنا عليهم دنياهم وآخرتهم)[2]. فما أعظمه من صبر واحتساب تسطره هؤلاء النسوة المسلمات المؤمنات بقضاء الله وقدره. إنها كلمات ومواقف تذكرنا بالصحابيات الجليلات رضي الله عنهن من أمثال صفية بنت أبي طالب عمة رسول الله ﷺ، وحمنة بنت جحش زوجة مصعب بن عمير، وأم حارثة بن سراقة وغيرهن كثير.

وهذه أم محمد زوجة أمير المجاهدين العرب الدكتور عبد الله عزام رحمه الله تجري معها مجلة الموقف[3] لقاء بعد حادثة الاغتيال الأثيم التي استشهد فيها

---

(١) أفغانستان مقبرة الغزاة ص٢١٤.

(٢) المرجع السابق ص٢١٧.

(٣) مجلة شهرية يصدرها الحزب الإسلامي برئاسة قلب الدين حكمتيار.

زوجها وابنيها محمد وإبراهيم، فوجِّه إليها هذا السؤال: كيف تلقيتم خبر استشهاد زوجك وولديك؟ وكيف شعوركم عندما علمتم بوفاتهم رحمهم الله؟ فأجابت قائلة: (بعد خروج زوجي وأولادي من البيت متوجهين إلى صلاة الجمعة، سمعت صوت انفجار قوي أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي عن البيت، وكان ذلك بعد خروجهم بخمس دقائق فقط، أحسست في قلبي شيئاً وكنت أقوم ببعض أعمالي في المطبخ، بعدها خرجت من المطبخ وتوجهت إلى الحجرة التي كانت تجلس فيها إحدى الزائرات وزوجة ولدي محمد الذي استشهد مع والده، فقلت لهن: هل سمعتن صوت الانفجار؟ فأجبنني بالنفي، وقلن: هل تظنين أن الانفجار في المسجد؟ قلت: لا، إن الانفجار كان أبعد من المسجد بقليل والله أعلم، وقلن لي: توكلي على الله، جعل الله ذلك خيراً، ولكنني لم أستطع أن أرجع إلى إكمال عملي في المطبخ، بل توجهت إلى الحجرة الأخرى التي فيها التلفون، واتصلت بالمكتب كي أسأل ماذا حصل. ولكنهم أجابوني بأنهم لا يعلمون شيئاً. واتصلت بالمستشفى فرد علي رجل أفغاني، فقلت له: يا أخي ماذا حصل بالدكتور عبد الله عزام؟ فقال لي: إنه استشهد. فقلت: الحمد لله، إن لله وإنا إليه راجعون، وأغلقت التلفون. واتصلت مرة أخرى بالمكتب وقلت لهم: لقد علمت كل شيء، ولكن أريد التفاصيل، لماذا تخفون علينا فنحن لها؟! ولقد جهزنا أنفسنا منذ فترة طويلة لهذا الشيء؛ فأرجو أن تخبرني بالتفاصيل. فقال لي: الشيخ في خطر. قلت له: لا، بل استشهد، ولكن أريد أخبار الأولاد؟ فقال لي: لا أعلم شيئاً. قلت: هل الانفجار في السيارة؟ قال: نعم. قلت: الحمد لله، إذن الأولاد الثلاثة الكبار ذهبوا مع أبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، صبر جميل والله المستعان. فسمعني البنات، فقلن: ماذا حصل؟ لماذا تحوقلي وتسترجعي؟ ماذا حصل لأبينا؟ هل هو بخير؟ قلت: نعم هو بخير. قلن: أين هو؟ قلت: هو عند ربه مستريح. فبكين، ولكني لم أخبرهن بخبر الأولاد لأنني خفت عليهن من هول المصاب لأنهن صغيرات، وأخذن يبكين بحرقة، فقمت إليهن، وقلت لهن: لا تبكين وقلن اللهم آجرنا في مصيبتنا، وأبدلنا خيراً منها، واحمدن الله فإنه شهيد في سبيل الله، والشهيد لا يُبكى عليه ما دام عند ربه حي يرزق، ونحن لها إن شاء الله، ولن يضرنا شيء إن شاء الله.

وجاء زوج ابنتي أبو الحسن كي يخبرني الخبر، ولكنه علم أنني علمت، فسألته: أين الشيخ؟ لماذا لم تحضروه؟ فقال: أخذوه إلى قرية بابي. فقلت له: ألا تتقون الله! حتى النظرة الأخيرة تريدون أن تحرموننا إيّاها؟! قال: لا والله؛ جئت كي آخذكم حتى ترونه. فقلت له: انتظر حتى أصلي، فصليت الظهر وسرنا إلى بابي، وفي قرية بابي في بيت الشيخ سياف رأيت ثلاثة أسرة مصفوفة، ورأيت ابني الثاني (حذيفة) ملابسه مضرجة بالدماء ويقف على الباب، ويقول لي: لا تبكي يا أمي، إنهم أحياء عند ربهم. فحمدت الله أن واحداً من الكبار حيّ، وودّعتهم وعدت إلى بيشاور، ورفضت أن تقدَّم لي التعازي بهم، أو أن يقدم لي شيء يدل على العزاء في بيتي، وقد وعدت زوجي قبل عشرة أيام من استشهاده حين سألني: إذا مت مثل الشيخ تميم ماذا تفعلين؟ قلت له: أصبر وأحتسب؛ فتذكرت ذلك الوعد، وقلت في نفسي: إنه حق عليّ أن أفي له بوعدي، وها أنا قد وفيت، وأرجو الله أن يثبتني إلى آخر المطاف.

وأما عن مشاعري، فقد منّ الله علي بالصبر والثبات، وإني لأشعر بالطمأنينة والرضى بقضاء الله وقدره، وكان الخبر على نفسي كشرب الكأس البارد بعد ظمأ طويل، ونزل على قلبي، برداً وسلاماً، وهذا من فضل ربي عليّ، وأشعر كذلك بسعادة تغمرني من داخلي لأنني مستبشرة بوعد الله الذي أخبر به الرسول ﷺ للشهيد، بأنه يشفع بسبعين من أهل بيته[1]، فكيف إذا كانوا ثلاثة شهداء؟ فنسأل الله أن يأجرنا ويثبِّت قلوبنا على دينه، ويعيننا على تربية الأولاد الآخرين على حب الجهاد وحب الشهادة، إنه سميع مجيب)[2].

هذا هو موقف أم محمد من استشهاد زوجها وابنيها وهو موقف لا يحتاج إلى تعليق. أفلا تستحق هذه المرأة أن تسمّى بخنساء هذا العصر؟!

---

(١) الحديث: عن نمران بن عتبة الذماري قال: دخلنا على أم الدرداء ـ بعد استشهاد أبيهم ـ ونحن أيتام، فقالت: أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: **«يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»**. أخرجه أبو داود ٣/ ١٥، حديث ٢٥٢٢، وصححه الألباني ٢/ ٤٧٩، حديث ٢٢١٠.

(٢) العدد ٦٨ ـ ٦٩.

٤ ـ مباشرة القتال:

لقد ذكرنا فيما سبق بأن الإسلام لم يوجب على المرأة حمل السلاح ومقاتلة الأعداء إلا في حالة الضرورة أو النفير العام، حينها يجوز للمرأة أن تحمل السلاح وتخرج لمواجهة الأعداء ومقاتلتهم دون أن تستأذن من زوجها أو وليها.

ولقد حدث مثل ذلك في الجهاد الأفغاني، فهذه فتاة أفغانية تسمَّى (فاطمة نوربي)، يدخل الروس في بيتها ويقتلون من فيه من الرجال، فما كان منها إلا أن امتشقت السلاح وواجهت به الروس، وأصلتهم ناراً، فقتلت عدداً مساوٍ لعدد من قتل من أهلها[١].

وهذه فتاة أفغانية تحلم بالشهادة والتضحية والفداء، فترى يوماً قافلة من الدبابات تحاصر المجاهدين في المسجد وكانت هذه الفتاة ستزف إلى عريسها بعد يومين، فدعت الله تعالى وقالت: (يا رب؛ إن أردت سوء بالمجاهدين فاجعلني فداء لهم). وخرجت تعرقل مسير الدبابات، فاستشهدت وبقي المجاهدون سالمون[٢].

٥ ـ الهجرة فراراً بالدين:

عندما تفقد المرأة الأفغانية زوجها وعائلها والمدافع عن عرضها؛ فإنها تضطر إلى الهجرة إلى قرية أخرى، أو بلد آخر فارة بدينها وعرضها وأولادها، ولكنها تلاقي في هذه الهجرة الشيء الكثير من التعب والألم والجوع والخوف والبرد والحر، بل والموت في كثير من الأحيان. هذا ما واجهته كثير من الأسر الأفغانية إن لم يكن أغلبها. وإليكم بعض النماذج في ذلك:

هذه امرأة تحمل رضيعها على كتفها وتسحب اثنين من أطفالها في سن السنة والسنتين، والرابع يمسك بذيل ثوبها وسنه ثلاث سنوات، وهي تنحدر من على الجبل، والثلج يغطي الطريق، والبرد قارس، فتعثَّر الطفل الذي كان

---

(١) آيات الرحمٰن في جهاد الأفغان ص١٥٩.

(٢) أفغانسان مقبرة الغزاة ص١٧٠.

ممسكاً بذيل ثوبها وجلس يبكي، فأرادت أن تسرع بأطفالها الثلاثة لتنزل بهم وتنقذهم من شدة البرد، ثم تعود لتحمل الرابع الذي تعثّرت قدمه في الجليد، فأودعت أطفالها الصغار عند السفح وصعدت مرة أخرى لتحمل ذلك الطفل، ولكن المفاجأة أذهلتها حينما وجدته قد تجمد وفارق الحياة، فحملته واحتضنته بين ذراعيها وهي تبكي، ونزلت به لتدفنه[1].

وهذه مأساة امرأة أخرى تقول فيها: عندما خرج الرجال للجهاد ولم يبق سوى النساء والأطفال والمقعدين من الرجال أغارت الطائرات على القرية، وأخذت تقصف الأهالي بوابل من القذائف، فلا ترى إلاّ حمم تلقى من السماء وبراكين تتفجر من الأرض. وهنا وقفت هذه المرأة الأفغانية المفجوعة في خوف ورعب لا تعرف أين تذهب، وبمن تستغيث، وعند من تودع أبناءها، فالكل في شغل عنها، فلم تجد أمامها إلاّ صخور الجبال التي أصبحت أحنى على أبنائها من قلوب كثير من المسلمين الغافلين عن أحوال إخوانهم، فتولّي هاربة صوب تلك الجبال حاملة أطفالها السبعة، تحمل أحدهم، وتمسك بالآخر، ويسير البقية أمامها، وفي الطريق تفقدت أطفالها فإذا بأحدهم ما زال موجود في القرية، فتعود بنظرها إلى القرية التي تتصاعد منها ألسنة اللهب، فتنظر إليها نظرة أسى وحزن وقلبها يتفطر بين جنبيها، هل تعود لتحضر ابنها وتفقد من معها؟ أو تتركه؟ ثم أسلمت أمرها إلى الله عزّ وجلّ فهو خير حافظ، ثم أكملت سيرها فهي تؤمن أن ابنها لو قدر له أن يبقى حياً فإنه سيبقى، وإن كان بين قذائف الأعداء التي تبيد كل شيء ولا تبقي شيء تنبض فيه روح. وبعد أربعة أيام خرج العدو من القرية بعد أن أحرقها وأفسد فيها وأهلك الحرث والنسل، وبعد أن قضت هذه المرأة الصابرة وأطفالها هذه الأيام بين الصخور الحارة الملتهبة بلا كساء ولا غذاء ولا شراب؛ عادت إلى قريتها والسكون يخيم عليها، وكل شبر فيها يشهد على ظلم الأعداء، وجبن المسلمين، فقد أضحى كل ما فيها رماد ودخان، ولا يتحرك شيء سوى ألسنة اللهب وأعمدة الدخان[2].

---

(١) أفغانستان مقبرة الغزاة ص١٨٣.

(٢) مجلة البنيان المرصوص العدد ٢٤ صفر ١٤٠٩هـ ـ ٥٦.

ولقد سجلت لنا الأديبة الأفغانية المسلمة (مرال معروف) في روايتها (الهجرة من أفغانستان)[1] جانب الهجرة من حركة الجهاد في أفغانستان، وهجرة النساء والفتيات المؤمنات من بلادهن وما فيها من قسوة الطريق، وظلم المعترضين الروس لهن، وفظائع الشيوعيين معهن. صورت لنا صبر أولئك المهاجرات وتحملهن المشاق والألم أملاً في نصر الله لدينه، وشوقاً لإقامة دولة الإسلام في أفغانستان. وهي أول رواية أفغانية تترجم إلى العربية، فقد قام الدكتور محمد حرب بهذه الترجمة وقدم لها.

* * *

ثالثاً: الصبر على الابتلاء والمحن

لقد كان للمرأة المسلمة عبر مسيرتها التاريخية، ومنذ بزوغ فجر الإسلام وحتى عصرنا هذا تحديات عظيمة في مواجهة الباطل وأهله، بل لقد كانت أول شهيدة في الإسلام الصحابية الجليلة سميَّة بنت خياط رضي الله عنها، التي قتلت بعد أن عذبت على أيدي مشركي قريش[2].

وأما في عصرنا الحاضر فقد ضربت لنا كثير من النساء المسلمات ممن تربين على مائدة الدعوة الإسلامية مواقف في الثبات على الحق والوقوف في وجه أهل الظلم والطغيان فأعادت لنا هؤلاء النسوة أمجاد الماضي العريق.

ولقد كان من نتائج موقفهن هذا أمام الظلمة والطغاة أن ابتلين بالمحن، فتعرضن للسجن والتعذيب. وكان شديداً لدرجة أن كثيراً من الرجال لم يقووا على تحمله، فما بالك بالنساء الضعيفات. وما كانت لهن جريمة إلا أنهن كن يعملن لخدمة الدعوة إلى الله، أو يساعدن الأسر المحتاجة، فيجمعن لهم التبرعات ويقضين حوائجهم، فاعتبر الظلمة ذلك أكبر جريمة تقترف على وجه الأرض، فأنزلوا بهن أشد أنواع الأذى والعذاب.

وبرغم ذلك إلا أن هؤلاء النسوة قد ثبتن على الحق وما زادهن إلا قوة

---

(١) طبعة دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) انظر ص٥٦.

ورسوخاً في العقيدة والتمسك بالدين، فكان ذلك أقوى صفعة توجه إلى وجوه أولئك الطغاة أعداء الله.

وإليكم نماذج لمواقف بعض أولئك النسوة المسلمات:

١ ـ هذه مدرِّسة أفغانية في إحدى المدارس الثانوية بكابل تقدم مساعدات لأسر الشهداء الذين سقطوا في ساحة الجهاد ضد أعداء الله الشيوعيين، فتجمع لهم التبرعات لتمسح بها دموعهم، وتشد من أزر الثكالى والأرامل، وعندما علمت مخابرات الحكومة الشيوعية بذلك اعتبرت هذا العمل جريمة كبيرة، فاعتقلتها وأودعتها السجن لمدة سنة ونصف. وعندما خرجت من السجن أرادت أن تلجأ إلى باكستان، فعلمت المخابرات بذلك واعتقلتها مرة أخرى، ولكنهم في هذه المرة استخدموا معها أسلوباً آخر، فبدأوا بضربها وتعذيبها حتى أغمي عليها، ثم رموها في غرفة مظلمة وبدأوا يسمعونها الموسيقى الصاخبة المزعجة المختلطة بصراخ المعذبين وآهاتهم واستغاثتهم بربهم، وبعد ذلك أخذوها إلى مكان آخر ووضعوها فوق طاولة وقيدوها، فأصبحت ممددة عليها، ثم أخذوا يضربونها، ثم لقد نقلت إلى حجرة أخرى وأخذوا ينتفون شعر رأسها ببطء، ووسط التعذيب يسألونها عن مكان المجاهدين فلا ترد عليهم، ثم أجبروها على الوقوف على قدم واحدة لمدة ست ساعات، وبعد كل فترة يأتون إليها ليسألوها نفس السؤال. لقد استمروا على ذلك لمدة ثلاثة عشر يوماً حتى أصبح الموت بالنسبة لها هو الراحة الوحيدة من ذلك العذاب، والأفظع من ذلك أنهم أتوا بإناء فيه مواد كيماوية حارقة وأجبروها على الوقوف فيه، فتآكلت قدمها. ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل نقلت إلى حجرة أخرى مظلمة تماماً وأغلق عليها الباب، فأخذت تتحسس الأرض وما حولها، فوجدتها عفنة، ووجدت فيها أصابع وأياد وشعر وبقايا جثث، وأطل عليها السجان فقال لها: هذه بقايا أصدقاؤك وسيكون لك نفس المصير.

لقد كان الوضع لا يحتمل أبداً ولولا رحمة الله تعالى بها لما صبرت كل هذا الصبر. وأخيراً نقلت إلى سجن النساء، فالتقت بأخوات لها وفرحت برؤيتهن، فخفف ذلك من آلامها الشيء الكثير مع ضيق المكان، فلقد كانت الغرفة لا تتسع إلا لخمسة أشخاص ولكنهم وضعوا فيها خمس عشرة امرأة،

ولكن ذلك يهون ما دام في سبيل الله تعالى ومع صحبة صالحة تعين على الثبات، ثم يفرج الله عليها وتتخلص من محنتها فيطلق سراحها، وسرعان ما تفر بدينها إلى باكستان لتكمل مسيرتها الجهادية[١].

٢ ـ وهذه امرأة أفغانية أخرى، كانت تجمع النساء في حلقات لتلاوة القرآن ومن خلالها تعمق معاني العزة والكرامة في نفوسهن، وتؤكد أن العزة لا تكون إلا في ظل السلاح والجهاد وليس بالاستكانة والذل والمهانة، لقد كان صوتها مدوٌ في الآذان، وكانت تردد دائماً: (إنكم ميتون لا محالة، فموتوا في ساحات الشرف تكسبوا آخرتكم. إن ما تلاقونه من عنت في ظل الاستكانة والمهانة أضعاف ما تلاقونه من عنت في ظل التضحية والفداء والجهاد).

فلما علمت مخابرات الحكومة الشيوعية بدور هذه المرأة وخطورته عليها اعتقلتها وألقت بها في غياهب السجن، وأنزلت بها العذاب الشديد الذي لا يطيقه بشر، ومع ذلك فقد كانت تردد وتقول: (لا نبالي بالمصائب والصعاب ما دام الدين في عز والإسلام في منعة. إلهي يا رب المستضعفين؛ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي. إلهي هذا الابتلاء منك وأنا راضية قريرة العين بكل ما قدرته لي، واحتسب عندك الأجر يا إلهي، فلا تحرمني جنتك فأنت رجائي). وما أن انتهت من مناجاتها لربها إلا وقد سبقها الجلاوزة الغلاظ فألهبوا جسدها بأسياط، ويأمروها بأن تكف عن تلك المناجاة، فتبادرهم بقولها: (لن يكف لساني حتى تزهق روحي. افعلوا ما شئتم فعسى أن يخفف ذلك من ذنوبي). فتنزل تلك الكلمات على أولئك الجلاوزة صاعقة محرقة، فيزدادوا حنقاً وغيظاً، ويزيدوا في تعذيبها، ولكنهم لا يستطيعون لها حيلة، وكل ما يفعلونه هو تعذيب الجسد الفاني، وأما الروح والقلب فهما متعلقان بالله عزّ وجلّ، وليس لهم عليهما سلطان. وأخيراً تنزل رحمة الله بها وتنقذها من أيديهم وترحمها من ذلك العذاب، وترتفع روحها إلى ربها عزّ وجلّ. لقد نالت الشهادة أخيراً، وتحققت أمنيتها[٢].

وفي مصر أرض الكنانة، ابتليت الحركة الإسلامية بمحنة عظيمة على يد

---

(١) أفغانستان مقبرة الغزاة ص٢٠٤.

(٢) المرجع السابق ص٢١٩.

الحكومة العسكرية في الخمسينات والستينات، فقد صب رجال هذه الحكومة بغضهم وحقدهم للدين على أهل الدعوة، ولم تقتصر هذه المحنة على الرجال فقط، بل لقد كان للنساء نصيب وافر منها أيضاً، ففي عام ١٩٦٥م زج بمئات من النساء في السجون والمعتقلات.

يقول الأستاذ جابر رزق رحمه الله: (كانت ذروة المأساة في محنة الإخوان سنة ١٩٦٥م هي الزج بالمئات من النساء المسلمات في زنزانات السجن الحربي وسجن القناطر ومركز الشرطة العسكرية بعابدين، واتخاذهن رهائن حتى يقبض على الرجال، أو وسائل ضغط وتحطيم لإرادة الرجال حتى يدلوا ويعترفوا بما يريده الطغاة من اعترافات مزيفة، يصنعون منها مؤامرة وهمية ليتخذوها سبباً في التدمير البشري للشباب المؤمن المجاهد من أبناء الدعوة الإسلامية في القرن العشرين. لقد كان رجال الشرطة العسكرية يلقون القبض على الأم التي جاوزت السبعين، وقد تكون عمياء ولا تقدر على الحركة، كما كانوا يقبضون على الحامل التي وضعت حملها من هول ما رأت، أو ماتت بحملها، وكانوا ينتزعون الأمهات من أحضان الصغار، وأخذوا العرائس في ليالي الزفاف، وقبضوا على فتيات صغيرات لم تتجاوز أعمارهن الثالثة عشر)[1].

وسوف نذكر بعض المواقف الإيمانية الصامدة لبعض النساء المسلمات المجاهدات اللاتي وقفن في ثبات وعزم في وجه الطغاة، ولما ابتلين بالسجن والتعذيب ما زادهن إلا ثباتاً ورسوخاً على العقيدة والدين.

١ ـ أولى هؤلاء النسوة المجاهدات هي الداعية المجاهدة زينب الغزالي[2]. وفي الحقيقة إننا لن نستطيع أن نذكر في دراستنا هذه كل ما لاقته

---

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر ص٥٧، دار الاعتصام، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) ولدت في الثاني من يناير عام ١٩١٧، تلقت العلوم الشرعية من مشايخ الأزهر في الحديث والفقه والتفسير، أسست جماعة السيدات المسلمات عام ١٩٣٧م، وأصدرت مجلة باسم الجماعة، ثم أغلقت عام ١٩٦٤م. التحقت بجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٨م قبل اغتيال المرشد حسن البنا، ولها مؤلفات عدة أهمها: أيام من حياتي.
انظر: المجلة العربية العدد ١٤٧ ص١٠٩ ربيع الثاني ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

من ابتلاءات ومحن، فهي ملحمة طويلة استمرت ست سنين، كانت مليئة بالأحداث والمواقف العجيبة التي لا يتصور العقل البشري حدوثها في القرن العشرين عصر التطور والتحضر. ولقد سجلتها بنفسها في كتابها المشهور (أيام من حياتي)[١]، لذلك فإننا سوف نختار بعضاً من تلك المواقف والأحداث.

إن أقل شيء أصيبت به هذه الداعية المجاهدة هو السب واللعن بأقبح وأقذع الألفاظ منذ اللحظة الأولى لدخولها السجن الحربي وحتى انتهى تعذيبها وتمت محاكمتها. وأما بالنسبة للتعذيب فلقد رأت منه ألواناً عديدة. ففي البداية أدخلت في غرفة مظلمة جداً، ثم أضيئت بمصابيح قوية كنوع من التعذيب، وكانت الغرفة مليئة بالكلاب. تقول زينب الغزالي: (أغمضت عيني ووضعت يدي على صدري من شدة الفزع، وسمعت باب الحجرة يغلق بالسلاسل والأقفال، وتعلقت الكلاب بكل جسمي، وأحسست أن أنيابها تغوص فيه. فتحت عيني من شدة الفزع وبسرعة أغمضتها لهول ما أرى، ووضعت يدي تحت إبطي وأخذت أتلو أسماء الله الحسنى مبتدئة بيا الله، يا الله، وأخذت أنتقل من اسم إلى اسم، فالكلاب تتسلق جسدي كله، أحس أن أنيابها في فروة رأسي، في كتفي، في ظهري، أحسها في صدري، في كل جسدي. أخذت أنادي ربي هاتفة: اللهم أشغلني بك عمن سواك، أشغلني بك يا إلهي، يا واحد يا أحد، يا فرد يا صمد، خذني من عالم الصورة، أشغلني عن هذه الأغيار[٢] كلها، أشغلني بك، أوقفني في حضرتك، أصبغني بسكينتك، ألبسني أردية محبتك، ارزقني الشهادة فيك، والحب والرضا بك، والمودة لك، وثبت الأقدام يا الله، أقدام الموحدين. كل هذا كنت أقوله بسري، فالكلاب ناشبة أنيابها في جسدي. مرت ساعات ثم فتح الباب وأخرجت من الحجرة، وكنت أتصور أن ثيابي البيضاء مغموسة في الدماء، ولكن يا لدهشتي! الثياب كأن لم يكن بها شيء! كأن ناباً واحداً لم ينشب في جسدي! فحمدت الله وشكرته على ذلك)[٣].

---

(١) لقد طبع عدة طبعات وبعدة لغات، ومن أراد معرفة تفاصيل ملحمتها فليرجع إليه.

(٢) المراد هو كل شيء غير الله تعالى.

(٣) بقليل من التصرف: أيام من حياتي ص٧٢، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

ثم ذُهب بها إلى زنزانة أخرى مظلمة أيضاً، وأضيء فيها مصباح قوي أيضاً، ثم طلبت من السجان أن يسمح لها بالذهاب إلى دورة المياه لتتوضأ، فقال لها: إن ذلك ممنوع، ولو طلبت مثل هذا الطلب مرة أخرى فسيكون عقابك خمسين جلدة. ولم يكن بتلك الزنزانة شيء لا للنوم ولا للجلوس، فلا سرير ولا كرسي، ولا حتى بطانية، ولما أرادت أن تستريح لم تجد غير معطفها لتفترش عليه وتريح جسدها قليلاً بعد ذلك التعب المنهك، ثم تيمّمت وصلت.

ثم يبدأ نوع جديد من التعذيب، فيؤتى ببعض شباب الدعوة ويعلقون على أعمدة خشبية بحيث تراهم زينب الغزالي وتسمع صوتهم، ويبدأون في تعذيبهم، ويسألونهم عن علاقتهم بها، فإذا لم يجيبوا بما يريدونه زادوا في ضربهم، بل ويطلبون منهم أن يسبوها، فمن استجاب لهم نجا، ومن رفض فالويل له. كل ذلك يحدث على مرأى ومسمع منها، فيتفطر قلبها كمداً على هؤلاء الفتية المؤمنة، ولكنها لما أدركت مراد أولئك الجلاوزة من عملهم هذا، حيث إنهم أرادوا أن يضعفوا عزيمتها ويفتُّوا من عضدها، حينها فكرت في الوسيلة التي تنجيها من ذلك، فلم تجد إلا التضرع إلى الله عزّ وجلّ، فأخذت تدعو ربها، وفي أثناء ذلك أخذتها سنة من النوم ورأت فيها رؤيا مباركة تقول عنها: (رأيت بحمد الله صحراء مترامية وإبلاً عليها هوادج كأنها صنعت من النور وفي كل هودج أربعة من الرجال كأنهم أيضاً وجوه نورانية، رأيتني خلف هذا السيل من الإبل في هذه الصحراء المترامية التي لا يحدها البصر، أقف خلف رجل عظيم مهيب وهو آخذ بخطام امتد في أعناق هذا السيل الجارف من الإبل التي لا يحصى عددها. أخذت أردد في سري: أيكون هذا هو النبي محمد ﷺ؟ فإذا به يجيبني: (أنت يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله). سألت: أنا يا سيدي يا رسول الله على قدم محمد عبد الله ورسوله؟! قال عليه الصلاة والسلام: «أنت يا زينب يا غزالي على قدم محمد عبد الله ورسوله». سألته ثانية: أنا يا حبيبي يا رسول الله على قدم محمد عبد الله ورسوله؟! قال عليه الصلاة والسلام: «أنتم يا زينب على الحق، أنتم يا زينب على الحق، أنتم يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله». وقمت من النوم وكأني ملكت الوجود بهذه الرؤيا، وأدهشني بعد ما نسيت ما أنا فيه وأين أنا، وإني لا أجد ألم السياط، فقد نقلت إلى مكان بعيد وأصبحت الأصوات تأتيني عن بعد.

ثم تيمَّمت وأخذت أصلي ركعات شكر لله على هذا العطاء، وفي إحدى سجداتي وجدتني أقول: (رب بم أشكرك؟ إني لا أجد ما أشكرك به إلا أن أجدد بيعتي لك. اللهم إني أبايعك على الشهادة في سبيلك. اللهم ثبتني على الحق الذي يرضيك، وأوقفني في دائرة الحق الذي يرضيك)(١).

لقد مضى عليها ستة أيام لم يسمح لها خلالها برؤية أحد، ومنع عنها الأكل والشرب، بل وحتى الذهاب إلى دورة المياه - التي لا يستغني عنها بشر - منعت منه، ومع ذلك فقد صبرت بعون من الله تعالى. وبعد ذلك سمح لها بالذهاب إلى دورة المياه، فلما وصلت إليها أمرها الحارس بعدم غلق الباب، فرفضت ذلك واستغنت عن حاجتها وعادت إلى زنزانتها(٢). فهل يتصور العقل السليم أن تبلغ الخسة والدناءة بأناس إلى هذه الدرجة من الانحطاط؟!

ثم بدا عليها الإعياء لعدم الأكل والشرب، فدخل عليها اثنان، قام أحدهما بالكشف عليها ثم انصرف قائلاً للآخر: إنها بحالة جيدة وقلبها سليم. ثم تؤخذ إلى ساحة في وسط السجن وتؤمر بالوقوف باتجاه الحائط، وعدم الحركة أو الالتفات، وقيل لها أن موعد قتلها سيكون في هذا اليوم، فلجأت إلى الله عزّ وجلّ تدعوه وتتلو آيات قرآنية حتى سكنت نفسها، ثم جاءها أحد الجلاوزة وصفعها على غفلة منها على وجهها صفعة قاسية، وتبع ذلك بضربات بالسوط على كل مكان من جسدها، وبعد فترة أعطاها ورقة وقلماً وأمرها أن تكتب أسماء جميع من تعرفه من الإخوان المسلمين وعلاقتها بكل واحد منهم(٣).

ويستمر الوضع على ما هو عليه عدة أيام، كانت خلالها تنقل من مكان إلى مكان، ومن مكتب إلى مكتب، ومن زنزانة إلى زنزانة أخرى، وفي كل مكان تلقى من الضرب الشيء الكثير، أقله مائة جلدة على جسمها الضعيف. وفي إحدى المرات قيِّدت يدها ورجلها في خشبة ثم علقت مثلما تعلق الذبيحة، وجلدت بصورة وحشية حتى كاد جسمها أن يتمزق إرباً إرباً(٤).

---

(١) بتصرف: أيام من حياتي ص٧٧.

(٢) المرجع السابق ص٧٩.

(٣) المرجع السابق ص٨٣.

(٤) المرجع نفسه ص٨٦.

ومرة أخرى تتعرض لنوع من التعذيب لا يقل فظاعة عما سبقه، فقد ألقوها في زنزانة مملوءة بالماء القذر وأمروها بالجلوس فيها، فأصبح الماء إلى أسفل ذقنها، وقد أمرت بعدم الحركة، بل لقد هددت بأنها ستعاقب على أي حركة تبدر منها بعدة جلدات أقلها عشر جلدات. وكان جميع جسمها قد امتلأ بسبب السياط بالجراح، فلما أصابها الماء زادت آلامها أضعاف ما كانت عليه قبل ذلك، وزيادة على ذلك أن السياط كانت تأتيها بين الفينة والأخرى من كل صوب[1].

وبعد أيام خرجت من تلك الزنزانة وأدخلت في زنزانة أخرى، وكانوا قد أعدوا لها مفاجأة، بل جريمة أبشع مما سبقها، فقد جنَّدوا شخصاً ليقوم لهم بمهمة خبيثة؛ وهي الاعتداء على عرضها، وقد كان كالمارد لشدة سواده وضخامة جسمه، فلما دخل عليها وعلمت غرضه لجأت إلى الله عزّ وجلّ وأخذت تدعوه بكل تضرع وخشوع أن ينقذها منه ومن كيد الظالمين، فاستجاب لها ربها عزّ وجلّ وحماها من ذلك الكيد، فألان قلب ذلك المارد وألقى في قلبه الخوف منه عزّ وجلّ، فلم يدنوا منها[2].

وأخيراً يأتي دور المحاكمة، ويا لها من محاكمة!! لقد كانت هزيلة جداً، فلقد كانت الأحكام جاهزة، وما هي إلا تمثيلية سخيفة يؤديها أشخاص هم للدمى أقرب من كونهم بشر يعقلون أو يحسون. ونطق بالحكم على الداعية المجاهدة بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة، فما كان منها إلا أن رفعت صوتها قائلة: (الله أكبر ولله الحمد، في سبيل الله دعوة الحق، دعوة الإسلام ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

ولكنها ـ ولله الحمد والمنة ـ لم تبق في السجن إلا ست سنين فقط، فقد أفرج عنها في العاشر من شهر أغسطس لعام ١٩٧١م[4].

هذا هو بعض ما لاقته هذه المرأة الداعية المجاهدة، وليعلم أن كل ما

---

(١) أيام من حياتي ص١٤١.
(٢) المرجع نفسه ص١٤٦.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.
(٤) أيام من حياتي ص٣٠٧.

ذكرناه ما هو إلا جزء يسير من تلك الملحمة الكبرى التي خاضتها هذه الداعية، ولولا خشية الإطالة لسردنا جميع تلك الأحداث والجرائم التي انتهكت في حق هذه الداعية من قبل الظالمين.

٢ ـ وهذه امرأة أخرى تسمَّى أم أحمد، قد جاوز عمرها الثمانين سنة، تُقتاد إلى السجن الحربي وتلقى فيه بتهمة معاونة الإخوان وإمدادهم بالمال والسلاح. وهل تستطيع امرأة في هذا السن أن تقوم بمثل هذه المهمة الصعبة؟! ويذهب بها إلى مكاتب التحقيق ـ وما أدراك ما مكاتب التحقيق؟! وتواجه بالتهمة، ويطلب منها الاعتراف بكل ما نسب إليها وإن كان بهتاناً مفترى، وزيادة في الضغط عليها؛ تهدد بالإعدام إن لم تعترف بذلك، ثم يزداد الضغط وتهدد بقتل ولدها وفلذة كبدها (أمين)، الذي اعتقل قبلها بعشر سنين وقتل دون أن يخبروها بذلك، فزاد الضغط على هذه الأم المسكينة التي لا حول لها ولا قوة، فاحتارت بين الاعتراف بعمل لا تعرف عنه شيئاً، فتنجو من التعذيب والقهر، أو تثبت فلا تقر لهم بما يريدونه منها وليفعلوا ما يفعلوا. وأخيراً اختارت موقف الثبات والرسوخ على الحق[1].

٣ ـ وأفظع ما قامت به تلك السلطة الباغية هي اقتياد أسر بكاملها وإلقاؤها في غياهب السجون والمعتقلات، لا لجريمة إلا صلتهم بأحد الدعاة والعاملين لخدمة هذا الدين. فها هي أسرة الأستاذ المرشد حسن الهضيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعتقل بأكملها، فقد اعتقلت زوجته أم أسامة[2] وابنتاها خالدة وعلية، بل لقد كانت علية في أيام حملها الأخيرة، وقد خرجت من السجن لتضع مولودها[3].

٤ ـ وهذه أسرة آل قطب تعتقل بكاملها أيضاً، فيقبض على نفيسة[4] التي

---

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر ص٦١.

(٢) سبق ذكرها ص١٤١. ولقد تقلدت زمام الأخوات المسلمات بعد تولي زوجها منصب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين.
انظر: الأخوات المسلمات ص٢٨٦.

(٣) مذابح الإخوان ص٦٤.

(٤) هي الأخت الكبرى لسيد قطب، وتكبره بثلاث سنوات، لها ابنان اثنان، الأول يسمَّى (رفعت) وقد استشهد في السجن أثناء التعذيب، والآخر يسمَّى (عزمي بكر) وقد سجن=

جاوزت الخامسة والستين من عمرها، وأمينة[1] التي بقيت في السجن فترة أطول من أختها نفيسة، وأما حميدة[2] فقد لفقت لها تهمة وقدمت إلى المحاكمة، وصدر ضدها حكم بعشر سنوات، قضت منها ست سنوات وأربعة أشهر بين السجن الحربي وسجن القناطر، وكانت ملازمة طوال مدة سجنها لزينب الغزالي.

هذا ما حدث في أرض الكنانة من فظائع على أيدي أولئك الطغاة، الذين لم يراعوا لله حرمة، ولا للسن احتراماً، ولا للضعف رقة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعاً: الجهاد بالمال

لقد تكلَّمنا فيما سبق عن مشاركة بعض الصحابيات في الجهاد بالمال والإنفاق في سبيل الله تعالى، وبينَّا أهمية ذلك في خدمة الدعوة الإسلامية، وذلك لإعداد الجيوش الإسلامية الفاتحة والناشرة لدين الله، أو الواقفة أمام زحف جيوش الأعداء والرادّة لكيدهم من ناحية، ومن ناحية أخرى الإنفاق على ذوي الحاجة والعوز من فقراء ومساكين المسلمين ليتم التكافل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء[3].

= وعذب ولكنه نجا من الموت ولله الحمد. شاركت إخوتها في خدمة الدعوة، ولكنها الوحيدة من بينهم التي لم يكن لها مشاركة أدبية.
انظر: سيد قطب الأديب الناقد لعبد الله خباص ص٨٣، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، وسيد قطب الشهيد الحي لصلاح الخالدي ص٦٢، مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

(١) الأخت الثانية لسيد، وتصغره بثلاث سنوات، شاركت إخوتها في الأعمال الأدبية، ومنها (الأطياف الأربعة)، ولها اهتمام خاص بالقصة ذات الصبغة الإسلامية، تزوجت من الأستاذ محمد كمال السنانيري عندما كان معتقلاً في السجن مع سيد قطب، وانتظرته حتى خرج في عام ١٩٧٣م، فدخل بها بعد عشرين عاماً من عقد قرانهما، ثم لقي ربه أثناء التعذيب عندما اعتقل في عام ١٩٨١م.
انظر: الأديب الناقد ص٨٣، والشهيد الحي ص٦٢.

(٢) أصغر أفراد العائلة، لها مشاركات أدبية مع إخوتها، وكانت تكتب في مجلتي (المسلمون)، و(الإخوان المسلمون). وقد تزوجت بعد خروجها من السجن الدكتور حمدي مسعود.
انظر: الشهيد الحي ص٦٧، والأديب الناقد ص٨٦.

(٣) انظر ص٧٣، ١٢١.

وفي العصر الحاضر أصبحت الدعوة الإسلامية في أمسّ الحاجة إلى مثل هذا الإنفاق وذلك لكثرة المشاكل التي تعانيها، وهي بحاجة ماسة إلى تعاون المرأة المسلمة ومساهمتها في ذلك، وخاصة الأثرياء والموسرين من نساء المسلمين. خاصة إذا علمنا أن أعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم يتفانون في خدمة دينهم، ويبذلون أغلى ما يملكون في سبيل نشره، رجالاً ونساء، بل قد تجد أن النساء أكثر تفانياً من الرجال في ذلك، فهذه امرأة راهبة نصرانية تدعى (تريزا) تنال في إحدى السنوات جائزة (نوبل) العالمية، وذلك لنجاحها في نشر رسالتها التنصيرية.

وقد قالت صحيفة (الرائد) التي تصدر في الهند: (إنها من مركز عملها في (كلكتا) منذ سنة ١٩٤٧م كانت تقوم بخدمات عظيمة في إغاثة المنكوبين ورعاية المرضى. وتقدر الجائزة بمليون ونصف المليون روبية هندية، وكان (السنياتور كينيدي)[١] قد رشح الراهبة عندما زار الهند في أثناء أزمة بنجلاديش واطلع على الجهود التي بذلتها لإسكان لاجئي باكستان الشرقية، وقد شاهد بنفسه نشاط الراهبة التي تعمل لنشر الدين المسيحي بين شتى الطبقات وبين البؤساء والمساكين والمضطهدين، وذلك عن طريق فتح المدارس والمستشفيات والملاجئ، ودور رعاية اللقطاء والأطفال المهجورين)[٢].

فإذا كان هذا الحال عند أهل الديانات الأخرى، فهو من باب أولى أن يوجد عند المسلمين ما يقابله، بل لا بد من أن يفوقه.

لذلك يجب على نساء المسلمين أن يبذلن أموالهن في الأمور الآتية:

١ ـ الدعم المادي للجهاد الإسلامي في بعض بلاد المسلمين، مثل: أفغانستان التي يحارب أهلها الشيوعية الملحدة منذ خمس عشرة سنة[٣]،

---

(١) أحد رؤوساء الولايات الأمريكية المتحدة السابقين.

(٢) هموم داعية لمحمد الغزالي ص١٤٣، دار القلم، سوريا ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) لقد منّ الله تعالى عليهم بالنصر وطردوا أعداء الله الروس والشيوعيين منها، ولكنهم الآن يعيشون في فتنة وصراع بين أحزابهم المختلفة، والتي نسأل الله تعالى أن يصفي قلوبهم ويرجع الوئام بينهم ويقيموا دولة الإسلام في أرضهم.

وفلسطين التي يعيش أهلها تحت نير الاحتلال اليهودي منذ أكثر من أربعين سنة، وكشمير وسيرلنكا التي يحارب أهلها الوثنية المتعصبة، والفلبين التي يواجه أهلها كيد النصرانية الصليبية. فكل أولئك بحاجة إلى الدعم المادي لشراء السلاح الذي يواجهون به أعداءهم.

٢ ـ المساعدة المادية للمحتاجين من الفقراء والمساكين والأرامل في البلد خاصة والعالم الإسلامي عامة. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار**»[١]، وفي رواية أخرى: «**وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»[٢].

٣ ـ كفالة اليتامى في بلاد المسلمين ممن فقدوا آباءهم وخاصة أبناء المجاهدين. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كافل اليتيم[٣]، له أو لغيره[٤] أنا وهو كهاتين في الجنة**»، وأشار الراوي بالسبابة والوسطى[٥]. وفي رواية أخرى عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**»[٦].

٤ ـ تقديم العون والمساعدة المادية للمنكوبين في البلاد الإسلامية ممن ابتلاهم الله عزّ وجلّ ببعض الكوارث، مثل: الفيضانات والأعاصير التي حدثت في بنغلاديش منذ فترة قصيرة، أو الزلازل التي حدثت في اليمن

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب (الساعي على الأرملة) ٥/٢٠٤٨، حديث ٥٠٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في النفقات، باب (النفقة على الأهل) ٥/٢٠٤٧، حديث ٥٠٣٨، ومسلم في الزهد والرقائق، باب (الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم) ٤/٢٢٩٦، حديث ٢٩٨٢.

(٣) هو القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وغير ذلك، لسان العرب ٣/٢٧٩، مادة (كفل) وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه، أو مال اليتيم بولاية شرعية، محمد فؤاد عبد الباقي.
انظر: حاشية صحيح مسلم.

(٤) «له أو لغيره»: الذي هو القريب لليتيم كالأم والجد والجدة والأخ والأخت والعم والعمة والخال والخالة، وغيرهم من الأقارب. أما الذي لغيره فهو الشخص الأجنبي عن اليتيم. محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) أخرجه مسلم في الموضع السابق، حديث ٢٩٨٣.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب، باب (فضل من يعول يتيماً) ٥/٢٠٣٦، حديث ٥٠٣٧.

وإيران، أو الجفاف الذي أصاب معظم الدول الأفريقية وما زال موجوداً في بعضها. ولقد قال رسول الله ﷺ فيما روي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه في الحديث المتفق عليه: **«ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو، تداعى[1] له سائر الجسد بالسهر والحمّى»**[2].

قال ابن حجر: (التعاطف المراد به إعانة بعضهم بعضاً)[3]. فلا بد من إعانة أولئك، فكلهم بحاجة إلى الطعام والشراب والمأوى المناسب والأدوية والتي تحتاج إلى الأموال الكثيرة.

٥ ـ تقديم العون والمساعدة للاجئين الذي يعيشون في المخيمات بعد أن فروا بأنفسهم من بلادهم بسبب الحروب والبطش، مثل: الأفغان الذين يعيشون في بيشاور بباكستان وفي إيران بعد الغزو الروسي لبلدهم، ويبلغ عددهم أكثر من ستة ملايين مهاجر، والفلسطينيون الذين هجُروا من بلدهم وطردوا، فلجأوا إلى الأردن ولبنان وغيرها من البلاد، والأكراد في العراق الذي فروا بأنفسهم إبان حرب الخليج خوفاً من بطش الجيش البعثي الكافر، وقد لجأوا إلى إيران وتركيا، وأهل البوسنة والهرسك[4].

٦ ـ دعم الجمعيات والمنظمات والهيئات الإسلامية التي تخدم الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم، مثل: رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وهيئة الإغاثة العالمية التابعة للمملكة العربية السعودية، وجمعية الإصلاح في كل من البحرين[5] والكويت والإمارات العربية

---

(١) تداعى: أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك، مثل قولك: تداعت الحيطان: أي تساقطت، أو قربت من التساقط، لسان العرب ٩٨٦/١، مادة (دعو).

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب (رحمة الناس بالبهائم) ٢٢٣٨/٥، حديث ٥٠٤٣ ومسلم في البر والصلة والآداب، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتراحمهم) ٤ / ١٩٩٩، حديث ٢٥٨٦، واللفظ له.

(٣) فتح الباري ٤٦/١٣.

(٤) لقد أصبحت هناك تسهيلات في المشاركة في مثل هذه الأوجه من الإنفاق وذلك عن طريق الهيئات والجمعيات الإسلامية الموجودة في أغلب بلاد المسلمين، مثل رابطة العالم الإسلامي والجمعيات الخيرية.

(٥) إضافة إلى الجمعية الإسلامية، وجمعية التربية الإسلامية.

المتحدة، والهيئة الخيرية العالمية، والإتحاد العالمي للمنظمات الطلابية في أمريكا وكندا.

٧ ـ المساهمة في بناء المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية في البلاد الإسلامية، مثلما قام به كثير من أهل الخير من أغنياء الخليج رجالاً ونساء.

* * *

خامساً: خدمة الدعوة بالقلم واللسان

من المجالات التي يمكن أن تساهم فيها المرأة المسلمة الداعية في خدمة الدعوة الإسلامية وخدمة بني جنسها من النساء والفتيات؛ المجالات الأدبية والشرعية كتأليف الكتب والقصص الهادفة، ونظم الشعر والنثر، والمشاركات الصحفية في المجلات والجرائد.

وللأسف الشديد أن جميع هذه الفنون والمجالات أصبحت في وقتنا الحاضر في أيدي أعداء الله من حملة الفكر العلماني الإباحي، أو اليساري الملحد. ولقد اتخذ هؤلاء المرأة سلعة تباع وتشترى، فاستغلت في الإعلانات التجارية لترويج البضائع بصورة منافية للأخلاق والدين، واستغلت في ترويج الأفكار المنحلة الخبيثة المستوردة من الغرب الإباحي والشرق الملحد، وأفسد بها المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال الكتب الهدامة التي تدعو في الظاهر إلى تحرير المرأة، وفي الحقيقة أنها تدعو إلى انحلالها وفسادها، ومثال على ذلك كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين. أو من خلال القصص الغرامية التي تدعو الشباب من ذكور وإناث لإقامة العلاقات الغرامية الآثمة فيما بينهم باسم الحب والصداقة، ومثل على ذلك (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ[١]، و(أين عمري) لإحسان عبد القدوس[٢]، أو من خلال الشعر الماجن الذي

---

(١) وله روايات أخرى مثل: همس الجنون، والسراب، والثلاثية: (بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية)، وبيت سيء السمعة، وثرثرة فوق النيل، وميرامار. وكلها روايات غرامية.

(٢) وله روايات أخرى مثل: عقلي وقلبي، ودمي ودموعي وابتسامتي، وفي بيتنا رجل، والنظارة السوداء، ولا أنام. وكلها روايات غرامية أيضاً.

يدعو إلى الإباحية كأشعار أدونيس، ونزار قباني، أو من خلال المجلات النسائية التي اقتصرت اهتماماتها على الأمور التافهة، مثل تتبع أخبار آخر الصيحات في موضة الفساتين وتسريحات الشعر ومكياج الوجه، وغيرها من الأمور التافهة التي تركز عليها تلك المجلات، مثل مجلة (سيدتي)[١]، و(أسرتي)[٢]، ومجلات أخرى اهتمت بتتبع أخبار أهل الفن من الممثلين والممثلات، مثل مجلة (الشبكة)، و(الموعد)[٣]. وأما الجرائد فالحال مشابه وإن كان بصورة أخف مما هو في المجلات.

لذلك يجب على المرأة الداعية أن تهتم بهذا الجانب الهام والخطير في الوقت نفسه، فلقد كان سبباً مباشراً في فساد المرأة والمجتمع، فلا بد من وجود نساء ملتزمات بتعاليم الإسلام يشاركن في مثل هذه المجالات والفنون ليأتين بالبديل، فنرى المؤلفات الملتزمات يؤلفن الكتب ذات المواضيع المتعلقة بالأمور التي تحتاجها المرأة المسلمة، مثل أحكام الطهارة، وواجباتها نحو دينها ومجتمعها، ونرى الكاتبات القصصيات يكتبن القصص الهادفة، ونرى الشاعرات ينظمن الشعر والنثر الإسلامي ليدافعن به عن الدين وأهله، ويسجلن مآثر وأمجاد الأمة الإسلامية، وبطولات رجالها ونسائها، ونرى الصحفيات يتابعن أخبار المسلمين وأحوالهم في كل مكان، ويكتبن المواضيع والتحقيقات الصحفية التي تهم المرأة المسلمة.

ولا نقصد من كلامنا هذا أن الساحة في هذا المجال قد خلت تماماً من وجود العنصر النسائي الملتزم[٤]، وإنما نقصد قلة عددهن، فهو غير كاف لتقديم البديل للفتاة والمرأة المسلمة، ولعله يكون بداية للمستقبل المرجو. وسوف نذكر أسماء بعض هذه الشخصيات اللاتي يمثلن العنصر الملتزم في هذا الجانب وبعض آثارهن.

---

(١) تصدرها مجموعة الشركة العربية السعودية للأبحاث والتسويق الدولية بلندن.

(٢) تصدر في الكويت.

(٣) تصدران في مصر.

(٤) وذلك إضافة إلى العنصر الرجالي الملتزم الذي يخدم في نفس المجال.

أولاً: التأليف:

١ - زينب الغزالي[1]:

لها عدة مؤلفات، وفي مواضيع مختلفة وهي:

١ - أيام من حياتي: الذي سطرت فيه ملحمتها في السجون والمعتقلات، وما لاقته من صنوف التعذيب طوال ست سنين.

٢ - نحو بعث جديد: تناولت فيه بعض الأمور التي يجب على الدعاة الانتباه لها إذا ما أرادوا إحياء الإسلام في النفوس وبعثه من جديد.

٣ - أسماء الله الحسنى.

٤ - لغريزة المرأة.

٥ - تفسير القرآن الكريم: بدأت فيه وقطعت شوطاً كبيراً وهو على وشك الانتهاء، وتركز فيه على الأمور المتعلقة بالمرأة المسلمة.

٢ - حنان لحام:

١ - أضواء على سورة يس.

٢ - من هدي سورة البقرة.

٣ - من هدي سورة النساء.

٤ - من هدي سورة لقمان.

٥ - من أخبار الصحابيات: سميَّة، وأم سليم، وأم حكيم.

٦ - ميلاد جديد: مجموعة قصصية.

٧ - الشمس والحرية: مجموعة قصصية.

٣ - د. نادية شريف العمري:

لها عدة كتب في أصول الفقه والثقافة الإسلامية، ومنها:

---

(١) سبق ذكرها ص١٧٦.

١ ـ القياس في التشريع الإسلامي.

٢ ـ الاجتهاد في الإسلام.

٣ ـ اجتهاد الرسول ﷺ.

٤ ـ أضواء على الثقافة الإسلامية.

٤ ـ أمل بنت عبد الله:

لها عدة مؤلفات موجهة إلى المرأة المسلمة وهي:

١ ـ رسالتي إلى المعاكسات.

٢ ـ إليك.

٣ ـ همسة في أذنك.

٤ ـ للمعتمرات فقط.

٥ ـ ثمان جلسات للمجتمع الإسلامي.

٥ ـ بنان الطنطاوي[١]:

١ ـ قبسات.

٢ ـ أدعية القرآن.

٣ ـ دور المرأة المسلمة.

٦ ـ أم القعقاع:

لها كتاب بعنوان: (أفغانستان مقبرة الغزاة). وقد سطَّرت فيه ملحمة الجهاد التي خاضها الشعب الأفغاني المسلم ضد أعداء الله الروس وأعوانهم

---

(١) ابنة الشيخ علي الطنطاوي، وزوجة الداعية عصام العطار. وقد هاجرت مع زوجها إلى ألمانيا لتسانده في تبليغ الدعوة. وفي يوم ١٧/٣/١٩٨١م دخل مجموعة من الرجال مجهولي الشخصية، وأطلقوا عليها خمس رصاصات ليردوها قتيلة ثم هربوا. مواقف نسائية مشرقة لنجيب خالد العامر ص٩٣، مكتبة البشرى الإسلامية، الكويت، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

من الأفغان الشيوعين الملاحدة. وقد أهدته إلى أرواح الشهداء. وقال عنه البروفسور الشيخ عبد رب الرسول سياف: (إني وجدت هذه الرسالة نافعة للذين يريدون أن تكون عندهم معلومات مفيدة عن الجهاد الأفغاني)[1].

٧ ـ د. سهيلة زين العابدين بن حماد:

١ ـ مسيرة المرأة السعودية إلى أين.

٢ ـ المرأة بين الإفراط والتفريط.

٨ ـ خيرية حسين طه:

لها كتاب صغير بعنوان: (دور الأم في تربية الطفل المسلم). وهو في الأصل بحث تكميلي تقدمت به لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٩ ـ كريمان حمزة[2]:

لها كتيب صغير بعنوان: (رفقا بالقوارير). تناولت فيه مكانة المرأة في الإسلام، ثم ذكرت بعض الأمراض الاجتماعية الموجودة في بلاد المسلمين مثل الاختلاط والتبرج.

١٠ ـ يمان السباعي:

١ ـ الراقصون على جراحنا: تناولت فيه بعض القضايا الاجتماعية والأخلاقية التي تتعلق بالمرأة، وهي على هيئة مقالات. ومن أبرز عناوينها ما يلي:

لماذا يرفضون الإسلام، المرأة المعاصرة والإسلام، عندما نسيء استعمال الحرية، ما قصتك يا مجلاتنا، حول قضية الحجاب، عندما ينقلب البناء إلى هدم.

---

(١) مقدمة الكتاب.

(٢) كانت مذيعة في التلفزيون المصري، وعندما لبست الحجاب الشرعي أرادت الظهور به على شاشة التلفزيون فمنعتها الإدارة من ذلك.

٢ ـ خواطر في زمن المحنة: سجلت فيه بعض الخواطر التي مرت بها في زمن محنة الدعوة الإسلامية.

١١ ـ د. سميرة محمد عمر جمجوم:

لها كتاب بعنوان: (المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم). وهو في الأصل أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة. وقد تناولت فيه صفات وأعمال المعوقين للدعوة في ذلك العهد، وهم: الوثنيون واليهود والنصارى والمنافقين.

١٢ ـ مهدية الزميلي:

لها كتاب واحد بعنوان: (المرأة المسلمة).

ثانياً: الصحافة:

١ ـ زينب الغزالي:

لقد كان لها مساهمات في مجلة الدعوة المصرية التي تصدرها جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وكانت تتناول مواضيع متنوعة، وكلها موجهة إلى المرأة المسلمة[١]. ومن أبرز عناوينها ما يلي:

١ ـ المرأة في الميزان.

٢ ـ دور المرأة المسلمة في عصرنا.

٣ ـ لماذا الجدل حول لباس المرأة.

٤ ـ تحديد النسل حقائق وأهداف.

٥ ـ هذه التنظيمات النسائية تهدم ولا تبني.

---

(١) الداعية زينب الغزالي: مسيرة جهاد وحديث من الذكريات من خلال كتاباتها، إعداد ابن الهاشمي، دار الاعتصام، مصر، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٢ ـ حميدة قطب[١]:

لقد كانت لها مساهمات في مجلة المسلمون ومجلة (الإخوان المسلمون) الصادرتين في مصر، وهي ذات مواضيع متنوعة تخص المرأة المسلمة[٢].

٣ ـ مجلة (ذات النطاقين):

هي تجربة فريدة من نوعها في العمل الصحفي النسائي الجماعي الملتزم. وهي مجلة إسلامية نسائية شهرية تصدرها اللجنة النسائية التابعة لمكتب خدمات المجاهدين في بيشاور بباكستان والذي أسسه د. عبد الله عزام رحمه الله تعالى[٣]. وهي المجلة التي تنقل صوت الأخوات الصابرات اللواتي خرجن مع ذويهن لينلن شرف المشاركة في الجهاد العظيم[٤]. ومن ضمن الأقلام المشاركة فيها أم الحسن المقدسي، كبرى بنات د. عبد الله عزام رحمه الله تعالى.

ثالثاً: الشعر:

لقد بحثت في كثير من المراجع التي تتناول شعر الدعوة الإسلامية وشعرائها المعاصرين، فلم أجد للمرأة المسلمة الداعية أي مشاركة بارزة في هذا المجال؛ إلا امرأة واحدة فقط، مما يدل على مدى التقصير عند المرأة المسلمة في مثل هذا المجال الهام بالنسبة للدعوة، وذلك خلافاً لما كان عليه نساء الصحابة رضي الله عنهن، اللاتي ذكرنا فيما سبق بعض النماذج لهن[٥].

والمرأة الوحيدة التي وجدت لها مشاركة في هذا المجال هي:

أمينة قطب:

لها مجموعة من القصائد جمعتها في ديوان بعنوان: (رسائل إلى شهيد)

---

(١) سبق ذكرها ص١٨٢.

(٢) الأديب الناقد ص٨٦، والشهيد الحي ص٦٧.

(٣) صدر العدد الأول في شهر يناير سنة ١٩٩٠م.

(٤) كلمة العدد للمجلة. العدد الثاني فبراير ١٩٩٠م.

(٥) انظر ص١٢٤.

تهديه إلى زوجها محمد كمال السنانيري رحمه الله الذي لقي ربَّه شهيداً ـ كذلك نحسبه والله حسيبه ـ في السجن في السادس من نوفمبر عام ١٩٨١م. وسوف نختار بعض الأبيات الواردة في هذا الديوان.

تقول في قصيدة رثاء لزوجها ـ وذلك بعد مرور عام على استشهاده[1]:

قبل عام لم يكن في خاطري | ما توارى خلف ستر وحجاب
لم أكن أدري بأيامي التي | أقبلت تركض من بين الضباب
كنت أحيا بأماني التي | صاغها القلب من النور المذاب
كنت أنسى من ضياها أنها | سوف تمضي مثل أمواج السراب

وتقول في قصيدة أخرى[2] مهداة إلى الشباب المجاهد:

فجأة دوى نذير لطغاة | يعلن الحرب على كل الدعاة
إنه طغيان كفر مقبل | وضلال لعبيد، وبغاة
فانبرى جندٌ لدينٍ وحُماةٌ | لا يضنون بجُهدٍ أو حياةِ
هتفوا بالخانعين: استغفروا | دافعوا عن حُرُماتٍ وصَلاةِ

وتقول في قصيدة ثالثة[3] مهداة إلى خالد الإسلامبولي ومن حوكم معه:

زغردي يا سماءُ | واصدحي بالنشيدِ
حان وقتُ الوفاءِ | للعلا والخلودِ
زمرةٌ من شبابِ | يفضحون العبيدِ
قاتلي الأبرياءَ | لحسابِ اليهودِ
عصبةٌ من شباب | أقبلوا من بعيدِ
يُعرضون الوفاءَ | للإلهِ المَجيدِ.
بدماءِ الفداءِ | يبتغون الخلود

(١) رسائل إلى شهيد ص٦٤، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) قصيدة: في الطريق الطويل. الديوان ص٧٩.

(٣) قصيدة: أنشودة الشهداء. الديوان ص٩٩.

١ ـ حكم عمل المرأة في الجمعيات الخيرية وأدلته:

إن هذا الميدان لم يكن موجوداً في عهد الرسول ﷺ ولا في حياة السلف الصالح، فلم يكن هناك أي تجمع للنساء للعمل في الدعوة إلى الله، وهذه الجمعيات لم تعرف إلا في وقتنا الحاضر، لذلك لا نجد لها في كتب الفقه المعتمدة حكماً مباشراً، فهي من الأمور المستحدثة التي تحتاج إلى اجتهاد. ولكي نصل إلى الحكم الصحيح يجب أن نعرض هذا الأمر على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ مع ذكر أقوال العلماء الثقات إن وجدت، فإن رأيناه موافقاً لذلك حكمنا عليه بالجواز وإلا رددناه.

القرآن الكريم:

عندما نتمعن في حقيقة الجمعيات الخيرية نرى أنها عبارة عن عمل جماعي يشترك فيه مجموعة من الناس لتأدية بعض الخدمات الاجتماعية للمجتمع الذي يعيشون فيه، أي فيه تعاون على فعل الخير للآخرين، وهو أمر حث عليه ديننا الحنيف، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[١]. ففي هذه الآية دليل على مشروعية التجمع والدعوة الجماعية، بل وجوبها إذا كان البر لا يتم تحصيله بدون ذلك، وقد أشار الإمام أبو حنيفة رحمه الله على ما رواه أبو بكر الجصاص إلى ضرورة التجمع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه الجهود الجماعية لتحقيق المقصود[٢].

ولقد ذكرنا سابقاً[٣] أن النصوص الواردة في وجوب القيام بالدعوة نصوص عامة، ليس فيها تخصيص لجنس معين، و(القاعدة في واجبات المرأة كالقاعدة في حقوقها، فهي كالرجل إلا فيما يختلفان فيه مما هو مناط التكليف)[٤].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص٣٠١.

(٣) انظر ص٤١.

(٤) المرجع السابق ص١١٧.

السنة النبوية:

يقول الرسول ﷺ: «**من أراد بُحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**»[1]. (لقد حدَّد الحديث أن المراد بالجماعة هم الملتقون في الله المؤتلفون على دينه، مهما كان عدد الجماعة ضئيلاً، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد. وأشد ما تكون حاجة الناس إلى الجماعة عندما يعم الفساد ويطغى الباطل)[2]. وقال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالجماعة فإن الذئب يأكل من الغنم القاصية**»[3].

ولقد مرَّ معنا فيما سبق أن كثيراً من نساء الصحابة شاركن في بعض الأعمال الجماعية التي تتصل بالدعوة، مثل مشاركة أسماء ذات النطاقين[4] رضي الله عنها في الإعداد لهجرة الرسول ﷺ، ومشاركة أم عمارة وأسماء بنت عمر بن عدي في بيعة العقبة الثانية[5]، هي دليل على جواز اشتراك المرأة المسلمة في العمل الإسلامي.

الواقع المعاصر:

إن الاستشهاد بالواقع المعاصر لا يعني تسيير الأحكام الشرعية وفق ما نعيشه من واقع، فلا يمكن تحكيم الشرع بالواقع، بل إن الواقع هو الذي يحكَّم بالشرع، وما استدلالنا به إلا لموافقته لما ورد في الكتاب والسنة. وهذه هي الأدلة:

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن، باب (ما جاء في لزوم الجماعة) ٤/ ٤٦٥، حديث ٢١٦٥، وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصحّحه الألباني، صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٣٢، حديث ١٧٥٨.

(٢) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية لصادق أمين ص٣٠، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان ١٩٧٨م.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب (التشديد في ترك الجماعة) ١/ ٣٧٠، حديث ٥٤٧، بلفظ (عليك)، وحسّنه الألباني، صحيح سنن أبي داود ١/ ١٠٩، حديث ٥١١. والنسائي في الإمامة، باب (التشديد في ترك الجماعة) ٢/ ١٠٧، حديث ٨٤٨، واللفظ له.

(٤) انظر ص٧٤.

(٥) انظر ص٧٧.

١ ـ إن العمل الفردي لا يمكن أن يأتي ثماره كالعمل الجماعي الذي تتجمع فيه الطاقات، فيكون أقوى تأثيراً. (إن التنظيم الحركي من شأنه أن يستوعب الطاقات الفردية ويوجّهها ويختزن القوى المتفرقة، وينمّيها لتصبح على مر الزمن تياراً قوياً هادراً له أثره ومفعوله)[1].

٢ ـ إننا نعيش في عصر يسود فيه التخطيط والتنظيم لجميع الجهود خاصة عند أعداء الإسلام الذين يعدّون العنصر النسائي إعداداً تنظيمياً، فلا يمكن أن يجابه ذلك إلاً بأسلوب مماثل له، بشرط موافقته للشرع. ونرى أن أصحاب الأفكار المعادية للإسلام قد سبقونا في ذلك، يساعدهم على ذلك إباحة الاختلاط عندهم والسفور، ويمنعنا من مجاراتهم الالتزام بالحدود الشرعية، ولكن لا يعني ذلك انغلاق كل المجالات أمامنا، فمن الممكن الاستفادة من الطاقات النسائية لتضاف إلى جهود الدعاة، ما دامت في حدود الشرع، ولا يجوز أن تحجبنا الأعراف الزائدة عن مقدار الواجب الشرعي من مباحات من المجالات المساهمة النسائية في الخطط العامة، أو إظهار أسمائهن الصريحة في المجتمع أديبات وصحفيات ومؤرخات ومحصيات ومحلّلات للتطورات السياسية، وذلك لخدمة النساء خاصة، طالما أنهن ملتزمات بالحجاب الشرعي ومتعففات ويؤدين مساهمتهن من خلال عملهن الخاص البعيد على الاختلاط بالرجال، وعن طريق جمعياتهن ونواديهن الخاصة بهن[2].

٣ ـ إن تأثير المرأة اليوم في المجال الفكري والسياسي والاجتماعي تأثير قاصر، بل يكاد يكون معدوماً، لذلك لا بد من وجود امرأة في مستوى القيادة[3] لتخطط للنساء لمعرفتها بما يصلح لبنات جنسها، ولا بد من وجود امرأة تفكر وتكتب وتربي وتدبِّر، وامرأة صحفية، وطالبة، وعاملة في

---

(١) الإسلام فكرة وحركة وانقلاب لفتحي يكن ص٤١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) انظر: رسائل إلى المرأة المسلمة لخالد الحمادي ص٣١، دار قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) بمعنى المسؤولية.

المجالات الخاصة بالنساء، وكل هؤلاء لا يمكن أن يؤدين عملاً مثمراً يخدم الدعوة الإسلامية بصورة مجدية إلاّ من خلال عمل جماعي منظم[1].

ولست أعني من ذلك تكوين جمعية معينة خاصة بالنساء، وإنما أعني إيجاد عمل دعوي يجمع هذه الطاقات ويوجّهها في المسار الصحيح، كتخصيص مكان خاص بهن في الجمعيات الخيرية الإسلامية، ليمارسن فيه الأنشطة المناسبة لهن في شتى المجالات، وفي نفس الوقت يقمن ببعض الأعمال الخيرية التي تخدم الإسلام والمسلمين.

ويتبين لنا مما سبق الآتي:

١ ـ أن الاجتماع شرع للمصلحة، والتفرقة حرّمت للمفسدة، فالمشروعية والتحريم دائمان بدوام المصلحة والمفسدة، فكل ما يعرض أو يستجد من أمر للمسلمين في كل زمان ومكان من اجتماع للصالح العام فهو أمر مشروع، ينادي به الإسلام ولا يعارضه. لذلك كانت مشاركة المرأة في هذا العمل الدعوي الجماعي من خلال الجمعية عملاً مشروعاً، لما فيه من مصلحة للدعوة الإسلامية.

٢ ـ العمل النسائي الجماعي أسرع في التأثير وجلب الأنصار من العمل الفردي، لما فيه من متابعة واتصال، بينما يذوب ذلك في العمل الفردي لأي ظرف من الظروف.

٣ ـ العمل الجماعي أقوى من العمل الفردي لما فيه من تعاون وتناصح وتبادل للآراء والمقترحات، وهو بذلك أثبت وأكمل من العمل الفردي القائم على جهد ورأي شخص واحد فقط[2].

ولكي نثبت صحة ما نقول؛ سوف نجري دراسة ميدانية لأحد المراكز النسائية في إحدى الجمعيات الإسلامية في منطقة الخليج العربي، والتي اهتمت بخدمة الإسلام والمسلمين.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص٢٦.




الفصل الثاني

مركز النساء بجمعية الإصلاح في دولة البحرين
تجربة واقعية للعمل النسائي الدعوي

المبحث الأول: مركز النساء بجمعية الإصلاح.

المبحث الثاني: أثر هذا المركز على المجتمع البحريني.

المبحث الثالث: علاقة المركز بالجمعيات والأقسام النسائية داخل البحرين وخارجها.

المبحث الرابع: التقويم العام.




مركز النساء بجمعية الإصلاح في دولة البحرين
تجربة واقعية للعمل النسائي الجماعي في الدعوة إلى الله

تمهيد:

لقد كانت دول الخليج العربي ومن ضمنها البحرين تعيش انفتاحاً فكرياً طوال العصور، وقد تعمَّقت هذه الحركة واتخذت أبعاداً جديدة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ساعد على ذلك الموقع الجغرافي والظروف الاقتصادية، حيث هيَّأت لها فرص الاتصال بأشقائها والاحتكاك بدول العالم الأخرى. فتجارة اللؤلؤ دفعتهم لعبور المناطق البعيدة كالهند وفرنسا ومصر، كما أن الأسفار والزيارات التي قام بها رجال الفكر والثقافة في مطلع هذا القرن لبعض الدول العربية والإسلامية؛ وخاصة موسم الحج الذي أتاح لهم فرص الاجتماع بشخصيات عربية وإسلامية تتبنى حركات إصلاحية كان لها دورها الفعال.

ومن العوامل المؤثرة في دفع تلك النهضة؛ الصحافة العربية، إذ كان لها صدى واسعاً في نفوس أبناء البحرين بما كانت تثيره على صفحاتها من معارك وصراعات بين القديم المحافظ على دينه وعاداته وتقاليده، وبين الجديد الوافد بالأفكار والعادات الغربية المتأثرة بالحضارة الغربية. كل ذلك كان عاملاً إيجابياً في تنمية الثقافة وجعل الشباب يتفاعل مع الأفكار الجديدة، كما نبَّهت العديد من رجالاتها بضرورة الأخذ بمظاهر النهضة الجديدة لمسايرة ركب الحياة الحديثة[١].

---

(١) المقصود الأمور المفيدة من العلوم المتطورة وليست الأفكار الفاسدة التي تدعو إلى نبذ الدين، ولا السلوك المنحل الذي يدعو إلى الفاحشة والفساد.

وقد عبَّر كثير منهم عن هذه الأفكار في أماكن لقاءاتهم، وكانت المجالس البيتية التي تعقد فيها الأمسيات ـ والتي كانت منتشرة في جميع الأحياء ـ أهم أماكن اجتماعاتهم. يلتقي فيها الشعراء والأدباء بأصدقائهم، ينشدون الأشعار ويتبادلون الآراء، وتدور أكثرها حول مظاهر الحياة الحديثة، كما يطرحون أفكارهم التي تظهر رغبتهم في الإصلاح[1].

لقد كانت هذه المجالس في مطلع القرن العشرين بمثابة الأندية، بل إن منها قد انبعثت فكرة الشباب بتأسيس أماكن أنسب منها للقاءاتهم، وليجعلوها منطلقاً لنشر أفكارهم، والتصدي للدعوات الهدامة، ومن ثم اتجهوا لتأسيس الأندية.

ولقد كان لهذه الأندية دوراً فعالاً في تعميق الحركة الثقافية والأدبية في البحرين وخاصة في الفترات الأولى، إذ حاولت منذ تأسيسها أن تواكب النهضة الفكرية وتدعمها، وأن تكون الرافد الحيوي لها، وساعدت على تكوين مناخ ثقافي أدبي خصب، أفرز العديد من المواهب التي ما زالت معالم رئيسة في النهضة الحالية. ففي مجال الثقافة كانت الداعية الأولى لمحو الأمية والقضاء على الجهل، وكانت لندواتها ومحاضراتها التي تناولت مختلف المعرفة أكبر الأثر في بث الوعي الاجتماعي والثقافي، فكانت تتخير الموضوعات الضرورية لمتطلبات المجتمع وتركز عليها، كما لفتت الأنظار إلى الأمراض الاجتماعية ودعت لمحاربتها، ومما زاد في فعالية تلك المحاضرات؛ نشر الصحف المحلية للكثير منها وخاصة ذات القيمة الاجتماعية والفكرية[2].

لقد كانت هذه الأندية مصدر إشعاع فكري استقطب معظم الشباب المتعطش للمعرفة، وأصبحت الملتقى الأمثل لتجمعاتهم وملء فراغهم بزاد فكري رفيع[3]، كما امتصَّت طاقاتهم ووجَّهتها الوجهة الصحيحة، فأفسحت المجال لصقل المواهب الفنية بتشجيعها على إبراز إنتاجها وكفاءاتها، وهيأت

---

(١) بتصرف: لمحات من الخليج العربي لمحمد جابر الأنصاري ص١٠، الشركة العربية للوكالات والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

(٢) بتصرف: دراسات في أدب البحرين لأنيسة أحمد خليل المنصور ص١٢٩، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ معهد البحوث والدراسات العربية، مصر ١٩٧٩م.

(٣) وبعض هذه النوادي يملأ الفراغ بالفكر الهابط المتأثر بالفكر الغربي العلماني الإباحي، أو الشرقي الملحد.

لأعضائها فرصة اللقاء بالعديد من الشخصيات الأدبية المهتمة بشؤون الإصلاح والثقافة والتي تفوقهم خبرة وتجربة. وكانت فرصة طيبة ساعدت على الاحتكاك المثمر، وتبادل الرأي، وتوسيع قاعدة التعارف على الأدب المحلي. كما كانت لتلك اللقاءات أهميتها في إثراء وتنشيط حركة الفكر عامة والأدب بوجه خاص. ولقد كان لها أكبر الأثر في تطوير الحركة الأدبية بإتاحة الفرصة للمهتمين بهذه الناحية على الإصلاح على مختلف التيارات والاتجاهات الأدبية ومناقشتها وتبادل الرأي حولها[1].

ومن هذه الأندية (نادي الطلبة الخليفي) الذي أسسه مجموعة من طلاب مدرسة الهداية الخليفية[2] بمدينة المحرق[3]، جمعتهم زمالة الدراسة ووحدة الفكر والهدف المتميز بالاستقامة، ودفعهم الشعور بالمسؤولية في نشر الثقافة الإسلامية، وقد شجعهم على ذلك أحد المدرسين العاملين في المدرسة نفسها، ويسمى (يوسف الحموري)[4]. وكان ذلك في ربيع الثاني عام ١٣٦٠هـ الموافق لشهر مايو عام ١٩٤١م. وكان هدف هذا النادي خدمة الثقافة الإسلامية، وتعزيز الروابط ضمن إطار ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف[5].

وقد تطورت أهدافه، واتسعت مجالات العمل أمام القائمين عليه، فقدّموا بعض نتاجهم للمجتمع متمثلاً في المحاضرات والندوات الفكرية، والمسرحيات الهادفة، ثم غيّروا اسم النادي من (نادي الطلبة الخليفي) إلى (نادي الإصلاح)، واتخذوا لهم شعاراً مميزاً، وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾[6]، وذلك في عام ١٣٦٧هـ الموافق لعام ١٩٤٨م[7]، وظل محتفظاً

---

(١) دراسات في أدب البحرين ص١٢٩.

(٢) أول مدرسة فتحت في البحرين، وكان ذلك عام ١٩١٩م.

(٣) عاصمة البحرين سابقاً.

(٤) مدرس فلسطيني، وقد استبعدته السلطات البريطانية الاستعمارية عن البحرين بسبب آرائه المناوئة لها.
انظر: دراسات في أدب البحرين ص١٢١.

(٥) المرجع السابق ص١٢٩.

(٦) سورة هود: الآية ٨٨.

(٧) جمعية الإصلاح في مسيرة الخير ص٤، إصدار جمعية الإصلاح ١٩٨٥م.

بهذا الاسم يمارس مختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية، وقد استطاع أن يستقطب نخبة من الشباب الصالح والواعي الذي ما لبث أن شارك في تسلم زمام القافلة ليواصل الطريق، ويعبر بها طريق النور والانطلاق بعزم وثبات وإيمان. وفي عام ١٤٠٠هـ تغير الاسم إلى (جمعية الإصلاح) وبقي عليه إلى يومنا هذا[١].

وأما بالنسبة للحالة الدينية، فقد كان المجتمع البحريني إلى منتصف القرن العشرين مجتمعاً محافظاً وخاصة النساء، فلم يكن يخرجن من بيوتهن إلا نادراً وللحاجة، وإذا ما خرجن فإنهن لا يخرجن إلا متسترات محتشمات[٢]. واستمر هذا الحال إلى نهاية الأربعينات.

وفي بداية الخمسينات شاهدت البحرين بعض الأحداث الهامة، كان لها أثراً كبيراً على تغير المجتمع البحريني وخاصة النساء، وهذه الأحداث هي:

١ ـ الحركة الوطنية الثورية[٣] التي اندلعت في البلاد ضد الاحتلال البريطاني، ويتمثل تأثير هذه الحركة في اشتراك المرأة البحرينية ولأول مرة في التظاهرات السياسية، وفي إحدى هذه التظاهرات قامت إحدى طالبات المرحلة الثانوية بنزع عباءتها وخمارها وإلقائهما على الجماهير، ثم وقفت تخطب فيهم معلنة أمامهم تحررها من ذلك القيد المتمثل في الحجاب[٤] ـ والعياذ بالله، لتكون أول من بدأ في الإعلان والجهر بالتبرج في ذلك المجتمع المحافظ.

٢ ـ ابتعاث أول دفعة من الفتيات لإكمال دراستهن في الخارج[٥]، وذلك

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) كان لباسهن عبارة عن عباءة وخمار أسودان.

(٣) لقد كان المحرك لهذه الحركة هم الشباب الوطنيون المتأثرون بالأفكار المتعارضة مع الدين الإسلامي.

(٤) دراسات عن أوضاع المرأة في الكويت والخليج العربي ص١٨٣، الجمعية الثقافية النسائية، الكويت.

(٥) لقد بدأ تعليم البنات عام ١٩٢٨م.
انظر: المرجع السابق.

في جامعات بيروت والقاهرة[١]. ولقد دخلت هؤلاء الطالبات بشكل مباشر في احتكاك بالمجتمعات الجديدة ذات الأنماط المختلفة في الحياة والفكر[٢]، فتأثرن بما حولهن من فساد وتبرج واختلاط، فنزعن الحجاب، وجلسن بمحاذاة الرجال في مقاعد الدراسة. وعندما رجعن إلى بلدهن نقلن هذا السلوك السيء إلى المجتمع البحريني، فتأثرت بهن فتيات المجتمع وأصبحن يقلدنهن، فانتشر بينهن ذلك السلوك بصورة كبيرة وسريعة[٣].

٣ ـ الكتابات والمقالات التي كانت تنشر في المجلات والجرائد آنذاك، والتي تدعو ظاهرياً إلى تحرير المرأة، وحقيقة أنها تدعو إلى إفسادها وانحلالها من الأخلاق والدين، ومن ثم إفساد المجتمع الإسلامي بأسره[٤].

كل ذلك كان سبباً في انتشار الفساد في صفوف نساء المجتمع البحريني، وخاصة المتعلمات، حتى أصبح المجتمع في بداية السبعينات لا تكاد ترى فيه من يتمسك بالحجاب واللباس الساتر إلا كبار السن من الأمهات[٥].

* * *

(١) لقد كان هناك بعض الفتيات اللاتي سافرن إلى الخارج للدراسة قبل هذا التاريخ، ولكن ذلك لم يكن ضمن البعثات المنظمة من قبل الدولة.
انظر: المرجع السابق.

(٢) لقد كانت تلك الدولتان من أوائل الدول العربية المتأثرة بالأفكار والأخلاق الغربية والشرقية الفاسدة.

(٣) دراسات عن أوضاع المرأة في الكويت والخليج العربي ص١٨٣.

(٤) دراسات في أدب البحرين ص٨٠، موضوع (المرأة في صحافة البحرين).

(٥) نقلا عن بعض الشخصيات التي عاصرت هذه المرحلة، ومنهم مسؤول قسم النساء بجمعية الإصلاح.

المبحث الأول
مركز النساء في جمعية الإصلاح بالبحرين

أولاً: الفكرة والافتتاح.

ثانياً: الأهداف.

ثالثاً: اللجان العاملة وأنشطتها.

* * *

أولاً: الفكرة والافتتاح

لقد رأى الشباب الملتزم من أعضاء نادي الإصلاح ذلك الفساد المتفشي في نساء المجتمع، فرأوا أنه لا بد من الوقوف أمامه ومحاولة القضاء عليه، ففكروا في الأساليب والطرق المناسبة لمواجهة هذا الفساد، وانتهى بهم التفكير إلى إيجاد عناصر نسائية ذوات فكر إسلامي صحيح يعملن في صفوف النساء والطالبات، فيؤثرن عليهن من خلال نشر الفكر والثقافة والتعاليم الإسلامية الصحيحة. وقد تحقق ذلك عام ١٩٧١م، عندما بدأ النشاط النسائي التابع للنادي عمله ونشاطه في صفوف طالبات المدارس[١]، وكان عدد العاملات فيه قليلاً جداً، وهن من الطالبات والمدرِّسات.

وبعد أن ظهرت بعض نتائج هذا العمل المتواضع، أدرك أعداء الله خطر هذا العمل عليهن، فشنوا عليهن الحرب الشعواء، وأوعزوا إلى عملائهم أصحاب الأقلام المأجورة المسمومة، فنزلت الكتابات والمقالات المملوءة

---

(١) بدأ العمل على أكتاف الطالبات اللاتي درسن وتخرّجن من جامعة الكويت، بعد أن تأثرن بالصحوة الإسلامية هناك.

بالسخرية والتهكم على أولئك الداعيات عبر الجرائد والمجلات، ورُمين بالتخلف والرجعية ومحاربة التقدم الحضاري، ولكنهن - ولله الحمد ومع قلتهن - ثبتن أمام كل ذلك، فواصلن طريقهن في عزم وثبات، وزاد نشاطهن شيئاً فشيئاً، فبدأن بتكوين وتوطيد العلاقات مع الطالبات، ثم دعوتهن للحضور إلى الدروس المقامة في النادي والمساجد، وكانت هذه الدروس في العلوم الشرعية، وتقوم بتدريسها بعض المدرسات التابعات للنادي. ولم يكن للنساء في ذلك الوقت مكان مخصص في النادي وذلك لصغر حجمه، وإنما كانت تخصص لهن بعض الأوقات ليستخدمن المقر بأكمله.

وعندما انتقلت الجمعية إلى مقرها الجديد وذلك عام ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨٢م بمدينة المحرق أيضاً، خصص جناح كامل منفصل عن مركز الرجال ليكون مركزاً خاصاً للنشاط النسائي، وسمي (مركز النساء). وبدأ العمل فيه في نفس السنة، وكان يضم ثلاث لجان وهي: الثقافية، والاجتماعية، والفنية، ثم أضيفت بعد ذلك لجنة رابعة وهي لجنة العلاقات العامة(١).

* * *

ثانياً: الأهداف

إن الأهداف التي قام عليها هذا المركز منبثقة من الأهداف التي قامت عليها جمعية الإصلاح التي يتبعها هذا المركز، والتي اتخذت من قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾(٢)، وهي:

١ - التلاقي والالتفاف حول الدعوة للإصلاح، وإن تعاليم الدين الحنيف هي قواعد الإصلاح.

٢ - تقوية أواصر الأخوة والتضامن والتعاون بين أبناء البحرين خاصة وشعوب الأمة الإسلامية عامة.

٣ - توجيه المرأة المسلمة لتؤدي دورها الرئيس في الأسرة والمجتمع المتمثل في

---

(١) بتصرف: ومضات مشرقة نحو درب الخير والعطاء لمركز النساء ص٥.

(٢) سورة هود: الآية ٨٨.

تربية النشء، وإتاحة المجال أمامها لتمارس النشاطات المختلفة التي تناسب فطرتها، وتنمي وعيها، وتقوي عقيدتها في ظل المثل الإسلامية السامية.

٤ ـ بث الوعي الإسلامي فكرياً وثقافياً واجتماعياً بين نساء المجتمع.

٥ ـ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٦ ـ القيام بجميع أعمال الخير والبر والإسهام في دعم المنكوبين والمتضررين في العالم الإسلامي.

٧ ـ الإسهام والمشاركة في كافة المجالات التي تعود بالنفع والخير على المواطنات.

٨ ـ معالجة ضروب الفساد والانحلال، ومناصرة الحق والعدل والفضيلة(١).

* * *

ثالثاً: اللجان العاملة وانشطتها

أ ـ اللجنة الثقافية:

تكوَّنت هذه اللجنة لتقوم بإبراز الناحية الثقافية في المركز والتي تعني بنشر وتعميم العلوم الشرعية والمعارف العامة النافعة في المجتمع، وبث الوعي لدى المرأة المسلمة فكرياً وثقافياً.

ومن أبرز الأنشطة التي تقوم بها هذه اللجنة ما يلي:

١ ـ القيام بتنظيم الدروس والمحاضرات والندوات لمختلف فئات المجتمع النسائي من ربَّات البيوت والموظفات والطالبات، وذلك في المركز نفسه.

٢ ـ تنظيم دروس في المساجد للطالبات في العلوم الشرعية، كتلاوة وتجويد القرآن الكريم، والتفسير والحديث، والفقه(٢).

٣ ـ تنظيم لقاءات ثقافية وفكرية متنوعة، مثل: (لقاء الأخوة) الذي تعرض فيه قضية من القضايا الإسلامية المعاصرة، وتناقش بين الحضور.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص١٣.

٤ ـ تنظيم لقاء خاص بالمدرِّسات ويكون سنوياً، ويناقش فيه دور المدرسة وواجباتها نحو التدريس وطالباتها.

٥ ـ إقامة الملتقى الأسري، وهو برنامج سنوي يتناول أهم القضايا في المجتمع الإسلامي التي تهم المرأة المسلمة، ويحتوي على محاضرات وندوات تدور حول شعار معين، وتكون الدعوة فيه عامة لجميع النساء في المجتمع. وقد بلغ عدد هذه الملتقيات ستة ملتقيات[(١)]، وهي على النحو التالي:

الأول: الملتقى الثقافي الأول. وقد أقيم عام١٩٨٤م.

الثاني: إعداد النشء المسلم. وقد أقيم في شهر سبتمبر عام ١٩٨٥م.

الثالث: الأحوال الشخصية نحو حياة زوجية سعيدة. سبتمبر عام ١٩٨٦م.

الرابع: قانون الأحوال الشخصية. سبتمبر عام ١٩٨٧م.

الخامس: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[(٢)]. سبتمبر عام ١٩٨٨م.

السادس: قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾[(٣)]. مارس ١٩٩٠م.

٦ ـ تنظيم برنامج الجهاد الإسلامي، وهو برنامج يهدف إلى تعريف الناس بالجهاد الإسلامي في الدول المختلفة والدعوة إلى دعمه.

٧ ـ إصدار نشرة داخلية خاصة بالمركز تسمّى (أنوار). تتناول المواضيع المختلفة التي تهم المرأة المسلمة، بالإضافة إلى طرح بعض القضايا في الساحة الإسلامية بصورة مختصرة، وفيها صفحات خاصة بالطفل المسلم، وهي نشرة شهرية. كما تقوم بإصدار نشرات خاصة بالمعارض الخيرية والملتقيات الأسرية.

٨ ـ التعاون مع لجنة الطلبة والبعثات في مركز الرجال في مساعدة بعض الطالبات للحصول على منح أو بعثات للدراسة في إحدى الجامعات[(٤)].

---

(١) وذلك عند إعداد الرسالة عام ١٩٩١م.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٣) سورة هود: الآية ٨٨.

(٤) لقد استفاد من ذلك كثير من الطالبات، وأكثرهن درسن في جامعات المملكة العربية =

٩ ـ تنظيم مسابقات ثقافية خلال السنة، ومسابقات في حفظ وتجويد وتفسير القرآن الكريم، ومسابقة البحوث العلمية.

١٠ ـ تنظيم رحلات ترفيهية للطالبات.

ب ـ اللجنة الاجتماعية:

تكوَّنت هذه اللجنة لتقوم بجميع أعمال البر والخير لأبناء البلد المحتاجين خاصة، وللمسلمين عامة. ومن أهم الأنشطة التي تقوم بها ما يلي:

١ ـ مساعدة اللجنة الاجتماعية[1] بقسم الرجال في تقصي أحوال الأسر الفقيرة والمحتاجة من أهل البلد، وجمع التبرعات والصدقات من أهل الخير وتوزيعها على المحتاجين.

٢ ـ تنظيم معرض طبق الخير: وهو معرض سنوي تشارك فيه المؤسسات والمطاعم والمخابز والفنادق ومحبي الخير بأنواع من الأطباق والمأكولات التي تباع على الجمهور، ويخصص ريع هذا المعرض لأعمال البر والخير.

٣ ـ إقامة أسبوع فلسطين: وقد أقيم في الفترة ما بين الثالث والتاسع من شهر يناير عام ١٩٨٩م، وكان يهدف إلى إعطاء صورة واضحة عن تاريخ فلسطين والمسجد الأقصى وقدسيته، وتاريخ الاحتلال الصهيوني لها، وما يجري الآن على ساحتها من أعمال القمع والوحشية، وما حققته الانتفاضة الإسلامية من انتصار، وما يجب على المسلمين تجاهها من الدعم المادي والمعنوي. ولقد أسهمت في هذا المهرجان جميع لجان المركز، وحضر إليه كثير من محبي الخير ومن المهتمين بالقضية الفلسطينية من أبناء البلد إضافة إلى العائلات الفلسطينية القاطنة في البلد.

= السعودية، مثل: جامعة الملك سعود، وكليات البنات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات بالرياض، وجامعة الملك عبد العزيز في جدة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(١) وتسمى الآن (لجنة الأعمال الخيرية).

٤ ـ إقامة مشروع للأطفال يعوِّدهم على الإنفاق في سبيل الله تعالى. وذلك عن طريق بيع علب الإدخار الصغيرة، يدخرون فيها مبلغاً بسيطاً من مصروفهم اليومي، ليتبرعوا بها لإخوانهم الأطفال في العالم الإسلامي، فتجمع هذه الصناديق وتقام حفلة خاصة بالمركز لتكريم هؤلاء الأطفال، وتقدم لهم بعض الهدايا الرمزية تقديراً لهم، وتشجيعاً على هذا العمل الطيب[1].

٥ ـ لقد كان لهذه اللجنة مشاركة في مساعدة الأسر الكويتية التي لجأت إلى البحرين بعد الغزو العراقي للكويت في الثاني من شهر أغسطس عام ١٩٩٠م، وذلك بتفقد أحوالهم وتقديم العون لهم.

جـ ـ اللجنة الفنية:

تكوَّنت هذه اللجنة لتقوم بإبراز دور المرأة العملي على مستوى الأسرة والمجتمع، والتشجيع على تكوين أسر منتجة عاملة معطاءة وليست أسر مستهلكة فقط. وهي تتفرع إلى أربعة أقسام هي:

١ ـ الأعمال الفنية.

٢ ـ الخياطة والتطريز.

٣ ـ المسرح والإنشاد.

٤ ـ الأنشطة العامة.

وتخصص هذه اللجنة ريع أعمالها الفنية لصالح الأسر المحتاجة، وللمجاهدين في سبيل الله. ومن أهم الأنشطة التي تقوم بها ما يلي:

١ ـ إقامة السوق الخيري: في كل سنتين مرة واحدة. ويحتوي على الملابس والأشغال اليدوية، وأعمال الخياطة والتطريز، وهي من عمل المشاركات في المركز إلى جانب ما تتبرع به المؤسسات الخيرية والمحلات التجارية المحلية. وقد أقيم أول معرض في عام ١٩٨٤م.

---

(١) لقد تطور هذا المشروع بعد ذلك، وأصبح منتشراً في هذا البلد، بل وفي أغلب دول مجلس التعاون، فنرى تلك العلب (الحصَّالة) منتشرة في البيوت والمحلات التجارية، والبنوك، وغيرها.

٢ ـ تنظيم دورات في تعليم الخياطة وفن التطريز.

٣ ـ إقامة الحفلات الترفيهية التي تحتوي على التمثيليات القصيرة الجادة التي تعالج بعض القضايا الاجتماعية والسياسية(١).

د ـ لجنة العلاقات العامة:

تتفرع هذه اللجنة إلى قسمين اثنين هما:

١ ـ اللجنة الإعلامية.

٢ ـ لجنة الطفل.

ومن أهم الأنشطة التي تقوم بها ما يلي:

١ ـ إعداد نشرات خاصة بأنشطة اللجان.

٢ ـ تنظيم زيارات ميدانية لضيوف المركز وتعريفهن بأقسامه وأنشطته.

٣ ـ المساهمة في إعداد حفلة تكريم للدراسات في مراكز تحفيظ القرآن الكريم.

٤ ـ تسجيل الدروس والمحاضرات المقامة في المركز، وتصوير الحفلات الخاصة بالأطفال.

٥ ـ زيارات للأسر الكويتية التي لجأت إلى البحرين بعد الغزو العراقي لمواساتها في محنتها، والتخفيف عنها بتذكيرها الصبر والاحتساب.

٦ ـ تنظيم حفلات ومهرجانات ترفيهية للأطفال.

---

(١) ومضات مشرقة ص١٧.

المبحث الثاني
أثر المركز على المجتمع البحريني

لقد تكلَّمنا في الموضوع عن حال المجتمع البحريني قبل السبعينات، وعن حال المرأة بصورة خاصة، فقلنا بأنه أتت فترة من الزمن لم يكن فيها من النساء من يلتزم بآداب الشرع في الملبس والمظهر إلا كبار السن من الأمهات المتمسِّكات بالعادات والتقاليد الموافقة للشرع، ثم التغير الذي حدث في بداية السبعينات على يد بعض الفتيات الصالحات اللاتي ما زلن متمسِّكات بدينهن، وكيف بدأ نشاطهن الدعوي في صفوف طالبات المدارس من خلال الأنشطة التي كنَّ يُقمنها في مقر النادي والمساجد.

ثم تمر السنون ويزداد عدد الملتزمات، وتكون لهن الأنشطة الكثيرة التي انتشرت أخبارها في أرجاء البلد فتكون سبباً في استقطاب عدد أكبر من أهل الصلاح والتقوى، ثم يفتتح المركز الخاص في المقر الجديد وتتكون اللجان، وترتب البرامج والأنشطة أكثر مما كانت عليه في السابق، فتؤتي ثمارها أكثر من ذي قبل، وتكثر العاملات في حقل الدعوة، وينتشر الفكر الإسلامي والآداب الشرعية، فيكثر عدد الملتزمات بالحجاب الشرعي وتعاليم الدين الحنيف، بل لقد أصبح الحجاب بعد أن كان مستنكراً ومستغرباً في تلك الفترة شائعاً في المجتمع البحريني، ويكاد أن يكون عدد الملتزمات به منافساً لعدد المتبرِّجات، سواء في المدارس أو الجامعات أو الدوائر الحكومية والمؤسسات، وهذا هو الأثر الأول والأوضح لهذا المركز على المجتمع البحريني، والذي تبين لنا من خلال العينة الأولى في الاستبيان[1]، حيث بلغت نسبة الملتزمات بالحجاب الشرعي ٩٠٪، وكان سبب اقتناع ٣٢٪ منهن هو

(١) انظر الملاحق: الاستبيان رقم (١).

تأثير زميلاتهن أو مدرِّساتهن عليهن، أو عن طريق الكتب والأشرطة الدينية المهداة إليهن من الزميلات والصديقات. وأما العينة الثانية[1] فقد كانت نسبة من تأثرن بزميلاتهن ومدرِّساتهن ٤٤٪.

وهناك مظاهر أخرى لهذا التأثير[2]، وهي:

١ ـ الإقبال الشديد من قبل نساء المجتمع البحريني على أنشطة المركز، وخاصة المعارض الخيرية والمحاضرات والندوات الثقافية. ولقد تبين لنا أن ٢٠٪ من العينة الأولى لهن مشاركة في أنشطة المركز.

٢ ـ الزيادة الكبيرة في عدد العضوات العاملات في المركز، حيث أصبح المقر غير مناسب لعددهن الكبير.

٣ ـ فتح فروع للمركز في بعض مناطق البحرين، بعد أن ضاق المركز الرئيس ولم يعد يحتمل الأعداد الهائلة من العاملات والمشاركات في أنشطته، وكذلك للتسهيل على كثير من النساء والطالبات المشاركة في الأنشطة ممن يسكنَّ بعيداً عن مكان المركز الرئيس، فقد افتتحت في عام ١٩٩٠م ثلاثة فروع في كل من المدن الآتية: الرفاع الشرقي، والحد، ومدينة عيسى[3].

٤ ـ الشهرة الواسعة التي حظي بها المركز لدى فئات المجتمع البحريني بعد أن كان مجهولاً عند غالبية الأهالي، فقد تبين لنا أن ٥٠٪ من العينة الأولى لديهن معرفة بالمركز، وإن كانت متفاوتة بينهن من حيث القوة والضعف.

٥ ـ ثقة محبي وفاعلي الخير في أمانة القائمات على المركز حيث يقبلون على دفع تبرعاتهم وزكواتهم إليهم لتوزيعها على المستحقين، وذلك بالتعاون مع قسم الرجال.

---

(١) انظر الملاحق: الاستبيان رقم (٢).

(٢) بعض المعلومات مأخوذة من الاستبيان الخاص بالعضوات العاملات في المركز.

(٣) لقد تم فتح فرع جديد في منطقة المنامة، وآخر في مدينة حمد، ليصبح العدد الإجمالي خمسة فروع، ولله الحمد.

٦ ـ تغير نظرة المجتمع والأهالي للحجاب، حيث نرى أن المعارضة للملتزمات به قد خفت بصورة كبيرة، فنرى في العينة الثانية ـ التي معظمها من القديمات في الالتزام ـ أن ٤٢٪ منهن وجدن معارضة من الأهل والأقارب والزميلات عندما التزمن باللباس الشرعي، وأما العينة الأولى ـ التي معظمها من المبتدئات في الالتزام ـ فلا يوجد فيهن إلا ١٦٪ فقط ممن وجدن المعارضة.

٧ ـ ثقة الأهالي بالمركز وفائدة الأنشطة التي يقوم بها، وتتمثل هذه الثقة في دفعهم لبناتهم للمشاركة في هذه الأنشطة.

٨ ـ تصحيح كثير من المفاهيم الإسلامية ونمو الحس الإسلامي عند المجتمع والمتمثل في سرعة الاستجابة في المساهمة في أعمال الخير ومساعدة المحتاجين، سواء في البحرين أو للمسلمين عامة.

* * *

المبحث الثالث

علاقة المركز بالجمعيات والأقسام النسائية داخل البحرين وخارجها

أولاً: علاقته بالأقسام النسائية في الجمعيات الإسلامية في البحرين.

ثانياً: علاقته بالأقسام النسائية في الجمعيات الإسلامية خارج البحرين.

ثالثاً: علاقته بالجمعيات النسائية الخيرية في البحرين.

* * *

أولاً: علاقته بالأقسام النسائية في الجمعيات الإسلامية في البحرين

يوجد في البحرين ثلاث جمعيات إسلامية وهي: جمعية الإصلاح، والجمعية الإسلامية[١]، وجمعية التربية الإسلامية[٢]، وهي جميعها ذات أهداف واحدة، وهي القيام بالواجب الدعوي تجاه أفراد المجتمع وخدمة الإسلام والمسلمين، وذلك من خلال الخدمات الاجتماعية والأنشطة الثقافية المتنوعة، ويوجد بين هذه الجمعيات الثلاث تعاون كبير في أغلب الأنشطة، وخاصة في المجال الاجتماعي.

وأما بالنسبة لمركز النساء فله علاقة وطيدة بقسم النساء في الجمعية الإسلامية لما يجمع بينهما من أهداف ووسائل، بل إن مقر كل منهما قريب من الآخر[٣] مما يساعد على إمكانية الإكثار من الزيارات وتبادل الخبرات. وأما جمعية التربية الإسلامية فلا يوجد فيها مركز للنساء[٤].

وتتمثل هذه العلاقة في تعاون المركزين في الأمور الآتية:

---

(١) تأسست عام ١٩٧٩م.

(٢) تأسست عام ١٩٨٧م.

(٣) وذلك قبل الانتقال إلى المقر الجديد بمنطقة عراد.

(٤) وذلك عند إعداد الرسالة، أما الآن ففيه نشاط كبير للنساء.

١ - تنظيم المعارض الخيرية مثل: طبق الخير، والسوق الخيري.

٢ - تنظيم المهرجانات الثقافية مثل: أسبوع فلسطين، وبرنامج الجهاد الإسلامي، والملتقى الأسري.

٣ - تنظيم الدروس في المساجد، واستعانة كل مركز بمدرِّسات المركز الآخر.

٤ - التعاون في النشاط الاجتماعي مثل: استقصاء الأسر المحتاجة وتقديم العون والمساعدة لها، أو جمع التبرعات للأعمال الخيرية في البلد خاصة وبلاد المسلمين عامة.

* * *

ثانياً: علاقته بالأقسام النسائية في الجمعيات الإسلامية خارج البحرين:

لقد حدَّد الإسلام شروطاً لسفر المرأة خارج بلدها، وأهمها وجود المحرم معها في هذا السفر، وهو أمر لا يتيسر في جميع الأحوال. ولذلك يصعب على القائمات على مركز النساء في جمعية الإصلاح إقامة علاقات وطيدة على مستوى السفر والحضور الشخصي في المناسبات أو المؤتمرات والندوات، أو المعارض وغيرها مع الأقسام النسائية في الجمعيات الإسلامية خارج البلد، ومع ذلك فإنه توجد علاقات على مستوى الاتصالات وتبادل المعلومات، أو الزيارات الفردية لذوات الخبرات في العمل الدعوي والاجتماعي لتربط المركز مع المراكز النسائية التابعة للجمعيات الإسلامية الموجودة في دول مجلس التعاون، ومنها قسم النساء في جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، والقسم النسائي بجمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي بدولة الإمارات العربية المتحدة. وتتمثل هذه العلاقة في بعض الزيارات التي تقوم بها بعض العضوات للمركز في الدولة الأخرى، والاطلاع على أوجه النشاط الموجودة فيه، وكيفية تنظيمها، ويتم بذلك التبادل بين هذه الأقسام الخبرات والأفكار.

ثالثاً: علاقته بالجمعيات والأقسام النسائية الخيرية في البحرين

الجمعيات الخيرية الموجودة في البحرين[1] هي:

---

(١) واقع العمل الاجتماعي في البحرين لفائزة إبراهيم الزياني ص٢٢٢. وزارة الإعلام بدولة البحرين ١٩٨٤.

١ ـ جمعية نهضة فتاة البحرين. وقد تأسست عام ١٩٥٥م.

٢ ـ جمعية رعاية الطفل والأمومة. تأسست عام ١٩٦٠م.

٣ ـ جمعية الهلال الأحمر البحريني. تأسست عام ١٩٧٠م.

٤ ـ جمعية الرفاع الثقافية. تأسست عام ١٩٧٠م.

٥ ـ جمعية أوال النسائية. تأسست عام ١٩٧٠م.

٦ ـ جمعية البحرين لتنظيم ورعاية الأسرة. تأسست عام ١٩٧٥م.

٧ ـ جمعية النساء الدولية. تأسست عام ١٩٧٥م.

٨ ـ جمعية البحرين الخيرية. تأسست عام ١٩٧٨م.

٩ ـ جمعية الاجتماعيين البحرينية. تأسست عام ١٩٧٩م.

وهذه الجمعيات تختلف من حيث النشاط والميول الفكرية، فبعضها ينحصر نشاطه على الجانب الاجتماعي كجمعية الهلال الأحمر البحريني، وجمعية البحرين الخيرية، وجمعية دار رعاية الطفل والأمومة، فمثل هذه الجمعيات يوجد بينها وبين المركز تعاون كبير لخدمة هذا المجال، خاصة في تقديم المعونات للأسر المحتاجة، أو المساهمة في المعارض الخيرية.

وبعض هذه الجمعيات لها أكثر من نشاط، فهي لا تقتصر على الجانب الاجتماعي فحسب، بل تتعداه إلى الجانب الثقافي الفكري كجمعية نهضة فتاة البحرين، والعلاقة بينها وبين المركز منحصرة في المعارض وبصورة بسيطة، أما المجال الثقافي الفكري فلا يوجد، وذلك لكون غالبية المنتمين لهذه الجمعيات ممن يحمل فكراً مخالفاً للفكر الإسلامي، فهي متأثرة إما بالفكر الغربي العلماني، أو بالفكر الشرقي اليساري، ويلاحظ ذلك في وجود الاختلاط بين الجنسين في معظم أنشطتها إن لم تكن كلها[1].

* * *

(١) نقلاً عن مسؤول مركز النساء بالجمعية.

المبحث الرابع
التقويم العام للمركز

إن ما ذكرناه في موضوع تأثير المركز على المجتمع البحريني يعطينا صورة واضحة بينة لما حققه هذا المركز من نجاح في تجربته للعمل النسائي الجماعي في مجال الدعوة وخدمة المجتمع، وزيادة على ذلك سوف نذكر بعض النقاط التي تمثل بعض إيجابيات عمل هذا المركز، وهي:

١ ـ لقد كان للنساء العاملات في هذا المركز أثراً كبيراً في نشر الدعوة والوعي بتعاليم الإسلام في صفوف النساء، وخاصة في الأخلاق واللباس المتمثل في الحجاب الشرعي، فهن أول من بدأ الالتزام بلبسه، ثم إن كثيراً منهن قمن بمحاولة التأثير على من حولهن من الأهل والأقارب والزميلات، وقد وفق الكثير منهن في ذلك، كما ذكرنا سابقاً.

٢ ـ إن هذا المركز هو المركز الوحيد من بين المراكز والجمعيات النسائية الأخرى الذي يوجد له فروع في مناطق البحرين، والتي بلغ عددها ثلاثة[1] فروع. وذلك دليل على كثرة أعداد العاملات والمشاركات في أنشطة هذا المركز.

٣ ـ وجود المركز وفروعه في مواقع مناسبة، تسهل على العاملات والمترددات المشاركة في الأنشطة.

٤ ـ مناسبة الوقت المخصص للنشاطات حيث إنه لا يتعارض مع الواجبات الأخرى، وخاصة الأنشطة المخصصة لربات البيوت والموظفات، وقد تبين لنا ذلك عند العينة الثانية، فقد وجدنا أن ٥٠٪ منهن لا يوجد عندهن

(١) وأصبحت الآن خمسة، غير المركز الرئيس بالمحرق.

تعارض، والبقية يوجد أحياناً ولكن بصور بسيطة جداً، وقد أمكنهن التغلب عليه بقليل من التنسيق وتنظيم الوقت. وأما بالنسبة للطالبات فأغلب الأنشطة تكون في إجازة نهاية الأسبوع وإجازة الصيف، مما لا يدع مجالاً للتعارض مع الواجبات الدراسية.

٥ ـ وجود المواصلات المخصَّصة من قبل المركز للمشاركات في الأنشطة في أغلب المناطق، مما سهل عليهن الوصول والمشاركة.

٦ ـ التنظيم الجيد للأنشطة وخاصة المعارض الخيرية، مما يعكس الصورة الحسنة للشخصية الإسلامية في نظر الآخرين ممن يزور تلك الأنشطة[(١)].

٧ ـ تنمية القدرات والمواهب لدى المشاركات في الأنشطة، مثل: الخياطة وفن التطريز.

٨ ـ التعاون على البر والخير مع المراكز والجمعيات الخيرية الأخرى العاملة في المجال الخيري والدعوي[(٢)].

هذه هي الإيجابيات التي يمتاز بها المركز عما سواه من المراكز، وبما أن القائمين عليه من البشر ـ ولا عصمة لأحد منهم من النقص والتقصير ـ كان ولا بد من وجود بعض السلبيات في عمل هذا المركز، ولكنها لا تقلل من شأنه، وتنحصر هذه السلبيات في الأمور الآتية[(٣)]:

١ ـ ما زالت المحاضرات والندوات قليلة نوعاً ما، وهي لا تفي بحاجة المرأة المسلمة، ولكن ذلك يعود إلى قلة المحاضرين في البلد.

٢ ـ عدم وجود مواصلات في بعض المناطق، وذلك يعود إلى قلة الإمكانيات عند هذا المركز خاصة، والجمعية عامة.

٣ ـ قلة التعاون مع الجمعيات الخيرية الأخرى.

---

(١) انظر إلى أنشطة اللجنة الثقافية واللجنة الاجتماعية ص٢٠٨، ٢١٠.

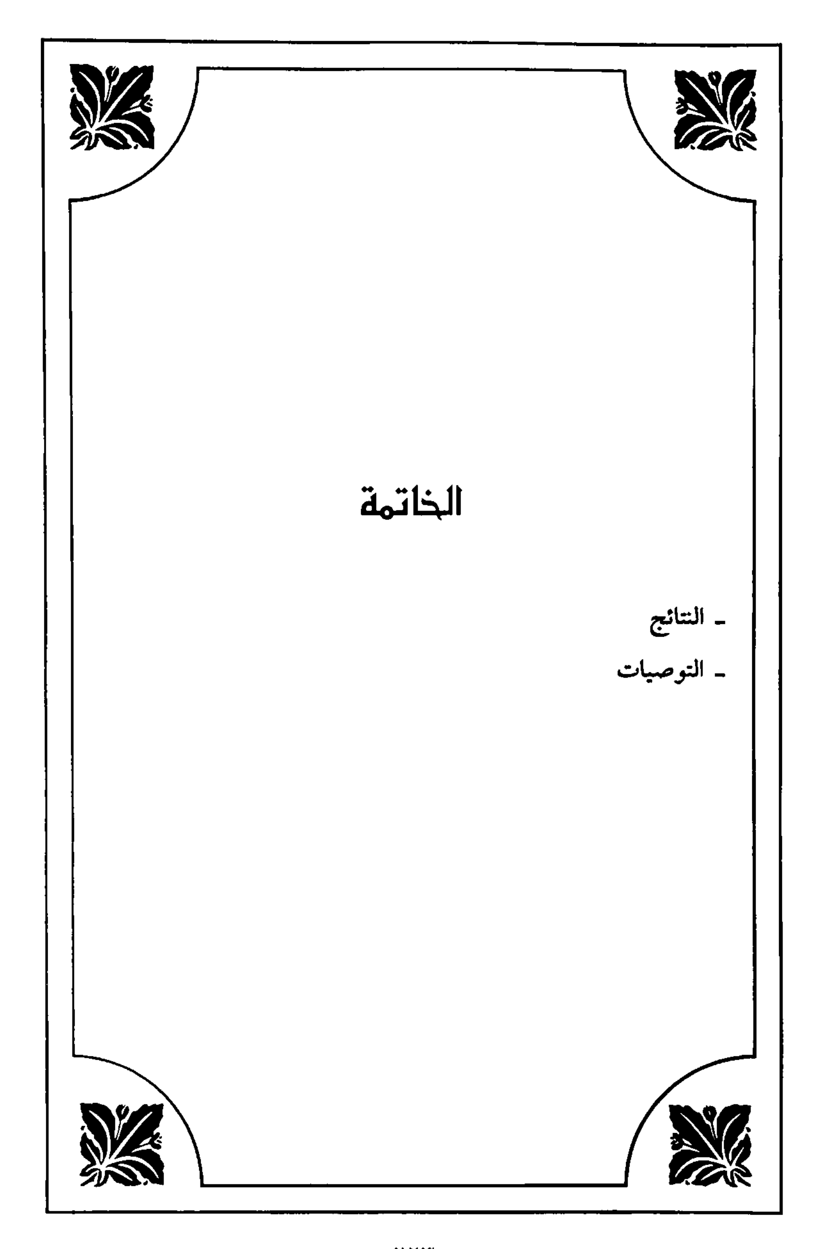
(٢) انظر موضوع: علاقة المركز بقسم النساء في الجمعية الإسلامية ص٢١٦، وموضوع: علاقة المركز بالجمعيات والأقسام النسائية الخيرية ص٢١٧.

(٣) مأخوذة من الاستبيان رقم (١).

وهذه السلبيات قليلة جداً إذا ما قورنت بالإيجابيات، ويمكن تفاديها في المستقبل إن شاء الله تعالى.

هذه كلها مظاهر لنجاح هذا المركز في تجربته الفريدة في المجالين الدعوي والاجتماعي، والله نسأل أن يوفق القائمين والقائمات عليه لتقديم المزيد من الخدمات للمجتمع البحريني خاصة وللإسلام والمسلمين عامة، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

* * *



الخاتمة

- التتائج
- التوصيات

النتائج

١ ـ لقد كانت المرأة في الجاهلية عند كثير من القبائل مهانة كرامتها، وليس لها حقوق، فما هي إلا سقطاً من المتاع، أو خادمة للرجل، أو متنفساً لقضاء شهوته. ولما جاء الإسلام كرَّمها وبيَّن مساواتها بالرجل في أصل الخلقة والتكوين، وفرض لها حقوقاً كثيرة، منها الحقوق المالية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

٢ ـ لقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في التكليف والعبادة والجزاء.

٣ ـ لقد حدد الإسلام للمرأة المسلمة المكان الصحيح والمهمة الرئيسة، وهي تربية الأولاد ورعاية شؤون البيت والزوج، وعدم الخروج من البيت إلا لحاجة.

٤ ـ لقد فرض الإسلام على المرأة المسلمة القيام بالدعوة إلى الله تعالى بين الأهل والأقارب والجيران والصديقات والزميلات.

٥ ـ لقد أجاز الإسلام للمرأة المسلمة الخروج للجهاد للقيام بأعمال الخدمة والتمريض للمقاتلين، ولقد شاركت بعض نساء الصحابة رضي الله عنهن في ذلك في عهد النبي ﷺ، واقتدى بهن بعض النساء في العصر الحاضر، كنساء الأفغان المجاهدات.

٦ ـ لقد أجاز الإسلام للمرأة المسلمة مباشرة القتال في وقت الضرورة كالنفير العام.

٧ ـ لقد أجاز الإسلام للمرأة المسلمة العمل خارج البيت للحاجة والضرورة، أو العمل في المجالات الخاصة بالنساء كتدريس البنات، وتطبيب وتمريض النساء.

٨ ـ لقد حرم الإسلام على المرأة المسلمة تقلد بعض المناصب في

الدولة والتي فيها قوامة على الرجال، وأهمها الولاية العظمى وهي رئاسة الدولة، والولايات العامة، أو ما يدعو إلى الاختلاط والخلوة بالرجال.

٩ ـ من المجالات الدعوية الخصبة والمناسبة للمرأة المسلمة القيام بتبليغ الدعوة بين الزميلات في الدراسة والعمل، أو من يكنَّ تحت مسئوليتها مثل: الطالبات في المدرسة، والمرضى من النساء في المستشفى.

١٠ ـ من المجالات الخصبة والمناسبة؛ التأليف وكتابة المقالات في المجالات والجرائد في مختلف العلوم عامة، والأمور الخاصة بالمرأة المسلمة خاصة، وكتابة القصص الهادفة، ونظم الشعر والنثر الإسلامي.

١١ ـ لقد أجاز الإسلام للمرأة المسلمة المشاركة في الجمعيات النسائية الخيرية الإسلامية التي تخدم الإسلام والمسلمين.

١٢ ـ إن الوضع التعليمي الموجود في أغلب بلاد المسلمين وضع منحرف، ومخالف لتعاليم الإسلام. من حيث الاختلاط الموجود في المدارس والجامعات، ومن حيث عدم صلاحية المناهج الدراسية التي تدرس للبنات لفطرتهن وحاجتهن، فهي لا تهدف إلى تخريج ربات البيوت والزوجات الصالحات، وإنما تهدف إلى تخريج موظفات للمكاتب فقط.

١٣ ـ إن الوضع الموجود في الدوائر الحكومية والمؤسسات في كثير من بلاد المسلمين وضع منحرف مخالف لتعاليم الإسلام، لما فيه من اختلاط بين الجنسين في صفوف الموظفين والمراجعين.

١٤ ـ إن أغلب مستشفيات المسلمين ليس فيها طبيبات وممرضات من أهل البلد، أو من بلاد المسلمين، وهناك أيضاً اختلاط في صفوف الأطباء والممرضات.

١٥ ـ قلة العاملين من المسلمين في مجال خدمة إخوانهم المسلمين الذين يعيشون في المخيمات. وخاصة في المجال التعليمي والصحي؛ مما أتاح الفرصة للمنصِّرين العمل في صفوفهم وتنصيرهم.

١٦ ـ إن مركز النساء في جمعية الإصلاح بالبحرين يعتبر نموذجاً فريداً وناجحاً في العمل الدعوي النسائي الجماعي.

التوصيات

١ ـ تقوى الله عزّ وجلّ، وجعل القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة المصدرين الرئيسين في تشريع جميع الأمور.

٢ ـ على ولاة الأمر أن يعطوا المرأة المسلمة جميع الحقوق التي فرضها لها الإسلام، ومنها حق التعلم والتعليم.

٣ ـ على ولاة الأمر منع الاختلاط في جميع المرافق، وأهمها المدارس والجامعات، سواء بين الطلاب أو المدرسين، وكذلك الحال بالنسبة لأماكن العمل.

٤ ـ على ولاة الأمر منع النساء من تولي المناصب القيادية في الوظائف التي يعمل بها الرجال، لما فيها من مخالفة لمبدأ القوامة التي خصها الله عزّ وجلّ للرجال على النساء، والتعرض للاختلاط والخلوة المحرمة.

٥ ـ على ولاة الأمر أن يهتموا بالجمعيات الخيرية الإسلامية، فيقدِّموا لها الدعم المادي والمعنوي، ويسهلوا لها مهمتها في خدمة الدين والمجتمع.

٦ ـ يجب أن تكون مناهج تعليم البنات مناسبة لفطرتهن التي فطرهن الله تعالى عليها، وأن تكون صالحة لتخريج جيل من ربات البيوت الصالحات والعاملات في المجالات الخاصة بالنساء، كالتدريس والتطبيب والتمريض.

٧ ـ يجب أن تكون مباني مدارس البنات بعيدة عن مباني مدارس البنين تجنباً من الوقوع في المحظور.

٨ ـ على المرأة المسلمة أن تتعاون مع أخواتها الداعيات في تبليغ الدعوة إلى الآخرين.

٩ ـ على المرأة المسلمة أن تتعاون مع الجمعيات الخيرية الإسلامية التي تخدم الإسلام والمسلمين.

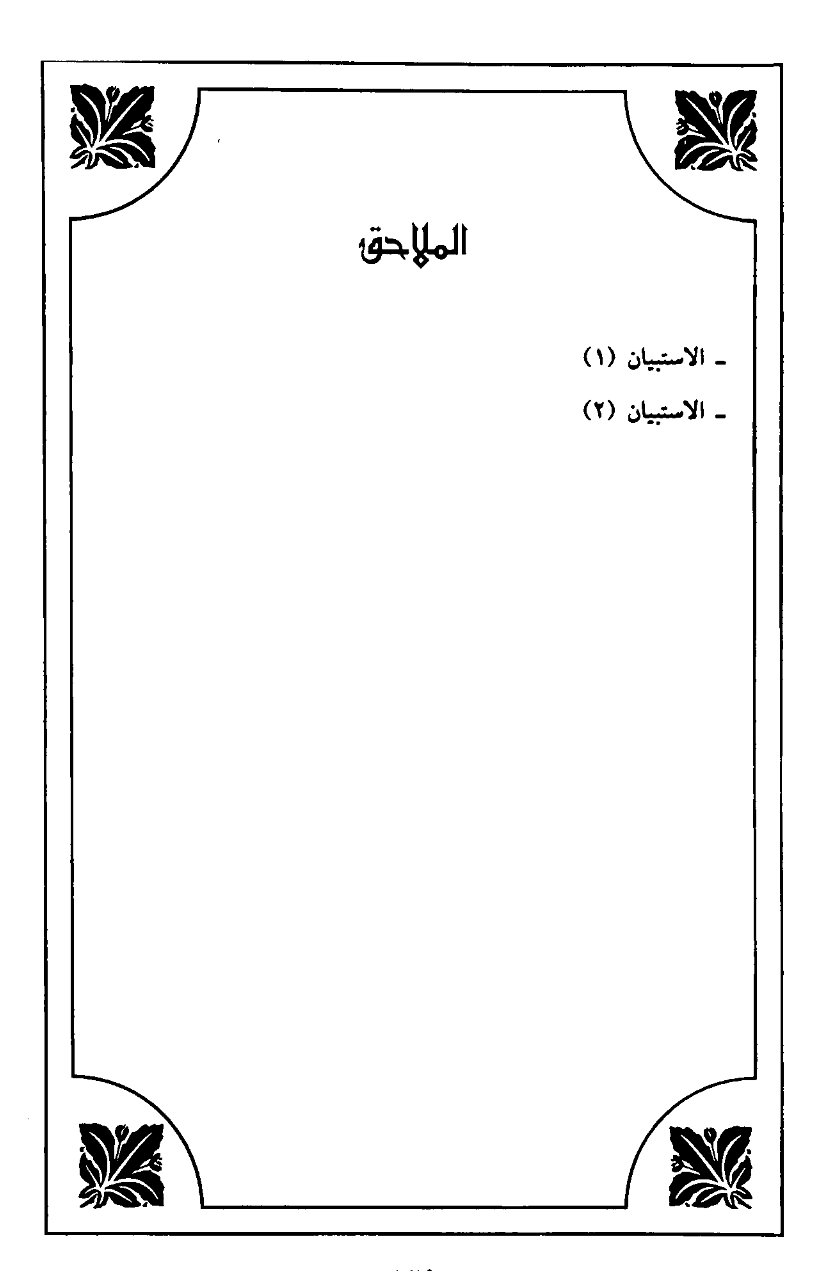
١٠ ـ على الجمعيات الإسلامية والخيرية أن تتعاون مع بعضها البعض، لتقدم خدمات أفضل.

١١ ـ على القائمين على مركز النساء في جمعية الإصلاح خاصة، والجمعيات الإسلامية والخيرية عامة؛ أن يهتموا بالسلبيات المذكورة آنفاً، ويجدوا لها الحلول المناسبة لكي يصلوا إلى ما هو أفضل في خدمة الإسلام والمسلمين.

١٢ ـ يمكن أن يستفاد من هذه الدراسة في تدريس مادة ميادين الدعوة لطالبات قسم الدعوة في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومثيلاتها.

١٣ ـ على طلاب العلم عامة والطالبات خاصة، الاهتمام بدراسة مثل هذا الموضوع الذي ما زال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

* * *



الملاحق

- الاستبيان (١)
- الاستبيان (٢)

الاستبيان رقم (١)

ملاحظات عامة:

١ ـ يهدف هذا الاستبيان إلى بيان أثر مركز النساء في جمعية الإصلاح في نشر الوعي الإسلامي في صفوف نساء وبنات المجتمع البحريني.

٢ ـ الرجاء عدم كتابة الاسم في الاستبيان.

٣ ـ الإجابة تكون في نفس أوراق الاستبيان.

٤ ـ وضع علامة (✓) عند الكلمة المختارة في الإجابات المتعددة الاختيار.

٥ ـ الأسئلة المفتوحة يجاب عليها بإجابات مختصرة.

* المهنة:

* الحالة الاجتماعية:

* هل أنت متحجبة؟

نعم لا

* إذا كان الجواب (نعم)، فمن الذي أقنعك بلبس الحجاب الشرعي؟

الأهل الزوج الزميلات أخرى: أذكريها

* كيف كان هذا التأثر؟

* هل وجدت معارضة عندما لبست الحجاب؟

نعم لا في البداية

* إذا كانت هناك معارضة، فممن كانت؟ وكيف كانت؟

* هل لديك معرفة بمركز النساء في جمعية الإصلاح ونشاطاته؟

نعم لا

* إذا كان الجواب (نعم)، فمن أين أتت هذه المعرفة؟

* ما مدى هذه المعرفة؟

قوية متوسطة ضعيفة

* هل لك مشاركة في أنشطة هذا المركز؟

نعم لا

* إذا كان الجواب (نعم)، فما مدى هذه المشاركة؟

كثيرة متوسطة ضعيفة معدومة

* إذا كان الجواب (ضعيفة، أو معدومة)، فما هو السبب؟

عدم الاقتناع معارضة الأهل أو الزوج كثرة المشاغل أخرى

* إذا كانت لك مشاركة، فما رأيك في الأنشطة التي يقوم بها المركز؟

مناسبة متوسطة ضعيفة

* ما هي أهم الأمور التي أعجبتك في هذا المركز؟

١ -

٢ -

٣ -

* ما هي أهم الأمور التي لم تعجبك في هذا المركز؟

١ -

٢ -

٣ -

الاستبيان رقم (٢)

ملاحظات عامة:

١ ـ هذا الاستبيان خاص بعضوات مركز النساء في جمعية الإصلاح، ويهدف إلى معرفة أثر هذا المركز في نشر الوعي الإسلامي في صفوف نساء وبنات المجتمع البحريني.

٢ ـ الرجاء عدم كتابة الاسم في الاستبيان.

٣ ـ الإجابة على الأسئلة تكون في نفس أوراق الاستبيان.

٤ ـ وضع علامة (✓) عند الكلمة المختارة في الإجابات المتعددة الاختيار.

٥ ـ الأسئلة المفتوحة يجاب عليها بإجابات مختصرة.

* المهنة:
* الحالة الاجتماعية:
* منذ متى التزمت بلبس الحجاب الشرعي؟
* من الذي أقنعك بلبس الحجاب الشرعي؟
* هل لمن أقنعك بلبس الحجاب علاقة بجمعية الإصلاح؟

نعم   لا

* هل وجدت معارضة عندما التزمت بالحجاب الشرعي؟

نعم   لا   في البداية

* إذا كانت هناك معارضة، فممن كانت؟

الزوج   الأهل   الزميلات   المجتمع

* كيف كانت هذه المعارضة؟

* متى تعرفت على مركز النساء بجمعية الإصلاح؟ وكيف كان ذلك؟
* منذ متى التحقت بهذا المركز؟
* كيف كان موقف الزوج، أو الأهل من مشاركتك في أنشطة المركز؟

التأييد المعارضة عدم الاهتمام

* إذا كان الجواب (التأييد، أو المعارضة)، فما صورة هذا التأييد أو المعارضة؟
* هل وجدت تعارضاً بين مشاركتك في أنشطة المركز وبين واجباتك الأخرى نحو الزوج، أو الأهل، أو الدراسة، أو العمل؟

نعم أحياناً لا

* إذا كان الجواب (لا)، فما هو سبب عدم وجود هذا التعارض؟
* إذا كان هناك تعارض، فما صورة هذا التعارض؟
* هل استطعت التغلب عليه؟

نعم لا

* إذا كان الجواب (نعم)، فكيف تم ذلك
* إذا كان الجواب (لا)، فكيف استطعت المواصلة في المشاركة في أنشطة المركز؟
* ما موقف الزوج، أو الأهل من ذلك؟
* هل للمركز تأثير على المجتمع البحريني؟

نعم لا

* إذا كان الجواب (نعم)، فما هي أبرز علامات هذا التأثير؟

١ -

٢ -

٣ -

* إذا كان الجواب (لا)، فما هو السبب؟

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة: الإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٢ ـ اجتهاد الرسول ﷺ: نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣ ـ الاجتهاد في الإسلام: نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤ ـ الأحكام السلطانية: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، صحّحه وعلق عليه محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م.

٥ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٦ ـ أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٧ ـ الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية: محمود محمد الجوهري، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٨ ـ أدب المرأة في الإسلام: عبده غالب أحمد عيسى، دار ابن زيدون، بيروت.

٩ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبو الحسن بن علي أبو الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ الإسلام فكرة وحركة وانقلاب: فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١١ ـ الإسلام والمرأة: سعيد الأفغاني، دار الفكر، الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٤م.

١٢ ـ الإسلام والمرأة المعاصرة: البهي الخولي، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة.
١٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، وبحاشيته الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤ ـ أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، دار عمر بن الخطاب، مصر، الطبعة الثالثة.
١٥ ـ أضواء على الثقافة الإسلامية: نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٦ ـ أعلام النساء: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٧ ـ أفغانستان بين الأمس واليوم: أبو العينين فهمي محمد، دار الكتاب العربي ١٩٦٩م.
١٨ ـ أفغانستان الجريحة.. أفغانستان الحبيبة: محمد محمد توفيق، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٩ ـ أفغانستان مقبرة الغزاة: أم القعقاع، المجموعة الإعلامية، جدة ـ السعودية.
٢٠ ـ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: المعروفة بالسيرة الحلبية، علي برهان الدين الحلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
٢١ ـ أنيس الجليس في ديوان الخنساء: اعتنى بضبطه وتصحيحه وجمع رواياته وتعليق حواشيه وفهارسه الأب لويس شيخو البسومي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٩٦م.
٢٢ ـ آيات الرحمٰن في جهاد الأفغان: عبد الله عزام، دار المجتمع، جدة، الطبعة التاسعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٣ ـ أيام من حياتي: زينب الغزالي، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٢٤ ـ إليك أيتها الفتاة المسلمة: منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٥ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، مكتبة الإمام، القاهرة ـ مصر.

٢٦ ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تحقيق صلاح الدين المنجد.
٢٧ ـ تربية الأولاد في الإسلام: عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثامنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٨ ـ تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير في كتب السنة: عبد العزيز الحميدي، مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
٢٩ ـ تفسير ابن كثير: الحافظ ابن كثير، دار الفكر ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٣٠ ـ جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج أحمد محمد شاكر، دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.
٣١ ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٣٢ ـ التفسير الكبير: الإمام الفخر الرازي، المطبعة البهية المصرية، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.
٣٣ ـ تهذيب تاريخ دمشق: عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٣٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٥ ـ جريدة الرياض: الرياض ـ السعودية.
٣٦ ـ جمعية الإصلاح في مسيرة الخير: البحرين ١٩٨٥م.
٣٧ ـ الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته: عبد الله القادري، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٨ ـ حاشية البيجرمي على شرح منهج الطلاب المسمّى التجريد لنفع العبيد: البيجرمي، المكتبة الإسلامية، ديار بكر ـ تركيا.
٣٩ ـ الحرص على هداية الناس: فضل إلهي ظهير، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٤٠ ـ حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة: السيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، حققه وعلق عليه سعيد الخن ومحيي الدين مستو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٤١ ـ حقوق المرأة في الإسلام: محمد بن عبد الله بن سليمان عرفة، مطبعة المدني، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤٢ ـ حقوق النساء في الإسلام: نداء إلى الجنس اللطيف، محمد رشيد رضا، صحَّحه وضبطه طارق السعود، دار الهجرة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٣ ـ حياة الصحابة: محمد يوسف الكاندهلوي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٤ ـ بنت الشاطئ: الخنساء عائشة بنت عبد الرحمٰن، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٣م.

٤٥ ـ الخنساء شاعرة بني سليم: محمد جابر عبد العال الحيني، المؤسسة المصرية العامة، مصر ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٤٦ ـ خواطر في زمن المحنة: يمان السباعي، مكتبة أسامة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٧ ـ دراسات عن أوضاع المرأة في الكويت والخليج العربي: الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية، الكويت.

٤٨ ـ الداعية زينب الغزالي: مسيرة جهاد وحديث من الذكريات من خلال كتاباتها، إعداد ابن الهاشمي، دار الفضيلة، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة، دار الاعتصام، مصر، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٤٩ ـ دراسات في أدب البحرين: إشراف محمد خلف الله أحمد، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر ١٩٧٩م.

٥٠ ـ دستور الأسرة في ظلال القرآن: أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٥١ ـ الدعوة الإسلامية دعوة عالمية: محمد الراوي، الدار القومية، مصر.

٥٢ ـ الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية: صادق أمين، جمعية عمال المطابع التعاونية، الأردن ١٩٨٧م.

٥٣ ـ الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: حسني محمد إبراهيم غيطاس، المكتب الإسلامي، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٥٤ ـ الدعوة إلى الإسلام: تاريخها في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٥٥ ـ الدعوة إلى الله تعالى: خصائصها، مقوماتها، مناهجها، أبو المجد السيد نوفل، مطبعة الحضارة العربية، الفحالة ـ مصر ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
٥٦ ـ الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم: محمد سيدي بن الحبيب، دار الوفاء، جدة ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
٥٧ ـ دور الأم في تربية الطفل المسلم: خيرية حسين طه صابر، دار المجتمع، جدة ـ السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٥٨ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: الحافظ محب الدين أحمد الطبري، مكتبة القدس، القاهرة ـ مصر ١٣٥٦هـ.
٥٩ ـ الراقصون على جراحنا: يمان السباعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٦٠ ـ رد المحتار على الدر المختار المسمَّى: حاشية ابن عابدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦١ ـ رسائل إلى شهيد: أمينة قطب، دار الفرقان، عمان ـ الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٦٢ ـ رسائل إلى المرأة المسلمة: خالد الحمادي، دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٦٣ ـ رفقاً بالقوارير: كريمان حمزة، دار الفتح، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٦٤ ـ السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين: الإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٨٢م.
٦٥ ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: محمد الغزالي، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٦٦ ـ سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.
٦٧ ـ سنن أبي داود: أبو داود السجستاني، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٦٨ ـ سنن أبي داود ومعه معالم السنن للخطابي: شرح وتخريج وترقيم وفهرسة، إعداد وتحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، سوريا، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م
٦٩ ـ سنن الترمذي: أبو عيسى الترمذي، استنبول ـ تركيا ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٧٠ ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي: اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٧١ ـ سيد قطب الأديب الناقد: عبد الله خباص، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
٧٢ ـ سيد قطب الشهيد الحي: صلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
٧٣ ـ سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٧٤ ـ السيرة النبوية: الحافظ أبو الفداء ابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٧٥ ـ السيرة النبوية: ابن هشام، شرح الخشيني، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله صعيليك، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٧٦ ـ السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٧٧ ـ الشعر والدعوة في عهد النبوة، يوسف محيي الدين أبو هلالة، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٧٨ ـ الصحافة المتخصصة: فاروق أبو زيد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
٧٩ ـ الصحافة النسائية ودورها في تغيير الأمم: دراسة على مجلة سيدتي، إعداد أحمد بن عبد الرحمٰن بن ناصر آل ناصر، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
٨٠ ـ صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري، ضبط وترقيم وشرح ألفاظ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٨١ ـ صحيح ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
٨٢ ـ صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٨٣ ـ صحيح مسلم: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

٨٤ ـ صفة الصفوة: أبو الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي، تحقيق محمود الفاخوري، تخريج محمد رواس قلعجي، دار المعارف، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م.

٨٥ ـ الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

٨٦ ـ مجلة لواء الإسلام: مجلة شهرية إسلامية جامعة، مصر، العدد ٤ السنة ١٠ ذو الحجة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

٨٧ ـ عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر عبد الله عزام، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٨٨ ـ العلاقات الخارجية في دولة الخلافة: عارف خليل أبو عيد، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٩ ـ عمل المرأة وموقف الإسلام منه: عبد الرب نواب الدين آل نواب، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٩٠ ـ غزوة أحد: محمد أحمد باشميل، دار الفكر، بيروت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م.

٩١ ـ غياث الأمم في التياث الظلم: إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، تحقيق ودراسة فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر ١٩٧٩م.

٩٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق وإشراف ومقابلة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٩٣ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد: أحمد بن عبد الرحمٰن البنا، دار الشهاب، القاهرة.

٩٤ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٩٥ ـ فقه السيرة: محمد الغزالي، دار الدعوة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩٦ ـ فكر ومباحث، علي الطنطاوي، مكتبة المنار، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨.

٩٧ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية عشر ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٩٨ ـ القاموس الإسلامي: أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية، الطبقة الأولى ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٩٩ ـ القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٠٠ ـ القدوة على طريق الدعوة: مصطفى مشهور، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٠١ ـ قواعد نظام الحكم في الإسلام: محمود عبد الحميد الخالدي، دار البحوث الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٠٢ ـ القياس في التشريع الإسلامي: نادية شريف العمري، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٠٣ ـ كتاب الجهاد: عبد الله بن المبارك، حققه وقدم له وعلق عليه د. نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة.
١٠٤ ـ لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي: مهديه شحادة الزميلي، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
١٠٥ ـ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقي، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.
١٠٦ ـ ماذا عن المرأة: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.
١٠٧ ـ مجلة البنيان المرصوص: مجلة شهرية، يصدرها الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الأفغان، بيشاور ـ باكستان.
١٠٨ ـ مجلة الجهاد: مجلة شهرية، يصدرها مكتب خدمات المجاهدين، بيشاور ـ باكستان.
١٠٩ ـ مجلة ذات النطاقين: مجلة إسلامية نسائية شهرية، تصدرها اللجنة النسائية التابعة لمكتب خدمات المجاهدين، بيشاور ـ باكستان.
١١٠ ـ المجلة العربية: مجلة شهرية جامعة، تصدر في المملكة العربية السعودية.
١١١ ـ مجلة المسلمون: تصدر في لندن وقد توقفت لسنوات ثم أصبحت جريدة أسبوعية، تصدرها الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، لندن.
١١٢ ـ مجلة منار الإسلام: إسلامية ثقافية شهرية، تصدرها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة.
١١٣ ـ مجلة الموقف: مجلة شهرية، يصدرها الحزب الإسلامي، بيشاور ـ باكستان.
١١٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدين محمد بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١١٥ ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية: جمع عبد الرحمٰن القاسمي وابنه محمد، مطبوعات إدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.
١١٦ ـ محمد رسول الله ﷺ: منهج ورسالة، محمد الصادق إبراهيم عرجون، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١١٧ ـ مذابح الإخوان في سجون ناصر، جابر رزق، دار الاعتصام، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١١٨ ـ المرأة بين الإفراط والتفريط، سهيلة زين العابدين بن حماد، الدار السعودية، جدة ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١١٩ ـ المرأة بين الفقه والقانون: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٢٠ ـ المرأة المسلمة: أبو بكر الجزائري، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
١٢١ ـ المرأة المسلمة: حسن البنا، تخريج الأحاديث محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة السنة، القاهرة ـ مصر، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٢٢ ـ المرأة المسلمة: وهبي سليمان الألباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٨م.
١٢٣ ـ المرأة المسلمة أمام التحديات: أحمد عبد العزيز الحصين، دار البخاري، القصيم ـ السعودية، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٢٤ ـ المرأة وأثرها في الحياة العربية: عبد الحميد فايد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٢٥ ـ مسند الإمام أحمد: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه فهرس المسند للألباني، دار صادر ـ المكتب الإسلامي، بيروت.
١٢٦ ـ مسيرة المرأة السعودية إلى أين: سهيلة زين العابدين بن حماد، الدار السعودية، جدة ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
١٢٧ ـ مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٢٨ ـ معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
١٢٩ ـ معجم مفردات القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت.
١٣٠ ـ المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم: سميرة محمد عمر جمجوم، دار المجتمع، جدة ـ السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٣١ ـ المغني: ابن قدامة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١٣٢ ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: الشيخ محمد الشربيني الخطيب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م.

١٣٣ ـ مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية: سالم البهنساوي، دار القلم، الكويت.

١٣٤ ـ منهاج المسلم: أبو بكر الجزائري، دار الجيل، بيروت، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٣٥ ـ منهج التربية النبوية للطفل: محمد نور سويد، مكتبة المنار الإسلامية، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٣٦ ـ نحو بعث جديد: زينب الغزالي، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣٧ ـ نظام الأسرة في الإسلام: مناع القطان، دار الثقافة الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

١٣٨ ـ نظرات في الأسرة المسلمة: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣٩ ـ الهجرة من أفغانستان: مرال معروف، ترجمة وتقديم محمد حرب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤٠ ـ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة: علي محفوظ، دار الاعتصام، الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤١ ـ هموم داعية: محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٤٢ ـ واقع العمل الاجتماعي في البحرين: فائزة إبراهيم الزياني، المطبعة الحكومية لوزارة الإعلام، البحرين ١٩٨٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة